الفلسفة و المنطق

للثانوية العامة

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

٢٠١٢ - ٢٠١٣

- إن الثقافة كانت وستظل جوهر الوجود المصرى والميزة التى حققت لمصر خصوصيتها ومكانتها العربية والدولية.
- الثقافة العربية لديها من الرصيد المتراكم ما يستطيع أن يواجه كل الأفكار الوافدة، والمفكرون المصريون لديهم من الفطنة والحصافة والغيرة على ثقافتهم ما يجعلهم قادرين على الدفاع عن هويتنا الثقافية والحفاظ على ثوابتها الحاكمة.
- إن أفكار التحضر ونظريات الفلسفة والعلوم المختلفة التى قامت عليها حضارة الغرب ولدت فى هذه الأرض وقدمتها الحضارة العربية للعالم فكانت نبراسًا لهم فى نهضتهم العلمية التى قام عليها اقتصادهم المتقدم.
- من هنا تتعاظم أهمية أن تكون لنا رؤيتنا الواضحة للأسس الحديثة التى يجب أن يقوم عليها مجتمعنا وأن يصبح المكون المعرفى أساس بناء نهضتنا الحديثة وأن يكون تحكيم العقل والتفكير العلمى والنقدى هما المنهج السائد فى مجتمعنا.
- إننا بحاجة أكثر من أى وقت مضى بأن يكون للفلسفة دور فاعل فى بنية ثقافتنا الحديثة والمعاصرة لكى تسهم بدورها فى تقديم النماذج المستحدثة لتنمية وعى الإنسان المصرى وإدماجه فى النسيج الثقافى للأمة.
- ولكى تتجدد حياتنا الثقافية فلابد وأن تتجدد رؤى الإبداع من خلال اكتشاف المواهب والطاقات الإبداعية الكامنة فى مجتمعنا وإفساح الطريق لها ليكون لها دورها فى مسيرة حياتنا الثقافية وتعظيم قدرتها الإبداعية من خلال تداول الخبرة من جيل الرواد والأجيال الحديثة.

إخراج وتنفيذ
المركز الاستكشافى للعلوم

مطابع

جمهورية مصر العربية
وزارة التربية والتعليم
قطاع الكتب

الفلسفة والمنطق

للثانوية العامة

الفلسفة ومشكلات الإنسان

تأليف

أ. سماح رافع محمد　　أ. محمد مصطفى البسيونى

مراجعة

د. محمد أبو الوفا التفتازانى

المنطق

تأليف

د. محمد مهران　　أ. ماهر رياض

مراجعة

د. محمد فتحى الشنيطى

حقوق الطبع محفوظة للوزارة

غير مصرح بتداول هذا الكتاب خارج وزارة التربية والتعليم

تقديم

انطلاقًا من النهضة التعليمية التى تمر بها مصر فى الوقت الحالى، والمحاولات الجادة والمخلصة لتطوير التعليم بجميع مراحله، وبخاصة تطوير نظام الثانوية العامة بهدف التخفيف عن كاهل أبنائنا وبناتنا وبهدف التركيز على الكيف فى التعليم، وليس على الكمّ، والاهتمام بتنمية قدرات الفهم والتحليل والابتكار بدلا من الحفظ والاستظهار.

فقد كلف الأستاذ الدكتور/وزير التربية والتعليم لجان من أساتذة الجامعات ومستشارى المواد التعليمية، وقطاع الكتب بتشكيل فريق عمل لإنجاز هذه المهمة، وذلك بالتنسيق والتعاون مع المسئولين من الوزارة ومن الميدان.

وقد تفضل سيادته بإعطاء توجيهاته لتعديل وتنقيح كتاب الفلسفة والمنطق (بالحذف والإضافة) المقرر على طلاب الثانوية العامة ، لكى يفى بتحقيق أهداف المادة فى المرحلة الثانوية دون حشو أو تكرار أو تزيد فى تفاصيل غير جوهرية.

وهكذا يظهر كتاب الفلسفة والمنطق للثانوية العامة فى شكله المطور، والذى نتمنى أن يساعد الطلاب والطالبات على استيعاب محتواه ويحقق لهم النجاح والتفوق ويحتوى كتاب المواد الفلسفية على جزءين.

الجزء الأول : الفلسفة :

يهدف هذا الجزء إلى تحقيق أهداف تربوية متعددة تساعد الطالب على تنمية قدراته على الفهم والربط والمقارنة والنقد والتقويم والتعود على اتخاذ المواقف تجاه المشكلات والتعبير عن الرأى الشخصى والتعقيب على آراء الغير بوجهة النظر المدعمة بالأدلة الممكنة والمقبولة.

ويحتوى هذا الجزء على مذاهب فلسفية متعددة تعبر عن وجهة نظر الفيلسوف وظروف نشأته فى مجتمعه الأصلى باعتبار أن الفلسفة وليدة المجتمع فلا توجد فى الفلسفة وجهة نظر واحدة وإنما تتباين الفلسفات باختلاف المجتمعات.

الجزء الثانى : المنطق:

يعرض هذا الجزء لبعض القواعد المنطقية التى يستخدمها الإنسان فى حياته اليومية، مثل: الاستدلال، ومكوناته، وأنواعه، وأهمية التكامل بين أنواع الاستدلال.

وقد رُوعى فى هذا الجزء تبسيط المادة العلمية وسهولة العبارة وتنوع الأمثلة المرتبطة بحياة الناس وواقعهم والتى تساعد الطالب على التفكير السليم ونأمل أن يحقق هذا الكتاب بجزئيه الأهداف المرجوة.

والله ولى التوفيق.

لجنة التعديل

لجنة التعديل

١- أ.د / حسن حنفى حسنين　　٢- أ.د / محمد عاطف العراقى

٣- أ.د / مصطفى النشار　　٤- د / فتحى أمين راشد

٥- أ / أسامة محمد مغربى　　٦- أ / نوال عبد القادر متولى

أ/ أحمد فهمى أبو النصر

مستشار المواد الفلسفية

(سابقا)

الموضوع: الصفحة

الفصل الثانى
الشك المذهبى والانهيار الحضارى

- ارتباط الشك المذهبى بتفكك و انهيار المجتمع ٢٩
- الشك المذهبى «الشك السوفسطائى» ٢٩
- بروتاجوراس ٣٠
- تصدى سقراط للرد على السوفسطائيين ٣١
- أسئلة وأنشطة ٣٢

الفصل الثالث
الشك المنهجى والبناء الحضارى

- ارتباط الشك المنهجى بالبناء الحضارى ٣٣

أولاً: الشك المنهجى فى الحضارة الإسلامية «الغزالى» ٣٣

ثانيًا: الشك المنهجى فى الحضارة الغربية «ديكارت» ٣٦

- أسئلة وأنشطة ٤٢

الباب الثالث
الإنسان ومشكلة الحرية من المنظور الديني الإسلامى

الفصل الأول
مذاهب الجبرية والحرية عند المتكلمين

- ظروف نشأة الفرق الإسلامية ٤٥

١ – الجهمية ونفى حرية خلق الأفعال «جهم بن صفوان» ٤٦

٢ – المعتزلة وتأكيد حرية الإرادة الإنسانية «واصل بن عطاء» ٤٦

٣ – الأشعرية والتوسط بين الجبرية والحرية «أبو الحسن الأشعرى» ٤٧

–أسئلة وأنشطة ٤٩

الفصل الثانى
مذاهب الحرية عند الفلاسفة والمصلحين

- مقدمـــــــة

١ – الحرية من وجهة نظر الفلاسفة «ابن رشد» ٥٠

٢ – الحرية من وجهة نظر المصلحين العرب فى العصر الحديث «محمد عبده» ٥٣

– أسئلة وأنشطة ٥٧

الجزء الأول: الفلسفة

المحتويات

الموضوع: الصفحة

– تقـــديـم ٣
– المحتويات ٤

الباب الأول

مدخل إلى الفلسفة وارتباطها بالإنسان

الفصل الأول

أساليب التفكير ومكانة الأسلوب الفلسفى

١ – أساليب التفكير ١١
٢ – التعريفات العامة للفلسفة ١٣
٣– مباحث الفلسفة ومشكلاتها الأساسية ١٤
– أسئلة وأنشطة ١٧

الفصل الثانى

ارتباط الفلسفة بالإنسان والمجتمع وظروف العصر

١ – ارتباط الفلسفة بالإنسان ١٨
٢ – ارتباط الفلسفة بتقدم المجتمع ١٩
٣ – ارتباط الفلسفة بظروف العصر ٢٠
– أسئلة وأنشطة ٢٢

الباب الثانى

الإنسان ومشكلة الشك واليقين

الفصل الأول

الشك واليقين

– مقدمة
١ – الشك تعريفه وخصائصه ٢٥
٢ – اليقين ـ تعريفه وخصائصه ٢٦
٣ – أنواع الشك ٢٦
– أسئلة وأنشطة ٢٨

الموضوع: الصفحة

الفصل الثانى
الاتجاه الوجدانى والاتجاه العقلى فى الإلزام الخلقى

أولاً: الاتجاه الوجدانى:

• مذهب الحاسة الخلقية عند «شافتسبرى» ٨٦

ثانيًا الاتجاه العقلي فى الإخلاق:

١- مذهب «مسكويه» الأخلاقى ٨٩

٢- مذهب الواجب العقلى عند «كانط» ٩٢

-الأخلاق عند أرسطو (اثرائى للقراءة والمناقشة) ٩٥

-أسئلة وأنشطة ٩٧

- مراجع عربية مختارة ٩٨

- مراجع عربية عامة ٩٩

- مراجع أجنبية عامة ١٠٠

- أهم المصطلحات الفلسفية ١٠١

الجزء الثانى : المنطق

المحتويات

الفصل الأول : المنطق والاستدلال ١٠٧

أسئلة ١١١

الفصل الثانى: مكونات الاستدلال ١١٢

أسئلة ١٢٢

الفصل الثالث : القضايا ١٢٤

أسئلة ١٣١

الفصل الرابع : الاستدلال المباشر ١٣٣

أسئلة ١٣٧

الفصل الخامس : القياس أوالاستدلال القياسى ١٣٩

أسئلة ١٤٩

الفصل السادس : الاستدلال الرياضى ١٥١

أسئلة ١٥٨

الفصل السابع : الاستدلال التجريبى "الاستقراء" ١٥٩

الموضوع: الصفحة

الباب الرابع
الإنسان ومشكلة الحرية من المنظور الاجتماعى الغربى
الفصل الأول
مذاهب الجبرية

- الجبرية وأدلة وجودها ٦١
١- مذاهب الجبرية فى العصر الحديث «هيوم» ٦٢
٢- مذاهب الجبرية فى القرن العشرين «المادية الجدلية»(إثرائى للقراءة والمناقشة) ٦٤
وجهة نظر فى نقد الجبرية الماركسية «للأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود» (إثرائى للقراءة والمناقشة) ٦٦
- أسئلة وأنشطة ٦٨

الفصل الثانى
مذاهب الحرية

- الحرية الفردية وأدلة وجودها ٦٩
١- مذاهب الحرية فى العصر الحديث «روسو» ٧٠
٢- مذاهب الحرية فى القرن العشرين «جان بول سارتر» ٧٢
- أسئلة وأنشطة ٧٦

الباب الخامس
الإنسان ومشكلة الإلزام الخلقى

مقدمة ٧٩

الفصل الأول
الاتجاه الحسى والاتجاه الاجتماعى فى الإلزام الخلقى

أولاً: الاتجاه الحسى فى الأخلاق:
- مذهب المنفعة العامة ٨٠
ثانيًا: الاتجاه الاجتماعى فى الأخلاق:
- مذهب الاجتماعيين الوضعيين ٨١
- أسئلة وأنشطة ٨٥

الجزء الأول

الـفـلـسـفـة

أسئلة ١٧٣
الفصل الثامن : التكامل بين أنواع الاستدلال ١٧٥
أسئلة ١٧٨
قائمة بأهم المراجع العربية والأجنبية المترجمة ١٧٩
– أهم المصطلحات المنطقية ١٨٠

«الفصل الأول»

أساليب التفكير ومكانة الأسلوب الفلسفى

١- أساليب التفكير

(أ) كلنا نعرف أن الإنسان أرقى الكائنات المفكرة، وهو الوحيد الذى يعبر عن تفكيره بسلوك واعٍ وطرق منظمة وأساليب متنوعة. فماذا نعنى بـ «التفكير»؟ وما المقصود بـ «الأساليب»؟

- «**التفكير**»: هو مجموعة العمليات العقلية الراقية التى يقوم بها الإنسان مستهدفا حل مشكلة ما أو تفسير موقف غامض أو مواجهة ظروف الحياة بوجه عام.
- **الأساليب**: هى الطرق المختلفة التى يعبر بها الإنسان عن التفكير. والتى قد يكون بعضها بسيطا بدائيًا، بينما يكون بعضها الآخر دقيقًا متطورًا.

ولا شك أن أساليب التفكير تختلف من فرد إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، ومن عصر إلى عصر، فطريقة تفكير الطفل الصغير لن تكون هى نفسها طريقة تفكير الرجل الناضج، وكذلك طريقة تفكير الإنسان البدائى تختلف عن طريقة تفكير الإنسان المتحضر، بل إن أساليب التفكير تختلف -أيضًا- من عصر إلى عصر؛ فمثلاً إذا كان الطابع الدينى هو الغالب فى عصر ما داخل المجتمع فإن أساليب التفكير الأخرى فى نفس هذا العصر عادة ما يغلب عليها هذا الطَّابَع الدينى، وكذلك الحال بالنسبة للطابع العلمى فى عصر آخر، حيث نجد تأثيره ينعكس بالضرورة على باقى أساليب التفكير عند غالبية أفراد هذا العصر.

وتتعدد أساليب التفكير الإنسانى وتنقسم إلى أربعة أنواع أساسية هى:

١- الأسلوب الخرافى.

٢- الأسلوب الدينى.

٣- الأسلوب الفلسفى.

٤- الأسلوب العلمى.

وسنستعرض فى باقى الفِقرات التالية خصائص كل أسلوب سعيا وراء هدف أساسى هو معرفة السمات المميزة للأسلوب الفلسفى على الخصوص بالمقارنة مع باقى أساليب التفكير الأخرى.

(ب) لنأخذ ظاهرة طبيعية معينة نحدد موقف الإنسان حيالها وأساليب تفكيره فى حلها وكيفية معالجته لها كى نستخلص منها خصائص كل أسلوب، ولتكن هذه الظاهرة هى «البرق والرعد».

١ - **الأسلوب الخرافى** : تناول الإنسان البدائى تلك الظاهرة بأسلوب خرافى سَاذَج؛ نظرًا لتخلف عقليته وعدم اكتمال نضجها، فكان يعجز عن إدراك الأسباب الحقيقية للظاهرة، ويكتفى بتعليلات غيبية غير منطقية ولا علمية، مثل: القول بوجود عدة آلهة يختص كل إله منها بالتحكم فى ظاهرة طبيعية معينة، وأنه فى حالة غضب الآلهة فإن الظواهر الطبيعية تزداد سوءًا كعقاب للبشر.

ومن ثَمَّ يكون علاج هذه المشكلة من وجهة نظر ذلك الإنسان هو محاولة إرضاء تلك الآلهة بتقديم

الـبـاب الأول

مدخل إلى الفلسفة وارتباطها بالإنسان

الفصل الأول: أساليب التفكير ومكانة الأسلوب الفلسفى.

الفصل الثانى: ارتباط الفلسفة بالإنسان والمجتمع وظروف العصر.

ملحوظة يقوم الطالب باستكمال هذا الجدول

أساليب التفكير	السمة العامة لكل أسلوب
١- الأسلوب الخرافى	.....
٢- الأسلوب الدينى	.....
٣- الأسلوب الفلسفى	.....
٤- الأسلوب العلمى	.....

٢ - التعريفات العامة للفلسفة

أ - الأصل اللغوى للكلمة: «الفلسفة» فى أصلها اللغوى كلمة يونانية قديمة مركبة من مقطعين هما «فيلو» بمعنى حب و«سوفيا» بمعنى حكمة. وبذلك فإن كلمة «فيلوسوفيا» تعنى لغويًا «حب الحكمة» ويكون الفيلسوف هو محب الحكمة.

والمقصود بالحكمة هنا المعرفة العقلية الراقية والإدراك الكلى لحقائق الوجود والتفكير التأملى.. الذى يتصدى للمشكلات الكبرى المعقدة فى مختلف أمور الحياة ويحسن تفسيرها وحل إشكاليتها.

ب - التعريفات العامة للفلسفة:

لم يستطع المفكرون والفلاسفة أن يجمعوا كلهم حتى اليوم على تعريف واحد لمعنى الفلسفة بل تعددت التعريفات وتنوعت معانى الفلسفة من فيلسوف إلى غيره ومن عصر إلى آخر، وذلك لأن الفلسفة تصطبغ عادة بالطابع الفردى وتعتمد على التجارب الشخصية لكل فيلسوف حسب ظروف حياته ومجتمعه وعصره.

لكن رغم تعدد هذه التعريفات وتنوع تلك المعانى فإنها لا تخرج عن الإطار العام لمعنى كلمة «فلسفة» وهو «حب الحكمة» والبحث عن المعرفة الكلية والحقيقة المطلقة بالتأمل العقلى المجرد. وفيما يلى أشهر ثلاثة تعريفات للفلسفة تدور حول ذلك المعنى العام للفلسفة.

- **التعريف الأول : الفلسفة هى علم المعرفة الكلية المطلوبة لذاتها.** ووَفْقًا لهذا التعريف تكون الفلسفة هى: «علم العلوم»؛ لأنها تدرس الحقيقة الكلية للموجودات عامة.

فالفلسفة تهتم بكل ما يثيره العقل البشرى من مشاكل كلية تنصب على الوجود كله فى صورته العقلية الشاملة مثل طبيعة الوجود، ماهية الإنسان، مشكلة الحرية، الحقيقة واليقين، الحياة والموت، وغيرها من المشكلات العامة ذات الطابع العقلى الكلى لذلك تعتبر الفلسفة «علم المعرفة الكلية».

إن الفيلسوف فى بحثه عن الحقائق الكلية فى الوجود تكون رغبته الأساسية هى طلب المعرفة ذاتها. وباعتبار ذلك أشرف ما يسعى إليه الإنسان معتمدا فى هذا على التأمل العقلى دون الممارسة العملية والمنفعة الشخصية.

والفيلسوف عادة عندما يدرس الحقائق الكلية المتفرقة للوجود فإنه يجمعها مع بعضها ويجردها من طبيعتها المادية المتغيرة ثم يربطها فى تسلسل منطقى له ترتيب معين ليكون منها مذهبًا فلسفيًا خاصًا به.. يستطيع الفيلسوف من خلاله أن يفسر مختلف ظواهر الوجود تفسيرًا عقليًا متناسقًا.

- **التعريف الثانى:** «**الفلسفة هى علم المبادئ الأولى لكل ظواهر الوجود**». إن الطبيعة العقلية للفيلسوف تجعله لا يقنع بقَبُول المبادئ القريبة والعلل المباشرة فى تفسير مختلف ظواهر الوجود، إذ أن هذه

القرابين، هذا ما يفعله الإنسان بأسلوب تفكيره الخرافى الذى لا يدرك حقيقة المشكلة، ومن ثَمَّ لا يعرف كيفية حلها بطريقة صحيحة.

٢ – **الأسلوب الدينى**: أما بالنسبة للأسلوب الدينى عامة حيال هذه الظاهرة – دون نظر إلى نوعية الدين – فنجده يربطها بقدرة الله تعالى الذى خلق العالم كله بشتى ظواهره لذلك فالإنسان هنا ينظر إلى ظاهرة البرق والرعد باعتبارها دليلاً على وجود الله تعالى وعلى قدرته التى تفوق قدرة الإنسان العاجز. وحيث يستتبع هذا الوضع من بنى الإنسان إيمانًا أكثر بالقدرة الإلهية وإمعانًا فى تنفيذ وصايا الله التى جاءت فى الأديان مع السعى إلى البحث عن العلل الحقيقية لهذه الظاهرة الطبيعية.

وهكذا ارتبط الأسلوب الدينى فى تناول تلك الظاهرة بالقدرة الإلهية فى خلق العالم، مقارنة بعجز الإنسان فى صنع مثيلها، وما يستتبع ذلك من محاولة فهم هذه الظواهر التى تؤدى إلى ازدياد إيمان الإنسان بالله وبقدرته وعظمته تعالى.

٣ – **الأسلوب الفلسفى** : ولو نظرنا إلى نفس ظاهرة «البرق والرعد» من خلال الأسلوب الفلسفى فسنجد أن الفلاسفة تميزوا عن غيرهم بطريقتهم الخاصة فى التأمل العقلى والتفكير الشامل والتفسير الكلى. إنهم يستخدمون عقولهم الناضجة فى محاولة فهم وتفسير هذه الظاهرة الطبيعية المحددة، وذلك فى ارتباطها ببقية الظواهر الطبيعية الأخرى للوجود كله.

إن الفلاسفة يسعون إلى تفسير أية ظاهرة تفسيرًا منطقيًا ومقبولاً من الوجهة العقلية الخالصة، وهم فى عملهم هذا يربطون دائما بين ظواهر الطبيعة الجزئية بعضها بالبعض الآخر ليكونوا منها حقيقة كلية شاملة تفسر الوجود كله دون الاقتصار على ظاهرة البرق والرعد فقط.

ويلاحظ هنا أن استخدام الفلاسفة للتأمل العقلى جعل نظرتهم فى التفسير **كلية شاملة**. ودفعهم إلى البحث عن العلل البعيدة التى تتحكم فى كل ظواهر الوجود، والتى يرتبونها فى نظام **عقلى منسق**، أصبح يعرف عندهم باسم «**المذهب الفلسفى**». ويُلاحظ أن هذا المذهب التفسيرى للوجود يختلف من فيلسوف إلى آخر. وذلك حسب ظروف وعقلية كل فيلسوف على حدة.

٤ – **الأسلوب العلمى** : إن الأسلوب العلمى فى تناوله لهذه الظاهرة الطبيعية عن البرق والرعد يختلف جوهريًا عن الأساليب السابقة، فالعالم **يحلل** تلك الظاهرة ليعرف **الأسباب المادية المباشرة** التى تؤدى إلى حدوثها دون نظر إلى أسبابها البعيدة، وهو هنا لا يستخدم التأمل العقلى المجرد وإنما **يستخدم الحواس والأجهزة المختلفة** ويجرى **التجارب العملية** المتعددة لاكتشاف الأسباب المباشرة لهذه الظواهر فقط، وحيث يمكن فى النهاية التوصل إلى قانون محدد.

يتوصل العالم بعد ذلك إلى اكتشاف قانون محدد يفسر به ظاهرة البرق والرعد، فهى عبارة عن تفريغ للشحنات الكهربية غير المتجانسة بين الأجزاء العليا والسفلى فى السحب، وينتج عن ذلك حدوث ضوء – هو البرق – وحدوث صوت – هو الرعد – ويستطيع العالم بعد ذلك أن يستفيد من النتائج العملية المترتبة على هذا الاكتشاف . مثل: تحاشى حدوث الصواعق بالتكنولوجيا التى تزيد من سيطرة الإنسان على الطبيعة.

ويمكن للمعلم أن يذكر أى مثال آخر.

لكن مع بداية عصر النهضة حديثًا واكتشاف المنهج التجريبى ثم ازدياد تقدم ورقى العقل البشرى وانتشار مبدأ التخصص بدأت مجموعات من العلوم تنفصل عن الفلسفة تدريجيًا لعدم ملاءمة منهجها التأملى العقلى مع طبيعة تلك العلوم، **فانفصلت العلوم الطبيعية عن الفلسفة واستخدمت المنهج التجريبى، واستقلت -أيضًا- العلوم الرياضية بمنهجها التحليلى الرياضى. وانفصل -أيضًا- كثير من العلوم الأخرى التى أصبح لكل منها منهجها الخاص به مثل الفلك والموسيقى والاجتماع وغيرها من العلوم الأخرى التى قطعت صلتها بالحقل الفلسفى وبالمنهج التأملى العقلى.**

إذن ماذا بقى من موضوعات تبحثها الفلسفة فى الوقت الحاضر. لقد بقيت فى الفلسفة ثلاثة مباحث رئيسية وعدة مباحث أخرى فرعية تتوافق كلها مع المنهج التأملى الفلسفى، وتتسم جميعها بالطَّابَع العقلى الكلى والارتداد إلى المبادئ الأولى، وذلك حسب المعانى السابقة للفلسفة، تلك المباحث الرئيسية هى: مبحث الوجود، ومبحث المعرفة، ومبحث القيم. أما المباحث الفرعية: فمنها فلسفة الدين، وفلسفة القانون، وفلسفة التاريخ.

- فما طبيعة كل مبحث منها؟ وما أهم مشكلاته وموضوعاته؟

أ - المباحث الرئيسية للفلسفة حاليًا:

فيما يلى عرض موجز لكل مبحث من تلك المباحث الثلاثة الرئيسية للفلسفة:

أولاً: مبحث الوجود ومشكلاته:

ويطلق عليه أيضًا فى اللغات الأوروبية «الأنطولوجيا» وهو يدرس الوجود عامة وفى صورته الكلية وذلك مقابل بقية العلوم الأخرى من طبيعية وإنسانية والتى تدرس جوانب محددة من هذا الوجود وتهتم فقط بدراسة بعض الظواهر الجزئية المتشابهة، بينما يهتم «مبحث الوجود» بدراسة ما هو أبعد وأعلى من الظواهر الجزئية المتغيرة أى «ما بعد الطبيعة» أو «الميتافيزيقا» باللغات الأوروبية.

إن هذا المبحث يدرس الوجود ككل ويبحث فى خصائصه الأساسية العامة ويحاول كشف القوانين الكلية التى تفسر حقيقة الوجود وتكشف عن جوهره، ومن أمثلة الموضوعات والمشكلات التى يتعرض لها هذا المبحث محاولة اكتشاف قوانين المادة والحركة فى الوجود كله وهل هى عشوائية أم منظمة؟ وما علاقتها بالله تعالى؟ وهل هذا الوجود فى حقيقته مادى فقط؟ أم روحى خالص؟ أم هو مزيج من المادة والروح؟ وغير ذلك من المشكلات والموضوعات الأخرى المرتبطة بالوجود الكلى.

ثانيًا : مبحث المعرفة ومشكلاته:

ويطلق عليه فى اللغات الأوروبية اسم «الأبستمولوجيا» أو «نظرية المعرفة»، وهو يرتبط بالمبحث السابق لأنه يدور حول مدى إمكانية معرفة هذا الوجود ووسائل إدراكه والعلم به، إنه يدرس المعرفة الإنسانية عامة من حيث طبيعتها وهل يمكن أن تكون المعرفة كاملة وشاملة لكل حقائق الوجود؟ أم هى مقصورة على ما يظهر فقط لنا من هذا الوجود دون الباطن الخفى فيه؟ وهل نستطيع التوصل إلى حقائق يقينية؟ أم أن معارفنا قابلة للشك؟ ويهتم هذا المبحث أيضا بدراسة وسائل المعرفة والموازنة بين الحواس والعقل والحدس مع بيان طبيعة كل منها وحدودها وأيها أكثر دقة من غيرها.

ثالثًا: مبحث القيم ومشكلاته:

ويطلق على هذا المبحث فى اللغات الأوروبية اسم «الأكسيولوجيا» ويتعرض لدراسة المثل العليا والكشف عن ماهيات القيم المطلقة التى يسعى الجميع لتحقيقها فى حياتهم وتوجد ثلاث قيم أساسية.. لكل واحدة منها

المبادئ القريبة وتلك العلل المباشرة مادية تحتاج فى دراستها إلى الحواس والمنهج التجريبى، وهى كلها مستبعدة عن الفيلسوف الذى يستخدم التأمل العقلى مستهدفًا إدراك المبادئ الأولى والعلل البعيدة التى هى بطبيعتها عقلية مجردة.

وإذا تمكن الفيلسوف من إدراك تلك المبادئ الأولى للوجود فإنه يكون قد حصل على أشرف المعارف وأكملها، ويمكنه بذلك أن يفسر كافة الحقائق الجزئية المادية بردها إلى أصولها العقلية الأولى وعللها الحقيقية البعيدة، فمثلا لا يكتفى الفيلسوف بمعرفة أن السبب المباشر لنمو النبات هو توافر الماء والهواء والشمس حسب ما توصل إليها عالم النبات التجريبى، وباعتبار أن تلك هى العلل المادية القريبة لنمو النبات وإنما يريد الفيلسوف أن يرتقى إلى أعلى من ذلك لكى يدرك العلل العقلية البعيدة والمبادئ العامة ليس فقط لنمو النبات وحده وإنما لنمو الحيوان والإنسان أيضًا وكل الكائنات الحية الأخرى، وهكذا الحال فى تفسير بقية ظواهر الوجود التى يسعى الفيلسوف لمعرفة مبادئها الأولى وأصولها البعيدة التى تفسر بقية الظواهر الأخرى فى الوجود كله.

ويلاحظ هنا أن هذا التعريف الثانى للفلسفة باعتبارها علم المبادئ الأولى لكل ظواهر الوجود يقترب كثيرًا من التعريف السابق للفلسفة، وهو أنها علم المعرفة الكلية. لأن المبادئ الأولى والعلل البعيدة للموجودات هى بطبيعتها كلية عامة وتتصف بالطابع العقلى المجرد، ومن ثَمَّ يحتاج الفيلسوف فى دراستها إلى التأمل العقلى؛ لكى يصوغ كل حقائقها فى مذهب شخصى ينسب إلى صاحبه(الفيلسوف وحده).

- التعريف الثالث : «**الفلسفة وجهة نظر عقلية تجاه موقف ما أو ظاهرة معينة فى حياة الإنسان**». وعادة ما تكون وجهة النظر هذه نابعة من خبرات الفرد وحياته الخاصة ومن ظروف المجتمع وقد تؤثر -أيضًا- فى السلوك اليومى لصاحبها الفيلسوف طوال حياته، إما بطريقة مباشرة واضحة، أو بطريقة غير مباشرة.

ونجد أن الفيلسوف هنا أصبح يدلى بوجهة نظره العقلية الخاصة فى تفسير بعض ظواهر الحياة والوجود كظاهرة الخير والشر عند الإنسان مثلاً، ويؤيد وجهة نظره تلك عن الخير بكل الأدلة العقلية الممكنة دون أن يكون ملزما بإعطائنا صورة كلية لمختلف ظواهر الوجود، وقد يأتى فيلسوف آخر غيره يدلى بوجهة نظره الخاصة فى نفس ظاهرة الخير والشر، ولكن فى هيئة رأى مخالف لرأى الفيلسوف السابق ومدعمًا أيضًا بالأدلة العقلية الكافية ومتأثرًا فى ذلك بخبرات حياته الخاصة وبظروف مجتمعه.

٣ - مباحث الفلسفة ومشكلاتها الأساسية

تحول موضوع الفلسفة من كل المعارف إلى بعض المباحث:

كان الفلاسفة فى العصر اليونانى القديم ثم فى العصر المسيحى والإسلامى الوسيط وحتى أوائل عصر النهضة الأوروبية ينظرون إلى الفلسفة بوصفها «علم العلوم»، لذلك جعلوا موضوعها يشمل كل المعارف الإنسانية. وتناولوا بالبحث الفلسفى مختلف موضوعات الفكر والحياة والوجود. ولذلك كانت الفلسفة عندهم تضم موضوعات إلهية وطبيعية وإنسانية إلى جانب المنطق وعلم النفس والأخلاق والرياضيات والموسيقى والفلك وغيرها من العلوم الأخرى المتعددة، والتى كانت ترتد كلها عند القدماء إلى الفلسفة وتتوافق مع مفهوم الفلسفة عندهم باعتبارها علم العلوم وعلم المعرفة الكلية الشاملة وعلم المبادئ الأولى لكل ظواهر الوجود.

أسئلة وأنشطة

١ ـ اعقد مقارنة بين الأسلوب الخرافى والأسلوب العلمى. مع ذكر مثال.

٢ ـ هات من عندك مثالاً لمشكلة ما وطبق عليه الأساليب المختلفة للتفكير.

٣ ـ علل:

(أ) الفلسفة هى المعرفة العقلية الكلية.

(ب) ظلت الفلسفة علم العلوم حتى عصر النهضة.

(جـ) الفلسفة وجهة نظر عقلية تجاه موقف ما.

٤ ـ هل ترى ثمة اختلافًا بين فكر الإنسان العادى والفيلسوف؟ علل لوجهة نظرك.

٥ ـ تخير من المجموعة (ب) ما يناسب كل مبحث فى المجموعة (أ):

(أ)	(ب)
١ – مبحث المعرفة	أ – يتناول إمكانية الحواس والعقل والحدس فى الإدراك الصحيح.
٢ – مبحث القيم	ب – يتعرض لدراسة المثل العليا.
	جـ – يعنى بالنظرة التحليلية العقلية للكون.

٦ ـ وضح موقفك النقدى من تعريفات الفلسفة.

علم يدرس موضوعاتها وذلك كما يلى :

١ – **قيمة الحق ويدرسها علم المنطق** الذى يختص ببيان القواعد التى ينبغى على الفرد اتباعها لكى يكون تفكيره صحيحا.

٢ – **قيمة الخير ويدرسها علم الأخلاق** وهو يختص أيضًا ببيان القواعد التى ينبغى على الفرد اتباعها لكى تتوافق أفعاله وسلوكه مع مبادئ الخير والأخلاق الطيبة.

٣ – **قيمة الجمال ويدرسها علم الجمال** الذى يبحث فى القواعد والمعايير التى يجب توافرها فى أى عمل نطلق عليه صفة «الجمال».

ب– المباحث الفرعية للفلسفة إلى جانب المباحث الثلاثة السابقة والتى تعتبر رئيسية فى الفلسفة «الوجود والمعرفة والقيم» توجد مباحث أخرى فرعية للفلسفة ومن أمثلتها:

١ – **فلسفة الدين**: وهدفها تدعيم الإيمان بالله والعقائد الدينية الأخرى بواسطة الأدلة العقلية والحجج المنطقية مع كشف حقيقة الإيمان وطبيعة الاعتقاد عامة دون الاعتماد على دين معين.

٢ – **فلسفة القانون** : وتدرس الأسس العامة التى يقوم عليها القانون مع بيان علاقته بمبادئ الأخلاق وفكرة العدالة والبحث فى مدى ارتباط القانون بفكرة الإلزام والحرية وذلك دون نظر إلى قانون دولة معينة.

٣ – **فلسفة التاريخ** وهى لا تهتم بتقرير وقائع التاريخ الجزئى، ولا ترصد أو تثبت مجرى أحداث التاريخ المتغير وإنما هدفها كشف القوانين العامة والمبادئ الأساسية التى تحكم سير الأحداث التاريخية عامة ومعرفة الحقيقة الكلية الكامنة خلف تطور التاريخ البشرى عامة.

ما يكون إيمانهم طبيعيا بسيطا يعتمد على التسليم بأمور الدين كظاهرة موروثة من الآباء ودون مناقشة عقلية. وهذا الإيمان الطبيعى بالله يمثل جانبا أوليا وأساسيا من جوانب الإيمان، واعترف بقيمته كثير من المفكرين. لكن يوجد جانب آخر أكثر عمقا يجعل الإيمان بأمور الدين قائما على أسس برهانية مقبولة فى ضوء العقل بدلا من المسلمات الموروثة. وهذا ما تحاول الفلسفة أن تؤديه فى هذا المجال الدينى.

٢ـ ارتباط الفلسفة بتقدم المجتمع

لا تقل قيمة الفلسفة وأهميتها للمجتمع عن دورها السابق لدى الفرد، بل إن أهميتها الاجتماعية تزيد بالنسبة لتغيير المجتمع والمساعدة على تطويره، وفيما يلى أبرز أدوار الفلسفة فى دعم عجلة التقدم فى المجتمع.

أولا: الارتقاء بالمجتمع ككل:

إن كل نفع يعود على الفرد من دراسة الفلسفة هو فى نفس الوقت نفع للجماعة التى يعيش فيها. وكلما ازداد رقى أفراد المجتمع.. أدى ذلك إلى تقدم المجتمع نفسه. مادام كل أفراده ومواطنيه على هذا القدر الراقى من التفكير النقدى العميق الذى تفرزه فيهم دراسة الفلسفة، وحيث يمكن الاستفادة من تلك العقول الناضجة فى تنظيم مختلف شئون الحياة وتعويد أفراد المجتمع على أن ينظموا أنفسهم ويعرفوا حقوقهم وواجباتهم، ويعملوا على تضافر جهودهم الفردية مع جهود الدولة الرسمية لبناء مجتمعهم ودفعه فى طريق التقدم.. أما بدون ارتقاء الوعى الفردى ونضج عقلية الإنسان ـ الذى تساعد دراسة الفلسفة على تنميته ـ فإنه لا يمكن تحقيق كل أهداف المجتمع فى الرقى والتقدم.

ثانيا: كشف مشكلات المجتمع:

مادامت أن الفلسفة توسع الأفق العقلى للفرد فإنه يمكن لهذا الفرد بعد ذلك أن يكشف مشكلات مجتمعه بصورة دقيقة، ومن ثم يستطيع أن يساهم فى علاجها. والفيلسوف عادة ما يوجه جهده الفلسفى لكشف المشكلات الاجتماعية. ويسعى لتحليلها كى يصل إلى أسبابها البعيدة ومبادئها الأولى لكى يتمكن حينئذ من وضع الحلول الجذرية لمثل هذه المشكلات.

وقد أدرك غالبية الفلاسفة فى مختلف عصور الفلسفة، الأهمية الاجتماعية لدورهم فى نقد الحياة الاجتماعية، وتحليل مشكلات المجتمع بحثا عن حلولها والمساهمة فى علاجها. لذلك وجهوا كثيرا من جهودهم الفلسفية وجهة إنسانية اجتماعية بدلا من الإغراق تماما فى دراسة مشكلات الوجود المجرد.

ويزخر تاريخ الفلسفة بالأمثلة العديدة التى تؤكد أهمية الدور الاجتماعى للفيلسوف فى علاج مشكلات مجتمعه والأخذ بيده فى طريق التقدم. ومنها:

- «**سقراط**» استطاع بعقليته الفلسفية التحليلية الناقدة، أن يتصدى للفساد الذى انتشر فى مجتمعه اليونانى القديم على يد «السوفسطائيين» وأن يعيد الثقة إلى نفوس شباب أثينا.
- «**الإمام الغزالى**» استطاع أن يعالج الانحرافات التى بدأت تنتشر فى عصره، ونشر الدعوة إلى غرس الإيمان بين الشباب وحفزهم على التمسك بأصول الدين.
- «**جون ستيوارت ميل**» الفيلسوف الإنجليزى الذى ساهم بإيجابية فى تطوير «انجلترا» فى القرن التاسع عشر اقتصاديا وسياسيا من خلال نظرياته الفلسفية عن الحرية والمنفعة العامة التى انعكست آثارها فى المجتمع.

الفصل الثانى

ارتباط الفلسفة بالإنسان والمجتمع وظروف العصر

مقدمة:

إن الفيلسوف عضو يعيش فى جماعة قبل أن يكون فيلسوفًـا. وهو يتأثر بأحداث مجتمعه. ويؤثر فيها. ولكن نظرته العميقة للأمور وتحليله المستمر للمبادئ الأولى والعلل البعيدة لمختلف ظواهر المجتمع. كل هذا يجعله أكثر دقة وأشد استيعابا لأحداث مجتمعه وظروف حياته من غيره من الأفراد العاديين الذين ليست لديهم مثل قدرته العقلية التحليلية الناقدة. ومن هنا يكون محل نظر الآخرين. لذلك فإن الجهد الفلسفى أصبح أكثر ارتباطا بالبحث فى مشكلات الإنسان والمجتمع عن البحث فى مشكلات الكون والوجود خاصة بعد ازدياد تعقد الحياة الاجتماعية فى العصور الحديثة والمعاصرة.

وسوف نستعرض فى الفقرات التالية مظاهر ارتباط الفلسفة بالحياة الإنسانية، والتى تمتد إلى ثلاثة مجالات: ارتباطها بالإنسان، ثم ارتباطها بتقدم المجتمع وأخيرا ارتباطها بظروف العصر وتحقيق السلام العالمى.

١ ـ ارتباط الفلسفة بالإنسان

أولا: إثارة وتعميق الوعى الإنسانى:

تثير الفلسفة الوعى عند الإنسان وتجعله يتعقل حياته بدلا من أن يعيشها هكذا على علاتها. إن رتابة الحياة تجعلنا بمضى الزمن لا نلتفت إلى إدراك حقيقتها، لكن الوعى الفلسفى يكشف لنا عن مضامين الحياة ويوضح للفرد مكانه فيها. ويبرز له أهدافه من هذه الحياة، بل يدفعه إلى تطوير حياته وفقا لأهداف أخرى أكثر عمقا. إن الفلسفة توقظ الإنسان من سباته العميق وتساعده على إدراك ماهية نفسه وحدود حريته ومكانته فى الوجود عامة والمجتمع خاصة. ومثل هذا الإدراك العميق، وذلك التعقل الواسع لحياة الإنسان يتحقق بواسطة الفلسفة.

ثانيا: الارتفاع بالمستوى العقلى وحل المشكلات:

تعمل الفلسفة على تنمية تفكير الإنسان والارتفاع بمستواه العقلى. أكثر من العلوم والمعارف البشرية الأخرى، وذلك لأنها تعتمد على التفكير العقلى المجرد. والاستعانة بالأدلة المنطقية التى يحتاج إليها الفرد لتدعيم وجهة نظره الخاصة فى الحياة.

إن دراسة وجهات نظر الفلاسفة فى مختلف مشكلات الحياة. ومعرفة آرائهم فى حل تلك المشكلات لابد أن تساعد على تنمية تفكير الفرد والارتقاء بعقليته أكثر مما لو لم يدرس هذه المشكلات، ولم يتمرس فى خباياها وأصولها، حيث يتمكن فيما بعد من استخدام عقليته الناضجة لحل مشكلات حياته الخاصة بطريقة سليمة.

ثالثًا: تأكيد الإيمان والثقة بقدرة الله:

تسعى الفلسفة أيضًا إلى بث الثقة فى نفس الإنسان وتأكيد إيمانه بالله والدين على أساس من الاقتناع العقلى. إن غالبية الذين يؤمنون بالله والرسل واليوم الآخر، وغير ذلك من أمور الدين بمختلف أنواعه عادة

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » (الحجرات: ١٣) وقول النبى صلى الله عليه وسلم (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح) وتعتبر المدينة الفاضلة فى رأى الفارابى هى التى يشيع فيها التعاون - لا الصراع والشقاق - بين أفرادها لتحصيل السعادة، فإذا ما تحقق التعاون بين المواطنين أصبحت المدينة فاضلة واتسم أهلها بالنظام والعلم.

٢ - «كانط»:

من أوائل الدعاة حديثا إلى تأسيس ما يشبه هيئة متحدة لأمم العالم تعمل على دعم التعاون بين الأمم وحل المشكلات العالمية سلميا، وتأكيد الحرية والطمأنينة عند الشعوب كلها، وغير ذلك من الآراء التى عرضها فى كتابه «مشروع السلام الدائم» وقد تحقق كثير من تلك الآمال فى القرن العشرين.

٣ - «كارل ياسبرز»:

الفيلسوف الألمانى الذى كتب فى أعماله الفلسفية عن القنبلة الذرية موضحا من الناحية الفلسفية خطرها، والذى يتمثل فى التهديد المستمر باستخدامها، والذى يولد الخوف الدائم والقلق المتواصل، وما يؤدى إليه من تقييد للحرية واضطراب فى السلوك والعمل، وطالب «ياسبرز» الفلاسفة والعلماء والسياسيين فى مختلف الدول بأن يوحدوا جهودهم للحد من هذا الخطر الذرى ونشر الطمأنينة بين الناس.

٤ - «برتراند راسل»:

الفيلسوف البريطانى الذى ندد بالخطر النفسى والاجتماعى للتهديد بالقنبلة الذرية، ورأى أن السلام العالمى لن يتحقق إلا بحرية الشعوب. وليس باستعمارها لذلك هاجم سياسة بلاده الاستعمارية وندد برغبة أمريكا فى السيطرة على العالم، وقد أقام محكمة رمزية للسلام العالمى، تولى فيها مع زملائه الفلاسفة محاكمة من أسماهم بـ «مجرمى الحرب» وهم رؤساء وقادة الدول الذين يهددون بإعلان الحرب، ويثيرون الرعب بين الشعوب.

٥ - «جان بول سارتر»:

الفيلسوف الفرنسى الذى خاض غمار العمل السياسى فى بلاده، وربط الدعوة للسلام بفلسفته فى الدعوة للحرية الفردية، لأن السلام هو الحرية. وكان أول ثائر على فرنسا وعارض حربها الاستعمارية فى الجزائر على الخصوص. وكانت جهوده مع زملائه الفلاسفة والمفكرين من العوامل الأساسية التى أجبرت فرنسا على منح الاستقلال والحرية للجزائر.

ثالثًا: تحديد الإطار الفكرى «الأيديولوجى» للمجتمع:

تتمثل أيضا أهمية الفلسفة بالنسبة للمجتمع فى أنها تسهم فى تحديد الإطار الفكرى والمبادئ النظرية التى يسير وفقا لها العمل الوطنى فى المجتمع. إن السلوك العام لمواطنى أى مجتمع ليس سلوكا عشوائيا. إنما هو يقوم دائما على أسس فكرية تنظمه ويندرج تحت أطر عامة تحدده هذه الأسس. وتلك الأطر الفكرية تختلف من مجتمع إلى آخر حسب ظروفه الخاصة. وهى تمثل البناء النظرى لهذا المجتمع والذى يمكن من خلاله تفسير النشاط الاقتصادى والسياسى، والاجتماعى، والقانونى.. إلخ، لغالبية أفراد المجتمع.

وإن استخلاص هذا الجانب النظرى، وتلك الأسس الفكرية للحياة العملية فى المجتمع يعتبر من صميم عمل الفلاسفة ورجال الفكر على العموم، والذين فى مقدورهم الارتداد والرجوع من المعاملات والأحداث الجزئية فى المجتمع.. إلى أصولها الفكرية ومبادئها النظرية البعيدة بواسطة المنهج الفلسفى التحليلى.

من هنا تبرز أهمية الفلسفة بالنسبة للمجتمع، حيث يساهم الفلاسفة بجهودهم فى استخلاص هذه الجوانب النظرية. وتلك المبادئ الفكرية للمجتمع. والتى تساعد بعد ذلك على فهم السلوك العملى للأفراد. والممارسات الجزئية اليومية لمختلف الأنشطة فى المجتمع.

٣ـ ارتباط الفلسفة بظروف العصر

الحروب العالمية والحاجة للسلام:

إن أهمية الفلسفة للمجتمع العالمى حاليا لا تقل قيمة عن أهميتها الفردية، والاجتماعية السابقة. لقد خاض المجتمع البشرى فى القرن العشرين حربين عالميتين. وهو مهدد حاليا بحرب ثالثة نووية تحمل فى ثناياها الدمار الشامل للمهزوم والمنتصر على السواء. وقد أدى هذا الخطر بالمفكرين إلى الانزعاج ودفعهم إلى البحث عن سبل تحقيق السلام، والذى أصبحت مهمته ملقاة على أكتاف رجال السياسة والعلماء ورجال الدين، وكذلك الفلاسفة وكل رجال الفكر.

فى ظل هذه الظروف.. لم يصبح رجال الحكم والسياسة، وحدهم المهتمين بالدعوة إلى إقرار السلام، وإنما يشاركهم فى ذلك كافة رجال الفكر على العموم والفلاسفة على الخصوص، الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للخوض فى غمار العمل السياسى وتسخير فلسفاتهم للدعوة إلى السلام العالمى، باعتبار أن الفيلسوف مواطن فى أحد مجتمعات العالم، يتأثر بكل أحداثه ويستطيع أن يؤثر فيها. وعلى أساس أن الفيلسوف يمثل «ضمير العصر» الذى يجب أن يساهم بجهوده فى إقرار السلام.

أمثلة لجهود الفلاسفة فى الدعوة للسلام: ظهر اتجاه الفلاسفة للدعوة إلى السلام العالمى مبكرًا منذ عصر «الفارابى» ٨٧٠ – ٩٥٠م.. مرورا بالفيلسوف الألمانى «إيمانويل كانط» ١٧٢٤ – ١٨٠٤م ثم ازداد وضوحا فى القرن العشرين بسبب ازدياد التوتر العالمى حاليًا.

١ ـ «الفارابى»:

أول من نادى بالمجتمع الإنسانى العالمى، الذى يسوده التعاون والسلام بين جميع أفراده لتحقيق سعادة الإنسان على وجه المعمورة وكأنه يتنبأ بالأمم المتحدة التى تضم مختلف دول العالم.

ولعل الفارابى قد تأثر بتعاليم الإسلام الحنيف متمثلا فى قوله تعالى: «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

الباب الثانى

الإنسان ومشكلة الشك واليقين

الفصل الأول: الشك واليقين .

الفصل الثانى: الشك المذهبى والانهيار الحضارى.

الفصل الثالث: الشك المنهجى والبناء الحضارى.

أسئلة وأنشطة

١ ـ اكتب حديثا. تلقيه فى إذاعة المدرسة بعنوان «دور الفلسفة فى مواجهة مشكلات المجتمع».

٢ ـ حدد موقفك النقدى من القضايا التالية:

(أ) التفلسف مجرد متعة عقلية.

(ب) الفيلسوف أشد تأثرا بأحداث المجتمع.

(جـ) يهتم الفلاسفة بمشكلة الاستعمار.

(د) يزداد الوعى الفردى بدراسة الفلسفة.

٣ ـ كيف تسهم الفلسفة فى تحديد «أيديولوجية» المجتمع.؟

٤ ـ علل: تعمل الفلسفة على الارتقاء بالمجتمع ككل.

٥ ـ ناقش مع مدرسك كيف تعمل الفلسفة على إثارة وتعميق الوعى الفردى.

٦ ـ ترتبط الفلسفة بتحقيق السلام العالمى ـ دلل بالأمثلة.

٧ ـ الفيلسوف «ضمير العصر» ـ عقب برأيك .

الفصل الأول

الشك واليقين

مقدمة:

تعتبر مشكلة الشك واليقين: ضمن المشكلات الأساسية التى يتناولها مبحث المعرفة وبخاصة موضوع «إمكان المعرفة وحدودها» وتدور حول مدى إمكان قيام معرفة عندنا بالعالم الخارجى. وبمعنى آخر هل يمكن أن تتكون عندنا معرفة يقينية صحيحة عن العالم الخارجى؟ أم أننا نعجز عن ذلك. وأن معارفنا عن هذا العالم ظنية تخضع للشك ولا ترقى إلى مستوى اليقين؟

وفى هذا المجال ظهرت مجموعتان من المذاهب الفلسفية.

أولاً: مذاهب الشك بمختلف أنواعه.

ثانياً: مذاهب اليقين بمختلف أنواعه.

والآن ماذا نعنى بكل من الشك واليقين ؟ وما خصائص كل منهما والعلاقات التى تربط بينهما؟

١- الشك: تعريفه وخصائصه:

(أ) تعريف الشك:

- عرف «الجرجانى» الشك فى معجمه الفلسفى «التعريفات» بقوله : هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك. وقيل إن الشك هو مااستوى طرفاه وهو الوقوف بين الشيئين لايميل القلب إلى أحدهما. وهذا التعريف العربى القديم للشك يؤدى المعنى الصحيح والشائع للشك عامة. والذى يستخدمه الفلاسفة قديمًا وحديثا فى الشرق والغرب.

(ب) خصائص الشك: تتمثل فى النقاط الأربع التالية:

١- الخاصية الأولى للشك: **توقف الشخص الشاك عن إصدار أحكامه سواء بالقبول أو بالرفض**، وذلك كما جاء فى تعريف الشك بأنه «التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر »، أى إننى أظل أتردد فقط دون أن أحكم بإثبات نقيض أو نفيه.

٢- الخاصية الثانية للشك: **قدرة الشخص الشاك على الاختيار والانتقاء بين النقيضين**. ولكنه رغم ذلك يرفضهما معا. وبدون هذه القدرة لا يكون الموقف شكا، وإنما عجزاً، فمثلاً إذا كنت أرفض التفسير المادى لتطور المجتمع وأشك فى قيمته. فإن هذا الموقف يفترض أيضاً إمكانية الشك فى النقيض الآخر وهو التفسير الروحى.

إن الذى يشك يجب أن تكون لديه القدرة أولا على الاختيار بين النقيضين، ثم يرفض برغبته إصدار حكمه بالإيجاب أو السلب على أى من هذين النقيضين، وأنه إذا كان يشك فى أحد النقيضين فإنه يشك أيضاً فى النقيض الثانى. لكى يتحقق الموقف الشكى كاملا.

٣- الخاصية الثالثة للشك: **إن الشك تعبير عن الحرية الذاتية للفرد.** وهذه الخاصية نتيجة حتمية

٥- **هدام**: وتعتبر هذه الخاصية نتيجة حتمية للخصائص السابقة، حيث لابد أن يتصف هذا النوع من الشك بالهدم فقط دون البناء.

(ب) - **النوع الثانى**: هو الشك المنهجى، ويتصف بالخصا ئص التالية:

١- **منهجى**: لأن صاحبه يتخذه منهجا فقط للتفكير، دون أن يتمسك به مذهبا.

٢- **مؤقت**: إن كل منهج للتفكير لابد أن يكون استخدامه مؤقتا لحين تحقيق أهدافه المرجوة منه.

٣- **وسيلة مؤقتة**: فالشك هنا وسيلة مؤقتة لتحقيق أهداف أبعد منه وأعلى.

٤- **يؤدى إلى اليقين**: يعتبر هو الهدف الأساسى الذى نسعى إليه من استخدامنا لوسيلة الشك المؤقت.

٥- **بناء** : هذه نتيجة حتمية مترتبة على الخصائص السابقة، إذ طالما الشك المنهجى يستهدف اليقين، فهو إذن شك بناء نافع للفرد والمجتمع معا.

للخاصيتين السابقتين، فمادام الإنسان الشاك يرفض الانحياز إلى أحد النقيضين ، ومادامت لديه القدرة على الاختيار والانتقاء بينهما، لكنه رفض كليهما معا، فالأمر يعنى بالضرورة أن مثل هذا الشخص يمارس نوعا من الحرية الذاتية فى أن يحكم أو لا يحكم، وأنه اختار ألا يحكم قطعيا واتخذ موقف الشك بإرادته الحرة دون أى إجبار.

٤- **الخاصية الرابعة للشك:** **الشك ليس جهلا فالشك موقف عقلى واعٍ واتجاه فلسفى يتخذه صاحبه بعد تفكير عميق وتدبير طويل**. وبالتالى يجب على الشخص الشاك – حسب هذه الخاصية – ألا يقف صامتا وهو يرفض، وإنما عليه أن يناقش كل الآراء ويفندها، ثم ينتقل بعد ذلك إلى نقيضها ويفندها أيضاً.

٢- اليقين - تعريفه وخصائصه

(أ) معنى اليقين: «اليقين هو الإقرار بصحة موقف معين، والتأكد من صواب الأدلة المدعمة لهذا الموقف دون غيره من المواقف الأخرى».

(ب) خصائص اليقين:

وعلى هذا، يتصف اليقين بخاصيتين أساسيتين هما:

١- **الخاصية الأولى لليقين:** **الانحياز الواضح الصريح لأحد مواقف أو أطراف المشكلة**، وترجيحه بالأدلة الكافية عن غيره من المواقف والأطراف الأخرى ، إن هذا الانحياز وذلك الترجيح من الشخص يتطلب الأدلة المؤكدة لموقفه، ويحتاج إلى الإثباتات المختلفة التى تجعله على يقين من رأيه ، وبدون ذلك لايمكن أن يكون هذا الموقف يقينيا أبدا، وإنما يكون مجرد موافقة عمياء فقط.

٢- **الخاصية الثانية لليقين:** **هو القدرة على الاختيار وعلى إثبات صحة أحد النقيضين** والانحياز له دون الآخر لكن بالأدلة المدعمة لهذا الانحياز، وبمختلف البراهين الممكنة، أى أن الموقف اليقينى يتسم بالحرية فى الاختيار.

٣- أنواع الشك

حين نسأل الشخص الشاك عن الهدف أو الغاية التى من أجلها يمارس الشك، **فالإجابة من الناحية الفلسفية لن تخرج عن أحد الرأيين التاليين :إما أن هذا الشخص يشك حبا للشك فى ذاته وسعيا وراء تقويض أية حقيقة ممكنة، أو أنه يشك مؤقتا فى الحقيقة تمهيدا للتوصل بعد ذلك إلى الحقائق اليقينية الثابتة.**

هناك نوعان من الشك هما شك مذهبى دائم، و شك منهجى مؤقت، وتفصيل ذلك كما يلى:

(أ) – النوع الأول: هو الشك المذهبى. ويتصف بالخصائص التالية:

١- **مذهبى:** لأن صاحبه يتخذه مذهبا لنفسه فى التفكير والحياة.

٢- **دائم :** لأن صاحبه يظل معتنقا له عن اقتناع بصحته دون التفكير فى تغييره، خاصة بعد أن أصبح مذهبا عند صاحبه.

٣- **هدف فى ذاته :** إذا كان هذا الشك يتخذه صاحبه مذهبا محددا له وكان أيضا دائما لا يتغير فهذايعنى أن الشك يصبح حينئذ هدفا مطلوبا فى ذاته.

٤- **يؤدى إلى الشك:** مادام الشك هدفا فى ذاته، فإن ذلك يعنى أن ممارسة هذا الشك لا يؤدى إلى نتيجة جديدة خلاف الشك نفسه.

الفصل الثانى

الشك المذهبى والانهيار الحضارى

ارتباط الشك المذهبى بتفكك وانهيار المجتمع:

إن استقراء المجتمعات الإنسانية عامة والحضارة الخاصة بكل مجتمع منها. يلاحظ وجود ظاهرة مشتركة بينها، تتمثل فى أن أى مجتمع عندما يكتمل ازدهاره وتنضج حضارته، يبدأ فى مرحلة الشيخوخة والانهيار تدريجيا. حيث تتفكك جوانب المجتمع ، وتنحل القيم وتتدهور الأخلاق، وينزوى الفكر الإبداعى الراقى ويحل محله التقليد والنقل والاكتفاء بالاقتباس، ويضعف كيان المجتمع، وتنتشر الأفكار التشاؤمية واللامبالاة إلى جانب مشاعر اليأس والانهزامية.

وفى مثل هذه الظروف السيئة للمجتمع المنهار، يظهر عادة الشك المذهبى الهدام الذى يجد فى تربته الجو الملائم للنمو والانتشار ، بل يعتبر مثل هذا النوع من الشك وسيلة هامة لاستكمال هدم الحياة الفكرية والاجتماعية والأخلاقية فى عصور انهيار المجتمعات. لكن هذا الشك المذهبى الهدام لايمكن أن يظهر فى مراحل بناء المجتمعات، ولا فى وقت نضجها الحضارى، لأن ذلك لايمثل الظروف الملائمة لنشأته وانتشاره.

الشك المذهبى «الشك السوفسطائى»:

وتأكيدا لصحة هذه الفكرة سوف ندرس حركة السوفسطائيين، كما تتمثل عند أشهر رجالهم «بروتاجوراس» وذلك حين ظهروا فى مرحلة كان المجتمع اليونانى يعانى فيها من أزمة عامة، كان يمكنها تدمير الحياة الاجتماعية اليونانية لولا جهود سقراط ومن بعده أفلاطون وأرسطو.

ظهور الشك المذهبى «السوفسطائى»:

بدأ الشك المذهبى فى الظهور أولا عند اليونانيين القدماء، وخاصة فى الفترة السابقة على سقراط، واستمر حتى وقته، وقد حمل لواء هذا الشك طائفة من اليونانيين عرفوا فى التاريخ باسم «السوفسطائيين».

وكان الأصل الحقيقى لمعنى كلمة «سوفسطائى» هو «المعلم» أو «معلم الخطابة» على الخصوص، ولاشك أنه كان معنى مشرفا لصاحبه، لكن هذا المعنى تدهور بعد ذلك وظل ينهار تدريجيا حتى أصبح محتقرا فى المجتمع اليونانى، وقد اعتبر سقراط أن السوفسطائيين قد حوروا المعنى الحقيقى للكلمة وغيروا من طبيعتها - وهى التعليم والخطابة - لكى يمارسوا الألاعيب اللغوية والمغالطات المنطقية، التى تجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقا، واستغلوا قدراتهم تلك فى الدفاع عن المتهمين أمام المحاكم لتبرئتهم ، رغم ثبوت التهمة عليهم، اعتمادا على تلك الألاعيب اللغوية، وهذه المغالطات المنطقية.

وقد انتشر السوفسطائيون فى مختلف أرجاء بلاد اليونان، يتاجرون فى أسواقها ومحاكمها بمقدرتهم الفائقة على الجدل والمغالطة، ويعلمون الشباب من أبناء أثينا هذه المهارات مقابل أجور عالية، وقد أدى عملهم هذا إلى انتشار موجة عاتية من الشك العام بين أبناء اليونان.

أسئلة وأنشطة :

١- اذكر مثالاً من عندك ينطبق على هذا المعنى «الشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك» ثم علل لما تقول

٢- وضح الصواب أوالخطأ مع التعليل فى العبارات التالية:

أ – الشك فى شىء معناه الجهل به.

ب – الشك تعبير عن الحرية الذاتية للفرد.

جـ – اليقين مرادف للموافقة العمياء.

د – تقع مشكلة الشك واليقين فى مبحث القيم.

٣- اعقد مقارنة بين الشك واليقين موضحا أوجه الاتفاق والاختلاف القائمة بينهما.

٤- اذكر خاصيتين فقط يتسم بهما موقف الشك، واشرحهما بمثال .

٥- عقب بوجهة نظرك الخاصة المدعمة بالأدلة على الموقف الذى يتسم بالشك المذهبى .

٦- أكمل جدول المقارنة التالى.

الشك المذهبى	الشك المنهجى
دائم لأنه	. . . . .
. . . . .	وسيلة لأنه . . . .
. . . . .	يؤدى إلى اليقين لأنه . . . .
هدام لأنه	. . . . .

٧- يبرز عنصر «الحرية» فى «الشك واليقين»؟ وضح بمثال.

وليس الإنسان العام الذى يمثل الإنسانية كلها بالمفهوم العقلى، ومادام أفراد الإنسانية مختلفين باستمرار فيما بينهم من حيث الحواس والعقول والأجسام والبيئات، وكل شىء تقريبا، إذن لن تكون هناك حقيقة واحدة مصدقة يرجع إليها الجميع ويجعلونها معيارا للصدق العام، وإنما ستكون هناك آلاف من الحقائق المختلفة عن الموضوع الواحد، وذلك حسب اختلاف الأفراد فى فهم هذا الموضوع. إلى جانب أن الإدراك الحسى نفسه غير ثابت ولاموحد بين الأفراد جميعا، ولاحتى طوال حياة الفرد الواحد، بل إنه فى تغير مستمر، ومادامت المعرفة قائمة على هذا الإدراك الحسى المتغير. إذن ستكون هى بدورها متغيرة من إنسان إلى آخر، ومن ثم ينعدم اليقين، ولايصبح هناك صواب أو خطأ، ويصبح الشك هو السمة السائدة فى الحياة والمعرفة الإنسانية عامة.

تصدى سقراط للرد على السوفسطائيين

حمل سقراط لواء التصدى للسوفسطائيين والرد على مغالطاتهم وهدم شكوكهم التى بدأت تهز كيان المجتمع اليونانى، كان «سقراط» يجوب أسواق أثينا وشوارعها ليجادل السوفسطائيين علنا فى مختلف حججهم وأغاليطهم ليثبت لهم أمام الجميع أنها متناقضة ومتهافتة عند تحليلها فى ضوء العقل السليم. وقد استخدم فى هذا الشأن نفس سلاح السوفسطائيين وهو الجدل. وذلك باستخدام المنهج السقراطى (التهكم والتوليد).

(أ) التهكم:

نشأ من اكتشاف سقراط لجهل الآخرين وعدم معرفتهم بحقيقة الأشياء التى يتحدثون عنها، والسخرية تعبر عن موقف سقراط من الجهل، والغريب أنه كان لايفرض على المتحاورين رأيا معينا أو حقيقة معينة. وكان يردد أنه مثل سائر الناس يبحث عن الحقيقة ولايعرفها. وكانت حكمة سقراط وفضيلته فى أنه كان يعلم أنه يجهل الحقيقة، بينما كان يدعى الآخرون معرفتهم بالحقيقة وهم جاهلون لها، وكان الدليل على جهلهم هو تعارض آرائهم وتناقضها.

(ب) التوليد:

هو توليد الأفكار من العقول عن طريق تحليل الألفاظ وردها إلى معانيها الحقيقية الأصلية دون مغالطة أو خديعة من أجل الوصول إلى الحقيقة.

الجانب النقدى من فلسفة سقراط:

إن المنهج الجدلى القائم على التهكم والتوليد يكشف عن مدى الروح النقدية التى تحلى بها سقراط، فقد كان الغالب على فلسفته تلك النزعة النقدية، ومع ذلك فإن هناك آراء إيجابية كثيرة لسقراط يمكن استنباطها من تلك الانتقادات التى كان دائمًا ما يوجهها إلى الآخرين ليستفزهم ويخرج ما في جعبتهم من علم زائف.

وقد استطاع «سقراط» بالفعل أن يوقف هذا المد السوفسطائى، وذلك الطوفان الشكى الذى زعزع جنبات المجتمع اليونانى. معتمداً فى هذا كله على مبدأ أساسى هو أن العقل الإنسانى عامة، وهو وسيلة الإدراك الصحيح للحقيقة، وليست الحواس الفردية النسبية المتغيرة، ومهد بذلك لبداية عصر فكرى جديد فى المجتمع اليونانى، بلغت فيه الفلسفة قمة نضجها على يدى «أفلاطون» و«أرسطو».

مبادىء الشك السوفسطائى:

اعتمد السوفسطائيون فى مغالطاتهم وشكهم فى الحقيقة واليقين على المبدأين التاليين:

المبدأ الأول: اعتبار الحواس وسيلة المعرفة وليس العقل. ومادام الحس متغيرًا من شخص إلى آخر، لذلك فإن الإنسان لن يجد حقيقة واحدة ثابتة، وإذا انتفى وجود هذه الحقيقة الثابتة العامة، فقد انتفى معها وجود معيار عام للصواب والخطأ. ومن ثم تصبح الحقائق كلها والمعايير فردية نسبية متغيرة.

المبدأ الثانى : الاعتماد على مبدأ التناقض الموجود فى صورة غامضة ومشوشة، حيث كان يمكن للسوفسطائيين إثبات صدق القضايا المتناقضة فى وقت واحد، اعتمادا على المغالطة.

أهداف الشك السوفسطائى:

لكن ماذا كانت أهدافهم من الشك؟ لقد كان بعضهم يستهدف الكسب المالى من استخدام هذه المغالطات والتشكيك فى الحقيقة، وذلك بالدفاع عن المتهمين وتبرئتهم فى المحاكم، بينما كان البعض الآخر من السوفسطائيين يعتبرون عملهم هذا مجرد تسلية وسخرية ومهارة يمارسونها أمام الناس دون أن يقهروا، ولكى يثبتوا للجميع أن العقل البشرى عاجز عن إدراك الحقيقة المطلقة، التى كان الفلاسفة اليونانيون السابقون عليهم، يحاولون إدراكها بجهودهم العقلية التى أدت بهم إلى إقامة صرح شامخ من البناء الفلسفى.. والذى لم يلبث أن بدأ ينهار على أيدى السوفسطائيين لولا جهود «سقراط» فى الرد عليهم والتصدى لأفكارهم الهدامة، لأجل حماية المجتمع اليونانى من الانهيار.

«بروتاجوراس»:

كان من أشهر وأقدم الشخصيات السوفسطائية، رجل اسمه «بروتاجوراس» عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد (٤٨١ – ٤١١ق.م» وهو يعتبر من كبار ممثلى هذه الطائفة، حيث اتخذ الشك مذهبا دائمًا، وجعله غاية يهدم بها كل يقين.

انصب شك «بروتاجوراس» على جانبين أساسيين فى مجتمعه، هما: الدين، والمعرفة.

أولا: الشك فى الدين: رفض «بروتاجوراس» الدين السائد فى عصره، وهو من الديانات الوثنية اليونانية القديمة التى انتشرت قبل ظهور المسيحية، وألف كتابا عن الآلهة التى كان يعبدها اليونانيون، يفند فيه وجود هذه الآلهة، قائلا: «لا أستطيع أن أعلم إن كانت الآلهة موجودة أو غير موجودة، وعلى أية صورة هى. فإن أمورا كثيرة تعوق هذا العلم، من غموض الموضوع إلى قصر الحياة الإنسانية». من أجل هذا السبب هاجم اليونانيون «بروتاجوراس» وحرقت السلطات كتابه علانية فى الأسواق، واضطر هو نفسه للهرب خارج البلاد.

ثانيا: الشك فى المعرفة: وجه «بروتاجوراس» شكه أيضا إلى المعرفة الإنسانية، واعتبرها غير يقينية، وقال فى هذا الشأن عبارته المشهورة: «الإنسان مقياس كل شىء، فهو مقياس أن الأشياء الموجودة موجودة، وأن الأشياء غير الموجودة غير موجودة».

وهو يقصد بالإنسان هنا الكائن الفرد، الذى يدرك وحده منفردا العالم بواسطة حواسه الخاصة به فقط،

الفصل الثالث

«الشك المنهجى والبناء الحضارى»

ارتباط الشك المنهجى بالبناء الحضارى:

إن الحضارة فى جوهرها عبارة عن تقدم عقلى وارتقاء فكرى وتطور جذرى شامل، لابد أن يؤسس على اليقين دون الشك. أما الانهيار الحضارى فإنه يرتكز على مبدأ الشك الهدام. لذلك أصبح التلازم واضحا بين البناء الحضارى للمجتمع واليقين العقلى الذى تنطلق منه عملية البناء. وما قامت حضارة أبدا فى تاريخ الإنسانية على أساس الشك والرفض، وإنما على أساس من النضج العقلى واليقين الكامل.

إن حضارات الشرق القديم جعلت العقل أساس كل تقدم. كما أن الحضارة اليونانية وكذلك الحضارة الإسلامية قامتا لدعم اليقين العقلى، وقد بدأت أوروبا عصر نهضتها الحديثة بالبحث عن اليقين أولا، لكى تنطلق منه فى نهضتها بعد ذلك، وتؤسس عليه حضارتها المرتقبة. لكن الوضع يختلف عن ذلك فى عصور الانهيار الحضارى لأى مجتمع، حيث ينزوى اليقين العقلى جانبا، ويحل محله الشك المطلق.

وكما عرفنا سابقا، إن التوصل إلى اليقين الدائم يقتضى نوعا من الشك المنهجى المؤقت. الذى مهما اختلفت مظاهره فإنه يظل مجرد وسيلة مؤقتة تؤدى بنا إلى طريق اليقين المنشود فى البناء الحضارى.

وسوف ندرس فيما يلى بعض هذه النماذج فى ارتباطها بظروف البناء الحضارى فى كل من المجتمع الإسلامى والمجتمع الأوروبى، وهى كما يلى:

- **الشك المنهجى فى الحضارة الإسلامية «الغزالى».**
- **الشك المنهجى فى الحضارة الغربية «ديكارت».**

أولاً: الشك المنهجى فى الحضارة الإسلامية «الغزالى»

مقدمة:

يعتبر الإمام أبوحامد الغزالى «٤٥٠ – ٥٠٥هـ» من كبار علماء الدين الإسلامى فى عصره، وكان متفقها فى كافة أصول الدين ومتبحرا فى مختلف شئون الإسلام، حتى أطلق عليه أهل عصره لقب «حجة الإسلام».

وقد روى «الغزالى» فى كتابه المشهور «المنقذ من الضلال» موضحا كيف أصابه مرض الشك، وكيف دفعه إلى البحث عن الحقيقة واليقين لكى يتخلص من الضلال، وكيف عثر أخيرا على هذا اليقين بعد أن هداه الله إلى التصوف، وقد بدأ كتابه المذكور ببيان الأسباب التى دعته إلى تأليفه، والتى كان من ضمنها أن يحكى ما قاساه من آلام الشك والضلال المؤقت، وكيف أن هذه الحالة دفعته للبحث عن اليقين.

أهداف الشك عند الغزالى:

أكد الغزالى أن هدفه كان دائما التمسك بأهداب الحق والسعى لإدراك الحقائق اليقينية مهما كلفه هذا من جهد لأن السعى نحو اليقين فطرى عند الإنسان «لقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى[١] من أول أمرى وريعان عمرى، غريزة وفطرة من الله وضعتا فى جبلتى[٢]. لا باختيارى وحيلتى».

(١) دأبى وديدنى: عادتى المستمرة.

(٢) جبلتى: طبيعتى.

أسئلة وأنشطة

١- انسب العبارة الآتية إلى قائلها، وعلق عليها بإيجاز:

«الإنسان هو مقياس كل شيء».

٢- قارن بين منهج كل من سقراط والسوفسطائيين.

٣- وضح الصواب أوالخطأ فى العبارتين التاليتين، مع التعليل:

أ- استخدم سقراط الجدل لإبراز براعته أمام السوفسطائيين.

ب- المعنى اللفظى لكلمة «سوفسطائى» هو المغالط.

٤ - علل لما يأتى:

أ- ظهور الشك المذهبى فى مجتمع ما.

ب- تصدى سقراط للسوفسطائيين وأفكارهم.

٥- ارجع إلى بعض مراجع تاريخ الفلسفة فى مكتبة المدرسة لتستخلص مقالا موجزا عن ظهور الشك المذهبى فى المجتمع اليونانى. [نشاط للطالب].

٦- حدد الجانب النقدى من منهج سقراط.

انتقال الغزالى من الشك إلى اليقين والإيمان:

ظل الغزالى يعانى من الشك مدة شهرين كان فيهما شبه مريض يبحث عن العلاج ويصف حالته قائلا: «فأعضل هذا الداء، ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة «أى الشك» بحكم الحال «المرض المؤقت» لابحكم النطق والمقال. حتى شفانى الله من ذلك المرض. وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال.. ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين».

وقد مر الغزالى فى طريقه إلى اليقين بالخطوات التالية:

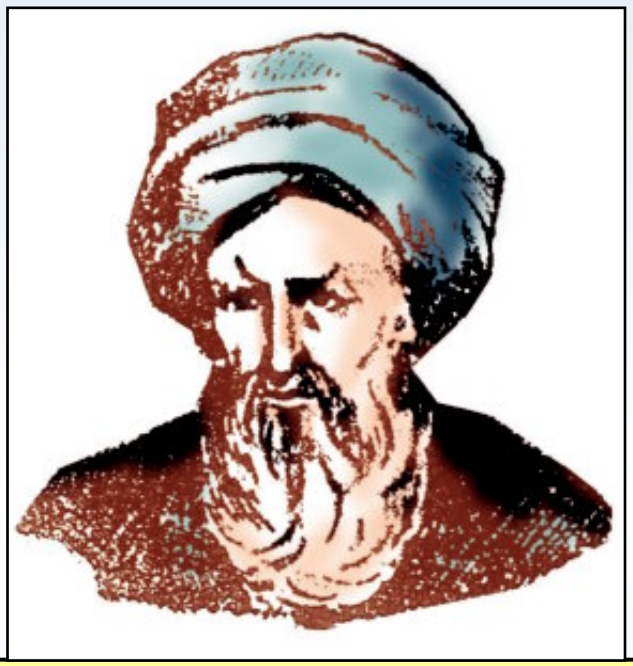

«حجة الإسلام الإمام أبوحامد الغزالى»
(٤٥٠ – ٥٠٥ هجرية)

أكبر صوفى وأشهر عالم دين ظهر فى المشرق الإسلامى. أطلق عليه المؤرخون لقب «حجة الإسلام» وكذلك «الإمام» تأثر فى نشأته الدينية بالتصوف الإسلامى، ثم درس الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية وكان له موقف منهما . استخدم الشك المنهجى المؤقت. حيث شك فى الحواس والعقل والحياة الشعورية العامة. ورفض الإيمان الموروث. ثم توصل بعد ذلك إلى الحقائق اليقينية والإيمان الصادق بواسطة المجاهدات الصوفية والحدس القلبى والنور الإلهى.

١- المجاهدة الصوفية وتوهج النور الإلهى فى القلب:

كان الغزالى بطبيعته أقرب إلى أهل التصوف فى حياته وفكره وسلوكه، ذلك أنه عندما بدأ يعانى مرارة الشك. سارع إلى الاعتكاف والزهد فى الحياة. وظل يمارس مجاهدات الصوفية طوال مدة اعتكافه حتى وصل إلى مرحلة عليا من الكشف ساعدته على أن يقذف الله تعالى فى قلبه نور اليقين. ليدرك بهذا النور الإلهى الحقائق اليقينية. وهو يؤكد ذلك بقوله: «ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف».

أسباب الشك عند الغزالى:

بدأ الشك عند الغزالى حين نظر إلى أمور الحياة نظرة تحليلية عميقة باحثا عن مبادئها الأولى وعللها البعيدة. بالضبط مثلما يفعل الفيلسوف حين يندهش بسبب رتابة الحياة. وقد وجد الغزالى – منذ كان صبيا – أن أبناء اليهود يولدون على دين أبائهم، وكذلك أبناء النصارى والمسلمين والزنادقة، تأمل الصبى هذه الأحوال وهو يتساءل: لماذا يقبل الناس تلك الحقائق على أنها مسلمات يقينية موروثة لايمكن الشك فيها، دون أن يقبلوها على أساس من البرهان العقلى؟

مال الصبى بعد ذلك – عندما أصبح شابا ونضج عقله – إلى أن يعرف الحقيقة. لذلك بدأ أولا بالشك فى جميع الحقائق المتعارف عليها وكل المعارف التى حصلها طوال حياته. لكى يتقصى بنفسه الحقيقة. ويتوصل بجهده إلى اليقين. ليصبح إيمانه بالإسلام قائما على الاقتناع الذاتى دون الوراثة من الوالدين.

مجالات الشك المنهجى عند الغزالى:

١- **الشك فى الحواس**: بدأ الغزالى أولا باختبار الحواس مفترضا أن اليقين المنشود قد يكون موجودا فى المعرفة الحسية. لكنه بعد بحث دائب ثبت له أن المحسوسات مليئة بالمغالطات والأخطاء المنافية لليقين. لذلك اضطر إلى رفضها وطرحها جانبا. ويضرب مثالا لذلك بالكوكب حين ننظر إليه فى السماء فتراه فى حجم الدينار، بينما الأدلة العلمية تثبت أنه أكبر من الأرض. لذلك لايقين فى المعرفة الحسية.

٢- **الشك فى العقل**: شرع الغزالى بعد ذلك فى اختبار العقل واستدلالاته المنطقية. والتى قد يكون فيها اليقين المطلوب، لأنها بطبيعتها تقوم على أوليات عقلية بسيطة جدا. فنجد الغزالى يقول عنها «إذا كانت قد بطلت الثقة بالمحسوسات، فلعله لاثقة إلا بالعقليات التى هى من الأوليات كقولنا العشرة أكثر من الثلاثة. والنفى والإثبات لايجتمعان فى الشىء الواحد».

لكن الغزالى شك فيها أيضا على لسان الحواس التى جعلها تخاطب الغزالى نفسه قائلة: لقد كنت من قبل تثق بمعرفتى الحسية إلى أن جاء العقل وجعلك تكذبنى. فمن يدريك أن هناك قوة أعلى وأبعد من العقل قد يأتى عليها وقت تظهر فيه، وتثبت لك خطأ ثقتك فى العقل؟ بل إن الحواس تستأنف اعتراضها قائلة إن عدم تجلى هذه القوة المنتظرة الآن، ليس معناه استحالة وجودها. إذ قد تظهر بعد ردح من الزمن. فيثبت حينئذ خطأ الثقة فى العقل وأولياته الأساسية.

٣- **الشك فى الحياة الشعورية عامة**: وأخيرا امتد شك الغزالى من عالم الحواس وعالم العقل إلى كل الحياة الشعورية للإنسان، فمن يدرى من الناس أن حياتنا كلها قد تكون مجرد وهم وخيال؟ إننا نحلم كثيرا ونعتقد أثناء الحلم أن ما نراه هو حقيقة واقعية، ثم نستيقظ بعد ذلك ونعلم حينئذ أن ما عشناه فى المنام كان وهما. وهذا ما أكده الغزالى قائلا: «أما تراك تعتقد فى النوم أمورا. وتتخيل أحوالا تعتقد لها ثباتا واستقرارا، ولا تشك فى تلك الحالة فيها ثم تستيقظ فتعلم أنه لم يكن لجميع متخيلاتك، ومعتقداتك أصل وطائل» لذلك افترض الغزالى أن حياتنا قد تكون حلمًا طويلاً لم نستيقظ منه حتى الآن لنعرف حقيقة الأمور.

فرنسا وأثناء تنقلاته فى مختلف بلاد أوروبا يحاول فى تأملاته الفلسفية تحديد ملامح منهج عقلى جديد فاصلا بين عصرين من عصور الفكر الفلسفى.

«رينيه ديكارت»
«١٥٩٦– ١٦٥٠»

أشهر فيلسوف فرنسى فى العصر الحديث، أطلق عليه المؤرخون لقب «أبى الفلسفة الحديثة» لأنه استخدم الشك المنهجى المؤقت ليتوصل منه إلى أول يقين عقلى أساسى فى الوجود، وهو «الكوجيتو» أو «أنا أفكر إذن أنا موجود».

وقد اختلف عن «بيكون» فى أنه توصل إلى هذا اليقين بالتأمل العقلى وليس بالمنهج التجريبى، وقد اتبع «ديكارت» فى فلسفته الشكية المؤقتة نفس الخطوات التى اتبعها من قبل «الغزالى» بل استخدم نفس أدلته فى هذا الشأن، لكنهما اختلفا فى طبيعة اليقين.

معنى المنهج عند ديكارت:

يعرف "ديكارت" المنهج قائلا: «إنه جملة من القواعد المؤكدة التى إذا ما راعاها ذهن الباحث عصمته من الوقوع فى الخطأ، وتمكن من بلوغ اليقين فى جميع ما يستطيع معرفته بدون أن يستنفذ قواه فى جهود ضائعة».

إن النموذج الأمثل للمعرفة اليقينية عند "ديكارت" هى المعرفة الرياضية فالعلم لا يكون يقينيًا إلا إذا اتخذ صورة المعرفة الرياضية التى يتم اكتسابها عن طريق المنهج الرياضى، وكان هدف "ديكارت" الوصول إلى اليقين بمنهج عقلى استنباطى محدد الذى يقوم على أساس أفكار واضحة متميزة ليبنى عليها معرفته اليقينية بالبداهة العقلية أو الحدس وإذا وصلنا إلى هذه الحقائق الحدسية أمكن اتخاذها مقدمات لاستنباطات يقينية بعيدة عن كل شك.

٢ – الحدس القلبى للحقائق اليقينية:

إن النور الإلهى يساعد القلب على حدس الحقائق اليقينية. التى تعجز حواسنا وعقولنا عن إدراكها. ويفسر الغزالى هذا المعنى قائلا: «إن هناك حقائق يقينية أعلى من مستوانا البشرى. ولايدركها إلا من تصوف وخلع عن نفسه رداء الدنيا والجسد[١]. وجاهد ليرقى إلى المستوى الروحانى العلوى. حيث يقذف الله تعالى حينئذ فى قلبه ذلك النور الإلهى وتلك النفحات الربانية التى تمثل الحقائق اليقينية».

ويدعم الغزالى هذا الموقف قائلا: من ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف. وذلك النور ينبعث عن الجود الإلهى فى بعض الأحايين. ويجب التعرض له كما قال عليه الصلاة والسلام: إن لربكم فى أيام دهركم لنفحات، ألا فتعرضوا لها.

٣– عودة الثقة واليقين فيما كان موضع شك سابق:

وبعد أن توصل الغزالى إلى اليقين المنشود بواسطة النور الإلهى، عادت إليه طمأنينة القلب وراحة البال. وشفى من مرض الشك. حيث أصبح متيقنا من وجود الله تعالى، ووجوده هو نفسه، ووجود العالم الخارجى، بكل يقين ودون أدنى شك لأن اليقين القلبى بوجود الله، يجعل الإنسان متيقنا من صحة مخلوقات الله، ويجعل النور الإلهى والحدس القلبى وسائل يقينية لإدراك مختلف حقائق الوجود التى كانت موضع شك سابق قبل التوصل إلى اليقين الإلهى.

ثانيا: الشك المنهجى فى الحضارة الغربية «ديكارت»

مقدمة: النهضة الأوروبية ومكانة ديكارت

ظهر فى عصر النهضة الأوروبية الحديثة كثيرا من الأفكار والمذاهب والعلوم والفنون، وغيرها من مظاهر التقدم الحضارى فى المجتمع الأوروبى. وقد نشأ "ديكارت" ١٥٩٦م – ١٦٥٠م وعاش فى هذا الجو الحضارى الجديد. وهو منذ بداية حياته الفكرية حدد لنفسه منهجاً فلسفيًا وهدفًا فكريًا واضحًا، يتمثل فى البحث عن الحقيقة ودعم اليقين، الذى هو أساس بناء الحضارة. وقد نجح "ديكارت" بالفعل فى تحقيق هذا الهدف بمذهبه الفلسفى العقلى، والذى سار على هداه بعد ذلك غالبية الفلاسفة المحدثين. حتى أطلق عليه «أبو الفلسفة الحديثة».

فرنسيس بيكون وديكارت:

كان الجهد العلمى ـ والفلسفى لكل من" بيكون وديكارت" هو العامل الحاسم فى نقل العقلية الغربية من عصر إلى عصر، ومن عصر سيطرت فيه على الإنسان الغربى نظريات وآراء السابقين وخرافات وأساطير رجال الكنيسة، إلى عصر يقود فيه العقل الإنسانى إلى اكتشاف كل جديد وإلى السيطرة على الطبيعة بفضل المعارف الجديدة التى تتأتى للإنسان إذا ما استخدم المنهج الاستقرائى التجريبى فى دراسته العلمية للظواهر الطبيعية، وقد تركز جهد" فرنسيس بيكون"على تدعيم هذا الجانب، وإذا ما استخدم المنهج العقلى الذى يقوم على البدء بالشك ثم استخدام الحدس والاستنباط العقليين فى تأملاته الفلسفية للكون وللتجربة الإنسانية ككل، وقد تركز جهد"ديكارت" على تأسيس وتدعيم هذا الجانب. ففى الوقت الذى كان فيه "بيكون" فى إنجلترا يحدد ملامح المنهج الاستقرائى الجديد الذى بفضله ستتقدم العلوم، كان "ديكارت" فى

(١) خلع عن نفسه رداء الدنيا والجسد: ترك ملذات الحياة أى زهد فى الحياة.

لا يشكون إلا لمجرد الشك، وإنما قصدت إلى التثبيت وإلى تجنب الأرض الرخوة والرمال المتحركة لكى أجد الصخر الصلب أى اليقين".

آمن "ديكارت" بقدرة العقل البشرى فى الوصول إلى الحقائق اليقينية إذا ما أحسن استخدام العقل، وتطهيره من كل العوائق التى قد تحول بينه وبين هذا الهدف المنشود، ولكى نضع العقل فى الطريق الصحيح للبحث عن اليقين، يجب أن نفرغ كل ما فيه من معرفة سابقة، وذلك بأن تشك ولو لمرة واحدة فى هذه المعرفة، لأن بعضها قد يكون صحيحًا وبعضها غير صحيح، ولذلك فمن الأفضل أن نفرغها جميعا خارج الذهن ثم ننتقى ما نراه صحيحا ونعيده إلى الذهن تماما كما يكون لديك سلة مملوءة بالتفاح بعضه سليم وبعضه معطوب فلا جدوى من تقليب التفاح وهو داخل السلة لإخراج ما فيه من المعطوب وأفضل طريقة لفرز السليم من المعطوب هو أن نفرغ كل ما فى السلة من التفاح ثم ننتقى التفاح السليم ونعيده إلى السلة وتبعد التفاح المعطوب وتكون بذلك على ثقة من أن جميع التفاح الذى وضعته فى السلة تفاح سليم.

مجالات الشك وطريقه عند ديكارت (الجانب السلبى):

١- **الشك فى الحواس**: بدأ ديكارت أولا بالشك فى الحواس وفى قيمة المعرفة الحسية: وذلك كما ورد بالتفصيل فى كتابه «التأملات فى الفلسفة الأولى». حيث ذكر أن اليقين المطلوب لن يتحقق إلا إذا طرحنا جانبا الحواس ومدركاتها المتغيرة والتى كثيرا ما تخدعنا فى حياتنا اليومية.

وكانت حجة ديكارت فى هذا الشأن بسيطة. حيث قال: «كل ما تلقيته حتى اليوم وآمنت بأنه أصدق الأشياء وأوثقها اكتسبته من الحواس أو بواسطتها، غير أنى جربت هذه الحواس فى بعض الأحيان، فوجدتها خداعة، ومن الحكمة ألا نطمئن كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولومرة واحدة».

٢- **الشك فى الحياة الشعورية**: لكن قد يقول البعض إن هناك أشياء حسية لايمكن الشك فيها. مثل شعورى بهزة رأسى وتحريك يدى، وغير ذلك مما أمارسه فى حياتى العملية وأدركه بحواسى الخاطئة، إلا أن "ديكارت" يرد على هذا الاعتراض بقوله: إننا كثيرًا ما نحلم أثناء النوم ونظن طوال الحلم أننا فى الواقع الحقيقى، وحين نستيقظ ندرك أن كل ماحدث مجرد أحلام وأوهام، لذلك كله فمن يدرينى أننى الآن قد أكون فى حلم لكنه طويل، ويمثل وهما كبيرا أظنه الحقيقة! فقد يأتى وقت أستيقظ فيه وأتأكد حينئذ أننى كنت أعيش مرحلة وهم وحلم طويلة.

٣- **الشك فى العقل**: انتقل "ديكارت" بعد ذلك إلى الشك فى العقل نفسه، فإذا كانت الحواس خادعة، وحياتنا الشعورية مجرد حلم، فقد يكون اليقين إذن موجودا فى الاستدلالات العقلية التى تستمد قوتها اليقينية من بداهة العقل، مثل قولى إن مجموع اثنين وثلاثة هو خمسة دائما. لأنه لا يبدو فى الإمكان أن حقائق بلغت مثل هذه المرتبة من الوضوح يمكن أن تكون موضع شبهة من خطأ أو شك.

لكن رغم ذلك فإن "ديكارت" شك فى هذه الحقائق العقلية الأولية أيضا، حيث افترض وجود «شيطان ماكر» استطاع أن يضلل عقلى منذ وجودى فى الحياة، وظل يخدعنى ويصور لى الوهم حقيقة طوال حياتى، لذلك فإن تلك البدهيات العقلية التى أقول عنها إنها صحيحة، قد تكون خاطئة بسبب هذا الشيطان الماكر. وأنا لا أستطيع التأكد حاليا إن كانت كذلك أم لا، ومن ثم يمكن القول – بناء على الافتراض السابق – إن كل الاستدلالات العقلية قد تكون خاطئة أيضا ومضللة.

وهكذا شك "ديكارت" فى الحواس والحياة الشعورية والعقل. مثلما فعل "الغزالى" سابقًا. ويكون "ديكارت" قد هدم كل يقين متاح لنا فى الحياة «**الجانب السلبى**» وذلك مؤقتا وتمهيدا للوصول إلى الحقائق

يقوم المنهج عند "ديكارت" على دعامتين هما: (وهما فعلان عقليان يمارسهما أى إنسان بالفطرة)

أ ـ الحدس: هو الرؤية العقلية المباشرة التى يدرك بها الذهن بعض الحقائق، ويسلم بها العقل تسليما، أى أن الحدس ومضة سريعة للعقل يدرك بها الإنسان الحقائق اليقينية إدراكًا مباشرًا دون مقدمات أو الحاجة إلى شهادة الحواس.

ب ـ الاستنباط: هو فعل من أفعال العقل ننتقل فيه من حقائق معينة مسلم بصحتها إلى نتائج تلزم عنها.

قواعد المنهج الديكارتى:

وضع "ديكارت" لمنهجه أربعة قواعد لكى يضمن بها الوصول إلى اليقين المنشود وهى:

١ ـ قاعدة البداهة والوضوح:

هى أهم القواعد وأخطرها وهى تؤكد على الإنسان حين يبحث عن الحقيقة فى أى موضوع أن يحرر نفسه من كل سلطة إلا سلطة العقل فيقول: «ألا أتلقى شيئًا على الإطلاق على أنه حق ما لم يتبين لى بالبداهة أنه كذلك بمعنى أن أبذل جهدى فى اجتناب التعجل وعدم التشبث بالآراء القديمة إلا ما يتمثل أمام عقلى فى وضوح وتميز يزول معهما كل شك».

٢ ـ قاعدة التحليل:

تفترض أن كل مشكلة نقوم بدراستها هى مشكلة مركبة وذات جوانب متعددة فعليك أن تبدأ بتقسيمها وتحليلها إلى عناصرها البسيطة حتى يمكن حلها فيقول: «أن أقسم كل واحدة من المعضلات التى أبحثها إلى ما استطعت إلى القسمة سبيلا وبمقدار ما تدعو الحاجة إلى حلها على أحسن الوجوه».

٣ ـ قاعدة التأليف:

وهى مكملة للقاعدة السابقة فيقول: «أن أرتب أفكارى بأبسط الأمور وأيسرها معرفة ثم أتدرج رويدًا حتى أصل إلى معرفة أكثر تعقيدا، بل أن أفرض ترتيبا بين الأمور التى لا يسبق بعضها البعض الآخر بالطبع».

٤ ـ قاعدة الإحصاء والمراجعة:

وتتم فيها مراجعة كل الخطوات السابقة حتى نكون على ثقة من أننا لم نغفل أى عنصر من موضوع البحث فيقول: «أن أعمل فى جميع الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات الوافية ما يجعلنى على ثقة من أننى لم أغفل شيئا يتصل بالمشكلة المعروضة للبحث».

(مثال: الميكانيكى حين يقوم بإصلاح عطل بسيارة فإن أول ما يفعله يقوم بتفكيك الأجزاء التى يعتقد أنها مصدر العطل ثم يقوم بالنظر فى هذه الأجزاء حتى يكتشف الجزء الذى تسبب فى العطل ومن ثم يقوم بإصلاحه ثم يقوم بإعادة تركيب هذه الأجزاء بعضها مع بعض مرة أخرى مع مراعاة الدقة ثم يختبر السيارة بعد الإصلاح فإذا رآها تعمل من جديد يكون قد قام بعمله على وجه صحيح».

من الشك إلى اليقين:

وضع "ديكارت" منهجه الاستنباطى القائم على عمليتى الحدس والاستنباط ووضع قواعد لهداية العقل فى طريق البحث العلمى، وكان هدفه هو الوصول إلى الحقيقة اليقينية التى لا شك فيها، لذلك أكد فى مؤلفاته "أنه للفحص عن الحقيقة يحتاج الإنسان مرة فى حياته إلى أن يضع الأشياء جميعا موضع الشك بقدر ما فى الإمكان، لأن غالبية ما نعرفه ليس يقينيا تماما، وإنما أخذناه على علاته دون نقد، ويجب أن نختبر هذه المعارف لكى نؤسسها على اليقين»، وأوضح أن هذا الشك منهجى مؤقت فيقول: «لم أكن مقلدا الشكاك الذين

أ- إذا كان الله كاملا وهو الذى غرس فى نفوسنا الناقصة فكرة الكمال. فإنه لابد أن يكون أيضا صادقا، لأن الكذب ليس من طبيعة الكمال أبدًا.

ب- الصدق الإلهى سيضمن لنا صحة ويقين وجود العالم الخارجى الذى خلقه الله.

ج- الصدق الإلهى أيضا سيمنع الشيطان الماكر - السابق ذكره - من خداع عقلى ولو فى أبسط البديهيات.

د- الصدق الإلهى أيضًا سيجعلنى أطمئن إلى صحة إدراكى لهذا العالم بكل ما فيه من الموجودات، وتصبح كافة حقائقه يقينية واضحة أمام عقلى.

وهكذا استطاع ديكارت أن ينتقل من الشك المؤقت إلى اليقين الدائم، وأن يؤسس أول الحقائق اليقينية فى الفكر الإنسانى، والتى لا يمكن إخضاعها للشك أبدا، والتى أصبحت من ضمن أسس بناء الحضارة الإنسانية الحديثة. ولذلك استحق ديكارت عن جدارة لقب **«أبى الفلسفة الحديثة»**.

اليقينية الثابتة، والتى لا يمكن إخضاعها للشك، وهذا العمل يمثل «**الجانب الإيجابى**» من فلسفة ديكارت.

الانتقال من الشك إلى الحقائق اليقينية الثابتة: «**الجانب الإيجابى**» إذا كان اليقين الذى توصل إليه "الغزالى" سابقا قائما على الحدس القلبى والوحى الصوفى، فإن اليقين الذى توصل إليه "ديكارت" من شكه المؤقت قائم على العقل ومبادئه المنطقية، والتى لا يمكن إخضاعها للشك أبدا.

وقد توصل ديكارت إلى إثبات ثلاث حقائق يقينية متدرجة ومترابطة معا هى:

أولا: **إثبات وجود النفس**.

ثانيا: **إثبات وجود الله**.

ثالثا: **إثبات وجود العالم**. **وذلك كما يلى**:

١- اليقين الأول : وجود النفس «الكوجيتو» إن تحليل عملية الشك فى كل الحقائق يؤدى بنا إلى ضرورة وجود فاعل يشك أو ذات مفكرة تقوم بعملية الشك، لأنه لا يمكن أن يحدث الشك أو يظهر بدون تلك الذات المفكرة الشاكة. وإلا فمن يقوم بهذا الشك؟!

إذن فالذى يشك لابد أن يكون مفكرًا، والذى يفكر لابد أن يكون موجودًا، لأنه لا يمكن للعدم أو لغير الموجود أن يفكر. لذلك قال "ديكارت": «إننا لا نستطيع أن نفترض أننا غير موجودين حين نشك فى حقيقة الأشياء جميعا، لأن مما تأباه عقولنا أن نتصور أن من يفكر لا يكون موجودا حقا حين يفكر».

وقد توصل ديكارت إلى تلك الحقيقة اليقينية بالحدس العقلى المباشر، وصاغ بها القضية الأولى والمشهورة فى فلسفته، والمعروفة باسم «**الكوجيتو**» وتعنى فى أصلها اللاتينى «**أنا أفكر**» وهى تمثل الجزء الأول من القضية الكاملة. «**أنا أفكر إذن أنا موجود**».

وهكذا توصل ديكارت من الشك السابق إلى أول حقيقة يقينية لا يمكن إخضاعها للشك إطلاقًا، هى حقيقة وجود الذات المفكرة، والتى صاغها فى قضيته المشهورة سالفة الذكر. «**أنا أفكر إذن أنا موجود**».

٢- اليقين الثانى: وجود الله: استخدم "ديكارت" الحقيقة اليقينية السابقة «**وجود النفس**» ليجعلها ركيزة ينطلق منها لإثبات حقيقة يقينية ثانية مرتبطة بها، **هى وجود الله**.

لقد قال إن الإنسان عندما يشك ويفكر يشعر دائما أنه كائن ناقص متناه، يأتى به غيره إلى الوجود، ثم يفنى بعد فترة قصيرة ويصبح عدما، بالإضافة إلى أنه يشعر بالنقص والعجز إزاء كثير من حقائق الوجود، لذلك فهو بطبيعته كائن ناقص باستمرار.

وشعور الإنسان بالنقص معناه أن لديه فكرة عن الكمال فى ذهنه، هى التى يقارن بها نقصه الدائم، فمن أين إذن جاءته هذه الفكرة عن الكمال؟ قال ديكارت إنها جاءت إلينا بواسطة الله تعالى الكامل، لأن وجودها فى الذهن الداخلى للإنسان دليل على وجودها فى العالم الخارجى، دون أن تكون دليلا على أن الإنسان نفسه كامل، لأننا عرفنا أن الإنسان بطبيعته عاجز لم يخلق نفسه بنفسه، **وإنما الله الكامل** هو الذى يقوم بهذه المهمة الكبيرة، وعلى هذا **لا يمكن إنكار وجود الله أبدًا**.

٣- اليقين الثالث: وجود العالم: انتقل ديكارت من الحقيقة اليقينية الثانية «**وجود الله وكماله**» إلى إثبات الحقيقة اليقينية الثالثة وهى «**وجود العالم**» وذلك كما يلى:

أسئلة وأنشطة

١- انسب كل عبارة مما يأتى إلى قائلها موضحا أسلوبه فى الشك المنهجى.

(أ) فأعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين أنا فيهما على مذهب السفسطة حتى شفانى الله.

(ب) لقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبى وديدنى.

(جـ) من الحكمة ألا نطمئن كل الاطمئنان إلى من خدعونا ولو مرة واحدة.

٢- اكتب كلمة قصيرة لتلقيها فى الإذاعة المدرسية عنوانها

«سبق بعض مفكرى الإسلام مفكرى أوروبا إلى استخدام الشك المنهجى».

٣- أكمل العبارات التالية بما يناسب المعنى:

(أ) وجه الغزالى شكه المؤقت إلى.....، .....، .....

(ب) أثبت ديكارت عن طريق الشك حقائق يقينية هى.....، .....، .....

(جـ) افترض ديكارت وجود شيطان ماكر لأجل.....

(د) يعرف..... بأنه حجة الإسلام، ويعرف..... بأنه أبو الفلسفة الحديثة.

٤- وضح الخطوات التى مر بها الغزالى من الشك إلى اليقين.

الإجابة – مر الغزالى فى طريقه إلى اليقين بخطوات ثلاث هى:

– المجاهدة الصوفية وتوهج النور الإلهى فى القلب، حيث سارع إلى الاعتكاف والزهد عندما بدأ يعانى مرارة الشك.

– الحدس القلبى للحقائق اليقينية: ظل يمارس مجاهدات الصوفية فى اعتكافه حتى قذف الله فى قلبه نور اليقين، ليدرك النور الإلهى الذى يساعد القلب على حدس الحقائق اليقينية والنفحات الربانية.

– عودة الثقة واليقين لماكان موضع شك سابقا: وذلك بأن عادت إليه طمأنينة القلب وشفى من مرض الشك، فأصبح متيقنا من وجود الله تعالى، ووجوده هو نفسه ووجود العالم الخارجى.

٥- فسر مفهوم كل مما يأتى، مع ذكر أمثلة مناسبة.

(أ) المجاهدة الصوفية.

(ب) الحدس القلبى.

(جـ) الكوجيتو.

(د) الحدس العقلى.

٦- إلى أى مدى يتضح الاتفاق والاختلاف بين منهجى كل من الغزالى وديكارت؟

٧- هل تعتقد أن ديكارت تأثر فعلا بالغزالى أم بظروف مجتمعه؟ وضح وجهة نظرك .

٨ – هات نموذجا واحدا من الحضارة الإسلامية وآخر من الحضارة الغربية تبرهن بهما على ارتباط الشك المنهجى بالبناء الحضارى.

٩ – حدد معنى المنهج عند ديكارت.

١٠ – يقوم المنهج عند ديكارت على دعامتين – ميز بينهما.

١١ – اشرح بمثال قواعد المنهج عند ديكارت.

الباب الثالث

الإنسان ومشكلة الحرية من المنظور الدينى الإسلامى

الفصل الأول: مذاهب الجبرية والحرية عند المتكلمين.

الفصل الثانى: مذاهب الحرية عند الفلاسفة والمصلحين.

الفصل الأول

مذاهب الجبرية والحرية عند المتكلمين

ظروف نشأة الفرق الإسلامية

ظهور الحركات الفكرية فى الإسلام:

كانت بداية الحركات الفكرية فى صدر الإسلام يغلب عليها الطابع الدينى لأنها ارتبطت بمناقشة ما جاء به الدين الجديد من مبادئ وتعاليم. . وما تضمنه القرآن الكريم من قضايا وموضوعات لم يكن للعرب علم بها من قبل، لذلك وجهوا جهدهم العقلى لدراسة هذه القضايا وفهم تلك الموضوعات الجديدة. وذلك فى محاولة منهم لإرساء دعائم الدين الجديد.

وقد تمثلت الحركات الفكرية الأولى فى الإسلام فى حركتين أساسيتين هما:

١ ـ تأسيس علم أصول الفقه ونشأة المذاهب الفقهية:

كان البحث فى مبادئ التشريع وأصول الفقه هو أول حركة فكرية دينية ظهرت فى الإسلام بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، حيث قام المفكرون المسلمون باستخدام النظر العقلى للاجتهاد فى شئون الدين واستنباط الأحكام الفقهية للأحداث التى لم يرد ذكرها صراحة فى القرآن أو السنة. وذلك قياسا على أحداث أخرى مشابهة لها، أو قياسا على قواعد كلية وردت فى القرآن أو السنة.

وهذه الحركة الفكرية الفقهية تتسم بأنها إسلامية خالصة ونابعة من صميم الدين ومرتبطة بظروف المجتمع الإسلامى، دون أن تدخلها أية عناصر أجنبية. أو مؤثرات خارجية كالتى حدثت فى الفلسفة الإسلامية فيما بعد.

وقد أدى الاجتهاد العقلى فى الرأى إلى تدعيم علم أصول الفقه من جهة، وإلى نشأة المذاهب الفقهية وتعددها من جهة أخرى، والتى كان كل مذهب منها ينتسب إلى اسم مؤسسه، وحيث كان من أشهر هذه المذاهب مذهب «أبو حنيفة» و«مالك» و«الشافعى» و«ابن حنبل» ـ بالإضافة إلى غير ذلك من مذاهب فقهية أخرى أقل شهرة وانتشارا من المذاهب الأربعة السابقة، وكان كل هؤلاء الفقهاء يجتهدون فى أمور الدين بالرأى والنظر مع استخدام القياس العقلى، فكانوا جميعا يمثلون بحق أول حركة فكرية أصيلة فى تاريخ الإسلام.

٢ ـ تأسيس علم الكلام ونشأة الفرق الإسلامية:

كانت الحركة الفكرية الثانية التى ظهرت فى بدء الحياة العقلية للمسلمين مع ظهور علم أصول الفقه هى حركة المتكلمين التى تمثل أيضا اتجاها فلسفيا إسلاميا خالصا لم تدخله أية مؤثرات أجنبية إلا فى أواخر عهده.

لقد نشأت حركة المتكلمين فى حضن الدين وحاول رجالها معالجة المشكلات العقلية والدينية التى واجهتهم عند مناقشة شئون الإسلام الأولى، كما تصدوا للدفاع عن الإسلام ضد مهاجميه مستخدمين العقل فى هذا الأمر، دون الاقتصار على الدفاع باستخدام النصوص القرآنية وحدها، إنما دعموا تلك النصوص بالأدلة العقلية على أساس أن الإسلام فى جوهره دين عقلى.

٤٨ أبيض

(جـ) رأى واصل فى حرية الإرادة:

كان من أصول فرقة الاعتزال عند واصل **مبدأ العدل الإلهى**. فالله تعالى كامل، وهذا يقتضى أن يوصف بالعدل. لأن الظلم يتنافى مع الكمال.

والإقرار بأن الله تعالى عادل، يستتبع بالضرورة الإقرار أيضا أنه تعالى حين يصدر الأوامر والتكليفات للعباد يعطيهم فى نفس الوقت القدرة التى تساعدهم على تنفيذ هذه الأوامر، وتلك التكليفات لأن الله لا يكلف العبد إلا ما يطيقه وما يستطيع القيام به. وهذه القدرة وتلك الاستطاعة تعنى أن الإنسان حر مخير وليس مجبرا مسيرا، فإن نفذ الأوامر والتكليفات استحق حينئذ دخول الجنة. وإن لم ينفذها استحق العقاب فى النار.

إن تكليف الله للعباد يقتضى بالضرورة أن يكون عند العباد القدرة والحرية الكافية لتنفيذ هذا التكليف، ولو انعدمت هذه القدرة. وتلك الحرية فإن التكليف حينئذ يسقط كما أن الثواب فى الجنة للمطيع والعقاب فى النار للعاصى، يفترضان بالضرورة أن يكون الإنسان حرا ومخيرا حتى يكون عقاب الله له فى الآخرة قائما على العدل. أما لو كان الإنسان مسيرا ومجبرا. فلماذا إذن جاءه التكليف من الله تعالى، ولماذا أيضا يتولى الله تعالى عقابه رغم أنه كان مسلوب الحرية غير قادر على تنفيذ التكليف؟

وإذا كانت حرية الإرادة هنا تعنى قدرة العبد على خلق أفعاله بنفسه، فهل هذا الأمر يعنى الشرك بالله تعالى فى عملية الخلق مثلما قال الجهمية سابقا؟ رد المعتزلة على هذا الموقف قائلين:إن الله تعالى عندما خلق العبد خلق فيه أيضا هذه القدرة المحدودة عنده. لكى يساعده على تنفيذ التكليفات والأوامر الإلهية. ولكى يكون الله عادلا فى الآخرة عندما يثيب المطيع ويعاقب العاصى.

٣ـ الأشعرية والتوسط بين الجبرية والحرية «أبو الحسن الأشعرى»

(أ) نشأة الفرقة وموقفها العام:

تنتسب هذه الفرقة إلى اسم مؤسسها «**أبو الحسن الأشعرى**» الذى كان من كبار أئمة المسلمين فى عصره. ومن أكفأ المدافعين عن أهل السنة مع تقدير جهود الفرق الإسلامية الأخرى.

وكان موقفه العام يتمثل فى الاعتدال والتوسط فى حل مشكلة الجبر والاختيار، حيث جمع المزايا والحجج المقبولة من رأى الجهمية مع نظيرها من رأى المعتزلة، وأخرج منهما معا رأيا جديدا معتدلا فى حرية الإرادة. أصبح يعرف باسم «الكسب».

(ب) المبرر الأساسى لموقف الأشعرى:

وكان من مبررات توسط الأشعرى فى آرائه الدينية أنه عاش العصر الذى تنازعت فيه الفرق الإسلامية وتطرفت فى مواقفها حتى كفر رجالها بعضهم بعضا، بل وتحاربوا مع بعضهم البعض أيضا مثل: الشيعة والخوارج، والمرجئة ،والجبرية، والمعتزلة.. وغيرها وقد أدى هذا الاختلاف والتعدد إلى تشتت عقول المسلمين، حتى أصبح العامة لا يعرفون أين الحقيقة فى هذا الخضم المتلاطم من الأفكار والفرق الإسلامية، بل وكادت غالبية المسلمين تفقد الثقة فى أصحاب هذه الفرق المتنازعة الأمر الذى جعل الأشعرى، هنا يحاول أن يجمع المسلمين ويوحد فكرهم حول مبادئ وسطى خالية من التطرف والتكفير.

(جـ) رأى الأشعرى فى حرية الإرادة:

١ ـ بدأ الأشعرى بنقد موقف الجهمية فى الجبرية فقد عاب على الجبرية تطرفهم فى سلب العبد كل حرية ممكنة. لأن هذا يعنى سقوط التكليفات والجزاءات. أما **ميزتهم** فهى أنهم أرادوا أن يجعلوا الله وحده خالق

١ـ الجهمية ونفى حرية خلق الأفعال «جهم بن صفوان»

(أ) الموقف العام للفرقة:

كان «**جهم بن صفوان**» – مؤسس الفرقة – من غلاة الجبرية الخالصة، وقد نفى عن الإنسان كل قدرة على الاختيار. وسلبه أى إرادة حرة فقال: «إن الإنسان لا يقدر على شىء ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور فى أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار إنما يخلق الله الأفعال فيه حسبما يخلق فى سائر الجمادات. وتنسب إليه «أى الإنسان» الأفعال مجازا كما تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وغربت إلى غير ذلك.

وأكد جهم أن الله وحده هو الذى يوصف بأنه: قادر وموجود وفاعل وخالق ومحيى ومميت، لأن هذه الأوصاف مختصة به وحده. وأنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى.

وقرر أيضا أن الثواب والعقاب جبر مثل الأفعال الجبرية تماما، وأن التكليف جبر أيضا والإيمان والكفر جبر كذلك. وكل شىء فى الوجود مقدر أزلا، فالله تعالى خلق المؤمنين مؤمنين والكافرين كافرين وكان إبليس ولم يزل كافرا، وأبو بكر وعمر كانا مؤمنين قبل الإسلام والأنبياء عليهم السلام كانوا أنبياء قبل الوحى وكل ما سوف يحدث مستقبلا من وقائع وأمور كلها محددة سلفا ومنذ الأزل.

(ب) المبرر الأساسى للموقف الجبرى:

ارتكز جهم بن صفوان فى موقفه الجبرى المتطرف إلى تأويل معانى بعض آيات القرآن الكريم ليثبت ما يلى: إن حرية إرادة الإنسان تعنى حرية خلقه للأفعال التى يريد القيام بها ـ وحيث إن الله تعالى هو الخالق الوحيد لكل ما فى الوجود ـ لذلك يصبح الإنسان شريكا لله تعالى فى عملية الخلق ـ ومن ثم تكون الدعوة إلى حرية الإرادة منافية لوحدانية الله وتؤدى إلى الشرك به تعالى.

لأجل هذا السبب نفى جهم حرية الإرادة، وأكد أن الإنسان مجبر فى كل أفعاله وسلوكه. وأن ما يعتقد أنه حرية اختيار فى حياته هو مجرد وهم، لأن الله تعالى قدر لنا تلك الحياة سلفا، ونحن فقط مجرد منفذين لمشيئة الله وإرادته الكاملة.

٢ـ المعتزلة وتأكيد حرية الإرادة الإنسانية «واصل بن عطاء»

(أ) نشأة الفرقة وموقفها العام:

كان "**واصل بن عطاء**" –مؤسس الفرقة – تلميذًا لأحد كبار أئمة السلف، وهو «الحسن البصرى» واختلف معه فى إحدى جلسات المناقشة فى مسجد البصرة حين تناولوا موضوع مرتكب الكبيرة، حيث ذهب البعض إلى أنه كافر بينما قرر البعض الآخر أنه مؤمن لأنه لم يشرك بالله تعالى، لكن واصل بن عطاء قرر أن مرتكب الكبيرة ليس فى منزلة الكافر ولا فى منزلة المؤمن، وإنما هو فى منزلة وسط بين المنزلتين. وعندما رفض أستاذه البصرى هذا الرأى ترك واصل المجلس وانعزل بمفرده فى جانب بعيد. حيث قال عنه أستاذه حينئذ: لقد اعتزلنا واصل. ومن هنا أصبح اسم المعتزلة يطلق على واصل وأصحابه الذين تابعوه بعد ذلك فى آرائه، وأصبحوا يعرفون أيضا باسم «أهل المنزلة بين المنزلتين» وكذلك «أهل التوحيد والعدل».

(ب) المبرر الأساسى لموقف المعتزلة:

وقد ارتكزت هذه الفرقة على العقل فى تفسير أمور الدين وفهم آيات القرآن، وكذلك فى تناولهم لمشكلة حرية الإرادة الإنسانية وقدرة الفرد على خلق أفعاله. وقد اتخذ واصل موقف الدعوة إلى حرية الإرادة الإنسانية، وذلك فى مقابل الموقف الجبرى السابق عند «جهم بن صفوان» وكان أكثر منه عقلانية.

أسئلة وأنشطة

١ ـ اكتب حوارا موجزا ـ تكون أنت أحد أطرافه ـ يمثل وجهة نظر كل من الجهمية والمعتزلة والأشعرية فى مشكلة الجبر والاختيار.

٢ ـ انسب كل عبارة مما يأتى للاتجاه الذى تمثله مع الشرح :

(أ) «إن تكليف الله للعباد يقتضى بالضرورة أن يكون عندهم الحرية لتنفيذ هذا التكليف»

(ب) «إن الإنسان لا يقدر على شىء ولا يوصف بالاستطاعة»

(جـ) «إذا رغب العبد فعلا خلقه الله له»

٣ ـ كان لظروف العصر الذى عاش فيه أبو الحسن الأشعرى أثرها فى اتجاهه الفكرى.. وضح ذلك.

الإجابة: عاش أبو الحسن الأشعرى فى العصر الذى تنازعت فيه الفرق الإسلامية وتطرفت حتى لقد اتهم بعضهم بعضا بالكفر وأدى هذا إلى الحروب بينهم مما أدى إلى تشتت عقول المسلمين ولاسيما العامة منهم. حيث اختلط عليهم الأمر وتاهت منهم الحقيقة. ولقد حاول الأشعرى ـ بموقفه فى التوسط بين هذه الآراء المتطرفة ـ أن يوحد فكر المسلمين حول المبادئ البعيدة عن التطرف.

٤ ـ حدد المقصود بالمصطلحات التالية من دراستك للفرق الإسلامية

الكسب ـ الاعتزال ـ الجبرية ـ الاختيار.

٥ ـ كتب الكثيرون عن عصر عثمان وعلى والخلافات السياسية بين المسلمين، فإلى أى مدى أدت هذه الخلافات إلى نشأة الفرق الإسلامية؟ وماذا كان سيصبح حال الفرق الإسلامية لو لم تظهر الخلافات السياسية؟

كل شىء بما فى ذلك أفعال العباد، منعا للشرك بالله فى الخلق.

٢ ـ وانتقد الأشعرى موقف المعتزلة فى الحرية، فقد عاب عليهم أنهم جعلوا العبد يخلق أفعاله بنفسه حسب إرادته الخاصة؛ فأصبح العبد خالقًا مثل الله تعالى الذى هو الخالق الوحيد فقط، أما ميزتهم فهى: قولهم: إن حرية العبد تبرر نزول التكليفات من الله. وتبرر أيضا عقاب الله أو ثوابه للعباد فى الآخرة بعد تحملهم مسئولية الاختيار، وذلك كمظهر للعدل الإلهى.

وضع الأشعرى رأيًا جديدًا لتفسير حرية الإرادة الإنسانية. طرح فيه جانبا مساوئ المذهبين السابقين.. وجمع مزاياهما فى وحدة متكاملة، جعلته فى موقف وسط يمكن أن يرضى كل الأطراف ويلم شمل الفرق المتنازعة، ويكون فى نفس الوقت متوافقا مع أحكام الدين ونصوص القرآن.. ويعرف رأى الأشعرى فى هذا الشأن باسم «كسب الأفعال» أو «الكسب».

وخلاصة رأيه فى الكسب كما يلى: إن الكسب عند الأشعرى معناه الاقتران أو التلازم بين إرادة العبد ورغبته من جهة وخلق الله تعالى لأفعال هذا العبد من جهة أخرى حيث يصبح الفعل مكتسبًا للعبد حسب إرادته ونيته دون أن يكون خالقه.

ويقول الأشعرى: إن الله وحده هو الذى يخلق كل أفعال العباد، لأنه تعالى الخالق الوحيد فى الوجود، لكنه لا يخلقها للعبد إلا إذا رغب العبد ذلك. أما إذا لم يرغب عمل شىء ما فإن الله لا يخلق له حينئذ هذا الفعل.

ومن هنا نجد أن رغبة الفرد أو نيته هى التى تسبغ عليه صفة الحرية فى الاختيار، والتى بناء عليها يخلق الله له الفعل. ومن ثم يتحمل الفرد حينئذ مسئولية أفعاله وما يترتب عليها من عدالة الله فى إثابة المطيع وعقاب العاصى.

فمثلا إذا انتوى العبد عمل فعل شرير مثل قتل أو سرقة شخص ما. فإن الله تعالى يخلق لهذا العبد كافة الأفعال التى يمكنه بواسطتها قتل أو سرقة الشخص، أما إذا رغب عبد آخر غير السابق فى عمل فعل خير مثل تقديم المساعدة أو الإحسان إلى شخص ما، فإن الله يخلق لهذا العبد أفعاله التى تتفق مع رغبته الخيرة والتى تمكنه من عمل هذا الخير ويكون الله تعالى هو خالق كل الأفعال وحده لكن حسب نية العبد. وبذلك يحق لله تعالى فى المثالين السابقين أن يعاقب العبد الأول لارتكابه معصية مخالفته لأوامر الله بكامل إرادته ورغبته، وأن يكافئ العبد الثانى لإطاعته أوامر الله حين رغب فى عمل الخير، وهكذا يكون الثواب والعقاب مرتبطين برغبة العبد وإرادته أما عملية خلق الأفعال نفسها فإن الله تعالى هو الذى يقوم بها وحده.

(أ) التوفيق بين الفلسفة والدين:

كان محور جهود ابن رشد فى دفاعه عن الفلسفة يتمثل فى عملية التوفيق بينها وبين الدين. وألف كتابا مشهورا فى هذا الشأن هو «فصل المقال فيما بين الحكمة «أى الفلسفة» والشريعة «أى الدين» من الاتصال». وكانت خلاصة آرائه فى هذا الشأن تتمثل فى أن هدف كل من الفلسفة والدين هو الوصول إلى الحقيقة، كما أن الدين الإسلامى حث المسلمين على التفكير وتعقل أمور الحياة والوجود، وهو نفسه ما تسعى إليه الفلسفة. لذلك لا تعارض بينهما على الإطلاق.

(ب) الموقف تجاه مشكلة الحرية:

من ذلك المنطق التوفيقى شرع ابن رشد فى بحث مشكلة حرية الإرادة الإنسانية وقد بدأ أولا بنقد آراء المتكلمين، ثم انتهى بشرح وجهة نظره الخاصة فى المشكلة حيث اتخذ لنفسه موقفا توفيقيا وسطا بين المذاهب والفرق المختلفة.

أولاً: نقد آراء «المتكلمين» فى مشكلة الحرية: وتتمثل فيما يلى:

(أ) الإقرار مقدما بصعوبة المشكلة: اعترف ابن رشد مقدما بصعوبة مشكلة حرية الإرادة عند الإنسان خاصة فى ظل تعاليم الدين الإسلامى وإن هذا الأمر أدى إلى تعدد الآراء واختلافها فيما بين المفكرين المسلمين وأنه سوف ينتقد السابقين عليه فى مواقفهم الضعيفة نحو المشكلة.

(ب) نقد جبرية جهم وحرية المعتزلة: إننا إذا افترضنا مع جهم بن صفوان أن الله تعالى هو الذى يخلق أفعال الإنسان وفق المشيئة الإلهية.. يصبح الإنسان مجبورا على أفعاله، وكذلك كل حياته، ومن ثم تسقط عنه حينئذ المسئولية وأوامر التكليف. ويتشابه فى ذلك مع الجمادات تماما، وهذا ليس صحيحا إطلاقا.

وإذا افترضنا مع واصل بن عطاء المعتزلى إن الإنسان هو الذى يخلق أفعاله بإرادته الحرة لكى يصبح مسئولا ويتحمل تبعة أفعاله بنفسه، فإن الأمر حينئذ يعنى وجود أفعال تتم على غير مشيئة الله وإرادته ويعنى أيضا وجود خالق آخر للأفعال غير الله تعالى وهذا غير صحيح إطلاقا.

(جـ) نقد التوسط الأشعرى: يستكمل ابن رشد نقده لموقف الأشعرى. ويؤكد فشله فى محاولة التوفيق بين الموقفين السابقين برأيه عن الكسب. إن الوسط هنا ليس له وجود فى الحقيقة، لأننى عندما أريد عمل فعل معين وأمد يدى لتنفيذ الفعل. فإن الفرق بين إرادتى وتحريك يدى لا يعنى أن الله خلق لى الفعل، بل وعلى افتراض صحة هذا الموقف الكسبى.. فإن ابن رشد يتساءل: كيف يحاسبنا الله فى الآخرة عن أعمال نفذناها بأفعال من خلق الله نفسه؟ إن المسئولية على الإنسان يجب أن تكون كاملة غير منقوصة أبدا.

ثانياً: وجهة نظر ابن رشد التوفيقية فى الحرية:

رغم انتقاد ابن رشد للموقف الأشعرى السابق فى التوسط فى حل مشكلة الحرية، إلا أنه اتخذ لنفسه موقفا وسطا أيضا حل به المشكلة لكن بنظرة أكثر عقلانية:

(أ) ميز ابن رشد بين عالمين أساسيين فى هذا الوجود: عالم الإرادة الداخلية عند الإنسان وعالم الظواهر والأسباب الخارجية فى الطبيعة.

الفصل الثانى

مذاهب الحرية عند الفلاسفة والمصلحين

مقدمة

تعددت آراء المفكرين الإسلاميين بخصوص مشكلة الحرية. رغم أنها كلها انبعثت من مصدر إسلامى دينى واحد. إلا أنها اختلفت فى تفسير حرية الإرادة وفقاً لاختلاف ظروف العصر وذلك ابتداء من فرق المتكلمين الأولى، ثم امتدادا إلى مذاهب الفلاسفة والمصلحين المحدثين.

وقد انتهينا من دراسة آراء «المتكلمين» فى المشكلة، ورأينا أنها كانت مصطبغة تماما بالصبغة الدينية العقلية. وسوف نستكمل الآن دراسة موقف الفلاسفة من مشكلة الحرية، وذلك من وجهة نظر «ابن رشد» الذى اتسم بالعقلانية.

وأخيرا نختم الفصل بدراسة موقف المصلحين المحدثين فى الشرق العربى من مشكلة الحرية وذلك كما يتمثل على الخصوص فى وجهة نظر الشيخ محمد عبده حيث اتسمت الحرية بالطابع الاجتماعى والسياسى توافقا مع ظروف العصر.

١ ـ الحرية من وجهة نظر الفلاسفة «ابن رشد»

(أ) نبذة عن حياة ابن رشد :

كان «ابن رشد» «٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ» من مدينة قرطبة بالأندلس شمال المغرب العربى. وقد نشأ فى بيئة دينية، وذاعت شهرته فى شئون الفقه والدين حتى تولى منصب قاضى القضاة، وهو إلى جانب ذلك تعمق فى دراسة علم الكلام والفلسفة الإسلامية، وأيضا الفلسفة اليونانية القديمة، وكان فيلسوفاً وشارحاً لفلسفة أرسطو بالعربية حتى أصبح يلقب باسم «الشارح الأكبر» والخلاصة المقصودة من حياة ابن رشد أنه تخصص فى أمور الفقه وشئون الدين إلى جانب دراسته الموسعة للفلسفة، ومن ثم وجدناه طوال حياته الفكرية يسعى جاهدا للتوفيق بين الدين والفلسفة.. دون أن يفاضل بينهما أو يغلب أحدهما على الآخر.

ظروف عصره ومعالم فلسفته:

وكانت أهم ظروف العصر وأحداثه فى ذلك الوقت، أن النظر الفلسفى أصيب بنكسة كبيرة فى المشرق العربى، **بسبب هجوم الإمام الغزالى** على الفلاسفة وحطه من قيمة الفلسفة، وتكفيره لكل الفلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية القديمة، وخرجوا بذلك عن أصول الدين الإسلامى، وفقا لما أورده الغزالى فى كتابه «تهافت الفلاسفة» والذى أساء إلى سمعة الفلسفة تماما وأعلى من شأن الدين والتصوف.

وعندما جاء ابن رشد وشاهد بنفسه مدى تدهور مكانة الفكر الفلسفى فى المجتمع الإسلامى، حاول جاهدا أن **يدافع عن الفلسفة ويرفع من مكانتها ثانيا**، ويعيد إليها سمعتها الطيبة بوصفها نظرا عقليا راقيا لا يتعارض مع تعاليم الإسلام، ولذلك قام بتأليف كتاب رد فيه على كتاب الغزالى السابق وأسماه «تهافت التهافت» وأصبح ابن رشد أشهر مدافع عن الفلسفة فى تاريخ الإسلام.

٢ـ الحرية من وجهة نظر المصلحين العرب
فى العصر الحديث «محمد عبده»

(أ) ظروف عصر محمد عبده: عاش الشيخ الإمام محمد عبده «١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م» فى مصر خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، حيث كان العالم الإسلامى فى حالة تدهور مستمر. انتهت فى أواخر ذلك القرن بدخول الاستعمار الأجنبى إلى الشرق العربى.

كانت الدول الإسلامية تزداد تخلفا فى الشرق، بينما الدول الأوروبية تزداد تقدما فى الغرب وأصبحت أحوال المسلمين تدعو إلى الرثاء بسبب ما أصابهم من تدهور فى مختلف الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ثم العسكرية والتى أدت بهم أخيرا إلى الوقوع فريسة للاستعمار الأجنبى.

وقد أصاب الجمود أيضا الحياة الدينية الإسلامية فتحول الدين إلى شروح آلية لفكر القدماء، دون أية إضافات إبداعية جديدة وأصبح الأساس فى دراسة الدين هو النصوص واجتهادات القدماء والاكتفاء من الدين بممارسة العبادات دون أى اجتهاد وبلا سعى إلى التجديد.

جمال الدين الأفغانى

«١٨٣٧ ـ ١٨٩٧م»

عاش الأفغانى حياته متجولا كشعلة متأججة فى بلاد الشرق الإسلامى، يدعو شعوبها إلى الثورة على الظلم والتمرد على الاستبداد، ويحث المسلمين على الاتحاد تحت لواء «الجامعة الإسلامية». وقد تأثر بدعوته كثير من المصلحين فى مختلف أرجاء الوطن العربى.

الأفغانى والدعوة إلى اليقظة الإسلامية: ظهر فى ذلك العصر المتدهور واحد من كبار الدعاة إلى اليقظة الإسلامية هو جمال الدين الأفغانى «١٨٣٧ ـ ١٨٩٧م» الذى ظل ينتقل كالشعاع المضئ فيما بين الدول الإسلامية لينشر دعوته إلى اليقظة الجديدة للمسلمين، معتمدا فى ذلك على إثارة الوعى الدينى لدى قيادات المسلمين والدعوة إلى تأسيس «الجامعة الإسلامية».

(ب) وقرر ابن رشد أن **العالم الإرادى الداخلى للإنسان**، متروك أمره للإنسان يختار ما يشاء فيه من أفعال، لكن فى حدود الأسباب التى قدرها الله تعالى على العالم الخارجى، أما **العالم الخارجى** فهو الذى قدره بمشيئته الإلهية.. ووضع فيه الأسباب والعوائق التى تعرف باسم «**القدر**». والتى تسير وفق نظام محكم ومحدد مقدما حسب إرادة الله.

(جـ) يربط ابن رشد بعد ذلك بين أفعالنا التى تصدر عن عالمنا الإرادى الداخلى، وبين عالم الأسباب الخارجية المقدرة سلفا فى الوجود، وذلك بقوله: إن أفعالنا وإرادتنا لا توجد ولا تتم إلا بتوافقها مع الأسباب المقدرة خارجيا فى العالم.

أى أن ما يصدر عنا من أفعال لابد أن يرتبط بعاملين أساسيين هما إرادتنا الداخلية من جهة والأسباب التى قدرها الله على العالم الخارجى من جهة أخرى، وأن ارتباط العالمين معا يحقق حرية الإرادة للإنسان دون تعارض مع مفهوم القدر الإلهى.

– وهكذا انتهى ابن رشد إلى حل مشكلة حرية الإرادة الإنسانية متخذاً موقفاً توفيقياً وسطاً. لكنه يختلف فى نفس الوقت عن الموقف التوفيقى الوسطى الذى اتخذه الأشعرية سابقًا.

(ب) تأثير دعوة الإمام الإصلاحية فى مصر: إن جهود محمد عبده ودعوته الإصلاحية التحريرية للنهوض بالمجتمع المصرى، أثرت بقوة وعمق فى كثير من تلامذته وأتباعه ومريديه. الذين أصبحوا يمثلون مدارس إصلاحية متكاملة، يسيرون فيها وفق تعاليم الإمام فى إصلاح وتطوير مختلف جوانب المجتمع، وكان من أبرز هذه المدارس:

- المدرسة السياسية: سعد زغلول
- المدرسة الاجتماعية: قاسم أمين
- المدرسة الدينية: مصطفى المراغى
- المدرسة الفلسفية: مصطفى عبدالرازق.

هذا بالإضافة إلى مدارس أخرى تحررية وإصلاحية كان من بين أصحابها على عبدالرازق وطه حسين وغيرهما من أقطاب الفكر المصرى.

(جـ) وجهة نظر محمد عبده فى الحرية: كانت فلسفة الإمام ذات طابع اجتماعى واضح، تأثر فيها بكل ظروف عصره وأحداث مجتمعه وكانت نظريته فى الحرية تعبر بصدق عن نزعته الفلسفية الإصلاحية وخلاصة هذه النظرية كما يلى:

١ ـ **الإنسان حر بشهادة العقل والشريعة:** إن العقل السليم يؤكد بالبداهة أن الإنسان حر دون حاجة إلى دليل، فالإنسان يختار الأعمال ويزن نتائجها بعقله ويقدرها بإرادته، وكل الأفعال تنسب إلى صاحبها الذى صدرت عنه دون حاجة فى ذلك إلى بحث أو نظر.

والشريعة الإسلامية قامت على مبدأ حرية الإنسان لأنها جاءت بالأوامر الإلهية والتكليفات الدينية التى تفترض حرية الإنسان فى طاعتها أو عصيانها، حيث يترتب على ذلك تحمل المسئولية دون التنصل منها، ومن الآيات القرآنية الدالة على حرية الإرادة قوله تعالى: (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَة) «المدثر ٣٨» (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ) (فصلت: ٤٦) اذكر أمثلة أخرى من الآيات القرآنية.

٢ ـ **حرية الإنسان ليست مطلقة:** إن الحرية المقصودة هنا ليست مطلقة، وإنما هى محدودة ومتناهية وذلك بشهادة العقل أيضا لأن هناك قوى أخرى تحيط بنا وتحد من حريتنا وتعوق تنفيذ إرادتنا فى كثير من الأحيان، ومما يدعم هذا الأمر الطبيعى أن «لا تناهى» الحرية يتحقق فقط فى الذات الإلهية اللامحدودة دون الإنسان المحدود والمتناهى.

٣ ـ **حرية الإنسان ليست شركا بالله:** كان الجهميون والأشاعرة يعتبرون حرية الإنسان فى خلق أفعاله حسب إرادته نوعا من الشرك بالله الذى هو وحده الخالق لكل شىء لذلك حاولوا التغلب على هذه المشكلة إما بالقول بالجبرية «جهم بن صفوان» أو القول بالكسب «أبو الحسن الأشعرى».

لكن محمد عبده عندما نادى بحرية الإنسان فى خلق أفعاله حسب إرادته قرر أن هذا الأمر ليس شركا بالله تعالى، لأن الشرك فى نظر الإمام وحسب المفهوم الصحيح للدين هو الاعتقاد بأن هناك قوة أخرى غير الله. لها تأثير يفوق تأثير قوة الله، وهذا الوضع غير متحقق فى حالة حرية العبد فى خلق أفعاله المحدودة.

وقد رأى الأفغانى أن يقظة العالم الإسلامى لن تتم إلا بوحدة الدول الإسلامية تحت لواء جامعة إسلامية، تكون أساسا لتجديد قوة المسلمين والأخذ بيدهم فى طريق التقدم، وذلك إلى جانب حفز المسلمين على الثورة ضد الظلم، ومكافحة الاستبداد ومحاربة الفساد فى حياة الفرد والمجتمع والدولة على السواء.

فى تلك الأثناء كان الشيخ محمد عبده قد تعرف على جمال الدين الأفغانى وتتلمذ على أفكاره الإصلاحية وصاحبه فى كفاحه ودعوته إلى اليقظة الإسلامية.

نشأة محمد عبده وكفاحه الإصلاحى: نشأ الشيخ محمد عبده وعاش فى مصر، وأتم تعليمه فى الأزهر وشارك فى ثورة عرابى حيث قبض عليه وسجن ثم نفى بعد ذلك ثلاث سنوات قضاها فيما بين بيروت وباريس، حيث اشتهر بوصفه ثائرا أزهريا. و فى هذه الأثناء تعرف بجمال الدين الأفغانى وتأثر بآرائه الثورية وباتجاهاته الإصلاحية للنهوض بالمسلمين وتجديد الفكر الدينى وتطوير المجتمع.

وأصدر فى باريس بالتعاون مع الأفغانى مجلة «العروة الوثقى» وظل يواصل الكتابة الثورية حتى عاد ثانية إلى مصر بعد أن احتلها الإنجليز ووجه جهوده لإصلاح الأزهر الشريف والنهوض بالتعليم الدينى بوصفه أداة نشر الوعى بين كل أفراد الشعب إلى جانب دعوته للثورة على الاستعمار والظلم، ورغبته فى صياغة تجديد الفكر الإسلامى ليواجه بكفاءة تحديات ذلك العصر.

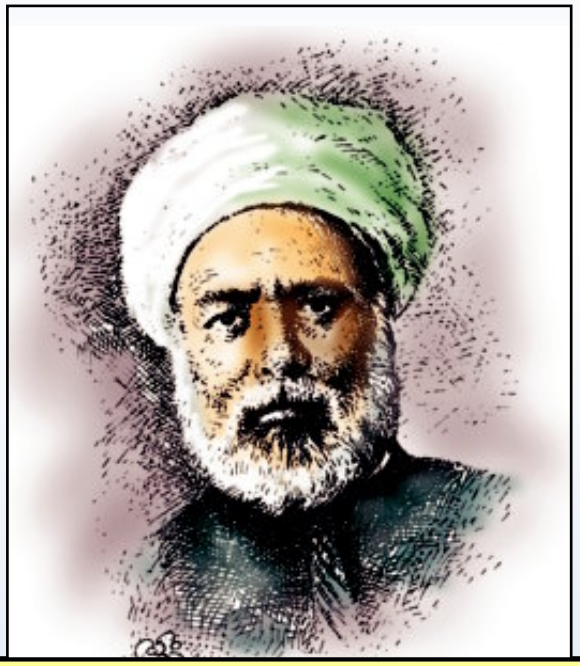

لشيخ الإمام محمد عبده

«١٨٤٩ ـ ١٩٠٥»

الشيخ محمد عبده ولد فى مصر وتأثر بجمال الدين الأفغانى. وقد كرس الشيخ الإمام حياته لإصلاح المجتمع وتجديد الفكر الدينى. وتطوير الدولة وفقا للمبادئ الإسلامية الصحيحة. وبلور آراءه فى عدة نظريات فكرية. كان من أشهرها نظريته فى الحرية. والتى رفض أن يتخذ فيها موقفا توفيقيا وإنما انحاز صراحة إلى جانب حرية الإرادة الإنسانية. مدعما ذلك بالأدلة الدينية والعقلية المتنوعة.

أسئلة وأنشطة

١ ـ اشرح العوامل التى أثرت فى الاتجاه الفكرى لكل من ابن رشد والإمام محمد عبده.
٢ ـ وضح وجهة نظر الفيلسوف ابن رشد فى التوفيق بين الحكمة والشريعة.
٣ ـ كيف ترتب موقف ابن رشد من الحرية على فكره فى التوفيق بين الفلسفة والدين.
٤ ـ قارن بين موقف كل من الأشعرى وابن رشد من مشكلة الحرية.
٥ ـ اشرح حجج ابن رشد فى مناقشته لكل من المعتزلة والجهمية حول موضوع حرية الإرادة.

٦ ـ «كانت نظرية الإمام محمد عبده فى حرية الإنسان ترجمة صادقة لنزعته الإصلاحية»
اذكر أهم الأسس التى قامت عليها هذه النظرية.
الإجابة: تتلخص أسس نظرية محمد عبده عن الحرية فى الأفكار التالية:
١ ـ الإنسان حر بشهادة العقل والشريعة
٢ ـ حرية الإنسان ليست مطلقة
٣ ـ حرية الإنسان ليست شركا بالله.
٤ ـ القضاء معناه أسبقية العلم الإلهى.
٥ ـ التوكل ليس جبرية واستكانة وإنما ثقة بالله فى السعى والعمل.

٧ ـ يشهد العقل والشريعة على حرية الإنسان ـ فسر.
٨ ـ **علل ما يأتى** :
(أ) تأكيد الإمام محمد عبده على معنى التوكل
(ب) التوسط فى حل مشكلة الحرية عند كل من الأشعرى، وابن رشد.
(جـ) انتقاد محمد عبده لمفهوم التوكل الخاطئ عند بعض الناس.
٩ ـ كيف فسر كل من الفلاسفة والمصلحين معنى حرية الإنسان؟
١٠ ـ اكتب كلمة موجزة لتلقيها فى إذاعة المدرسة عنوانها:
«الإمام محمد عبده من زعماء الإصلاح فى مصر».

٤ ـ القضاء معناه أسبقية العلم الإلهى: يرى محمد عبده أن القول بحرية الإرادة الإنسانية لا يتنافى مع «القضاء» خاصة أن هذا المفهوم الأخير لا يعنى الجبر والقهر والإلزام وإنما معناه عند محمد عبده مختلف وجديد.. فالقضاء يعنى **«سبق العلم الإلهى»** لأن الله تعالى يحيط علما بما سيقع من الإنسان بإرادته وبأن «عمل كذا يصدر عن فلان فى وقت كذا وهو خير يثاب عليه بينما عمل كذا الآخر شر يعاقب عليه».

ويؤكد محمد عبده أن العلم الإلهى السابق لا يحول دون أن يكون الإنسان حرا فى أعماله بوجه ما وذلك لسبب أساسى هو أن كل ما يدخل فى علم الله يتحقق بالضرورة، لأنه مادام قد أحاط به الله فلابد أن يكون متفقا مع الواقع. وهذا الواقع لا يتبدل من ناحية العقل.. فإن الإحاطة بما سيقع لا تكون مانعة من الفعل ولا باعثة إليه.

٥ ـ التوكل ليس جبرية واستكانة، وإنما ثقة بالله فى السعى والعمل: إن التوكل عند محمد عبده ليس معناه الجبرية والاستكانة وليس معناه الجمود والقعود عن السعى والعمل، وإنما يقصد الإمام بالتوكل. الثقة بالله فى السعى للعمل وفقا للإرادة والعقل.

وكان الإمام يريد بهذا المعنى استنهاض همم المسلمين الذين ركنوا فى عصره إلى الخمول وترك العمل تحت ستار الدين وباسم التوكل فازداد تخلفهم عن باقى الأمم. وكانوا قد احتجوا على ترك العمل والتوكل بقول النبى عليه الصلاة والسلام: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا «جائعة» وتروح بطانا «شبعانة».

لكن محمد عبده يصحح التفسير الخاطئ لهؤلاء الخاملين باسم التوكل فيقول: لو صح ما يذهبون إليه لقال النبى عليه الصلاة والسلام «لرزقكم كما يرزق الطير. تلبث فى أعشاشها وتفتح أفواهها. فتصبح خماصا وتمسى بطانا.. وإذا كانت الغريزة عند الطير تدفعها إلى العمل والسعى وراء الرزق. فإن ما يدفع الإنسان إلى ذلك هو العقل والإرادة الحرة.

الباب الرابع

الإنسان ومشكلة الحرية من المنظور الاجتماعى الغربى

مـقـــدمـــة

الفصل الأول: مـذاهـــب الجـــبريـــة

الفصل الثانى: مـذاهـــب الحـــريـــة

٥٨ أبيض

الفصل الأول

مذاهب الجبرية

الجبرية وأدلة وجودها

(أ) مقدمة:

كثيرا ما يلاحظ الإنسان فى حياته اليومية أن هناك نوعين من الأفعال يصدران عن سلوكه:

النوع الأول : يكون الإنسان حرا فى القيام به وممارسته أو عدم الإتيان به،ورفض ممارسته بمحض اختياره.

والنوع الثانى: من الأفعال على العكس من ذلك، يجد الإنسان نفسه مضطرا ومجبرا على القيام به وممارسته دون أى إمكانية للاختيار «اذكر بعض الأمثلة لكل نوع من تلك الأفعال».

ومن هنا أصبح الإنسان يميز فى سلوكه عامة بين مفهومين هما: حرية الأفعال وجبريتها: وحيث بدأ الفلاسفة يتساءلون عن الطبيعة الحقيقية للأفعال الإنسانية، وهل هو حر أم مجبر؟ وشرعوا فى تحليل السلوك والأفعال ليرتدوا إلى مبادئها الأولى، وانقسموا إلى مجموعتين من المذاهب الأساسية.

الأولى: تنادى بالحرية.

والثانية: تؤكد الجبرية فى حياة الإنسان، وذلك حسب وجهات نظر كل فيلسوف فى تفسير هذه الظاهرة.

فيما يختص بمذاهب الجبرية.. فإنها رغم اختلافاتها الفرعية الداخلية، تتفق على تعريف عام للجبرية فى السلوك الإنسانى، مع تمييزه عن مفهوم الحتمية فى العلوم الطبيعية. وذلك كما يلى:

(ب) الجبرية والحتمية:

- **الجبرية تقال على السلوك الإنسانى:**

بمعنى أن الإرادة العاقلة للإنسان عاجزة عن الاختيار والتحكم فى سلوك وأفعال صاحبها، وأنها قاصرة عن توجيه مجرى الأحداث. لأن حياة الإنسان تخضع لمؤثرات أخرى محددة وظروف معينة خارجة عن الإرادة الإنسانية، وترجع إما إلى قدرة الله تعالى، أو إلى ظروف المجتمع، أو إلى الطبيعة الخارجية، وذلك حسب ما يذهب إليه كل مفكر وفيلسوف.

- **الحتمية تقال على العالم الطبيعى:**

بمعنى أن كل ظاهرة طبيعية تكون مقيدة بشروط معينة تحتم حدوثها بالضرورة فى شكل محدد. وبحيث إذا توافرت تلك الشروط، فإنه يمكن التنبؤ بضرورة حدوث الظاهرة، «مثلا إذا توافر شرط وجود الحرارة، فإنه يؤدى بالضرورة إلى حدوث ظاهرة تمدد المعادن».

(جـ) أدلة وجود الجبرية عند الإنسان:

ذهب أنصار الجبرية إلى أنها موجودة فى التكوين الجوهرى للإنسان. وأوردوا ثلاثة أدلة على هذا الرأى جسمية ونفسية واجتماعية وذلك كما يلى:

١- الدليل الجسمى: يشعر الإنسان أنه مضطر لأن يأكل بالضرورة لوجود دافع عضوى أولى فطرى هو الجوع، الذى لابد أن يؤدى إلى تلك النتيجة الحتمية، وكذلك الحال بالنسبة لدافع العطش وغيره من دوافع

٦٠ أبيض

كانت جهود «نيوتن» و«كوبر نيكوس» فى اكتشاف القوانين التى تحكم مسارات الكواكب والتوصل إلى آلية حركتها وحتميتها من العوامل التى ساعدت على نقل التفسير الجبرى إلى سلوك الإنسان.

٣- اكتشاف الحتمية فى علم الحياة:

كان العلماء يظنون خطأ أن الجسم الحى بخلاياه الأساسية لا يخضع لأية قيود حتمية أبدا، لكن الاكتشافات العلمية الحديثة، وخاصة بعد ظهور علم «الكيمياء العضوية» أثبتت أن الخلية الحية هى نتاج حتمى لعدة تفاعلات كيميائية تخضع لقوانين محددة.

٤- اتساع التفسير الآلى للسلوك الإنسانى:

بدأ علماء النفس – فيما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر – يستخدمون مناهج البحث التجريبية فى دراسة السلوك الإنسانى، حيث أسس العالم الألمانى «فونت» عام ١٨٧٩ أول معمل تجريبى لعلم النفس.. وكانت تلك مقدمات التفسير الآلى العلمى للظواهر السلوكية عند الإنسان فى ارتباطها بالتغيرات الفسيولوجية للجسم.

وكان من أبرز مظاهر تلك الآلية التجريبية فى علم النفس «المدرسة السلوكية» التى رد أنصارها الظواهر النفسية إلى مجموعة من السلوك الخفى المترتب على علاقات آلية من الجهاز العصبى وأصبح السلوك الإنسانى نتاجا حتميا لعوامل مادية، وأسباب جسمية، وحيث انهارت فكرة حرية الإرادة الإنسانية.

بالإضافة إلى ذلك كان ظهور نظرية التطور عند دارون من الأسباب التى دعمت القول بالجبرية فى حياة الإنسان، الذى تطور من وجهة نظر دارون وفق قوانين محددة ارتبطت بظروف البيئة، وجعلت الكائنات الحية تأخذ شكلا معينا لا دخل لها فى اختياره.

وقد تأكدت تلك الحتمية أيضا بعد اكتشاف «مندل» قوانين الوراثة، التى يمكن بواسطتها التحكم فى نسل الكائنات الحية والتنبؤ بأشكالها المنتظرة فى المستقبل، وأصبح الإنسان فى حياته ونسله وتطوره محكوما بقوانين معينة تحتم عليه وضعه الذى هو فيه دون تدخل إرادته.

نتيجة للظروف السابقة التى سادت أوروبا فى العصر الحديث، ظهرت المذاهب الفلسفية الجبرية التى حاول أصحابها تأكيد أن الإنسان مجبر فى حياته وليس مختارا، وسوف نستعرض فيما يلى وبإيجاز مثالا لرأى واحد من فلاسفة الغرب المحدثين، وحيث تأثر بكل الظروف السابقة، فكانت آراؤه فى الجبرية تعبيرا صادقا عن هذا الاتجاه وهو هيوم فى القرن الثامن عشر.

(ب) الجبرية عند «هيوم» :

١- نبذة عن هيوم:

عاش ديفيد هيوم (١٧١١ – ١٧٧٦) فى إنجلترا فى منتصف القرن الثامن عشر وكان من أبرز دعاة الفلسفة التجريبية الحسية فى عصره، واشتهر هيوم بدراساته العميقة للمعرفة البشرية والأفعال الإنسانية، والتى كان متأثرا فيها بمبدأ الضرورة الآلية، حيث كان يعكس الاتجاهات التجريبية المادية التى كانت سائدة فى عصره.

٢- المعرفة البشرية:

حلل هيوم المعرفة البشرية وانتهى إلى أن الأفكار الكلية العقلية المجردة الموجودة فى العقل، مثل مفهوم «إنسان» هى فى حقيقتها مستخلصة من أشياء جزئية مادية أدركناها بالحواس من العالم الخارجى.. مثل «زيد وعلى وعبيد» وعلى ذلك يصبح **الفكر بالضرورة صورة عقلية لمدركات حسية**. أى أن الضرورة

وحاجات جسمية ضرورية.

بالإضافة إلى ذلك فإن الإنسان يميز فى أفعاله نوعا معينا لا يمكنه التحكم فيه، هو الأفعال اللاإرادية أو الأفعال المنعكسة مثل : إغلاق العين مباشرة عند تعرضها للضوء الشديد. وسحب اليد تلقائيا عند وخزها بدبوس حاد، وغير ذلك من الأفعال التى تحدث دون إرادة الإنسان وعلى غير رغبته.

وإلى جانب ذلك فإن الإنسان يرث صفات جسمية معينة وبعض أنواع من الأمراض لا يكون له دخل فى وجودها لأنها مفروضة عليه ومنقولة إليه بالوراثة دون أن يكون له دخل فى اختيارها أو رفضها.

٢- الدليل النفسى: يشعر الإنسان كثيرا فى قرارة نفسه أنه مضطر لإتيان سلوك معين دون غيره، ولا تكون له حرية فى اختيار هذا السلوك أو رفضه. فمثلا الخوف المفاجىء الذى يصيب الفرد بسبب واقعة ما يدفعه بالضرورة للارتجاف تلقائيا أو الهرب دون تدخل إرادته إلا فى حالات نادرة.

والإنسان صاحب النفسية المتشائمة أو المتفائلة نجد أن أفعاله وسلوكه وحياته عامة تعتبر نتيجة لهذا الشعور النفسى.

بالإضافة إلى أن الإنسان يشعر فى قرارة نفسه بالعجز أمام أحداث العالم الكبير. سواء كانت طبيعية أو اجتماعية ويجد نفسه مضطرا لأن يسير فى ركابها والخضوع لها بغير إرادته.

٣- الدليل الاجتماعى: إن الفرد حين ينشأ ويعيش داخل جماعة معينة، يجد نفسه مضطرا لأن يخضع للقيود السائدة فى هذه الجماعة، ولا يستطيع أن يغير منها شيئا جوهريا، فمثلا يولد الفرد فى أسرة معينة دون إرادته.. قد تكون فقيرة أو غنية، وينتسب إلى طبقة محددة دون إرادته وعلى غير رغبته. وهو يكتسب عاداته وتقاليده وديانته من مجتمعه تلقائيا، وحيث تحدد معالم شخصيته تدريجيا بالضرورة بفعل تلك العوامل الاجتماعية، ودون أن يشعر الفرد بهذه الجبرية التى جاءت من المجتمع.

وقد يعترض البعض على هذا الدليل للجبرية الاجتماعية بقوله: إن هناك أفرادا يثورون على قيود الجماعة، إن هذه الثورة دليل على حريتها والرد أن هناك أيضا كثيرين آخرين من أفراد المجتمع الذين يمثلون الأغلبية الساحقة.. لا يمكنهم الثورة على قيود المجتمع، وأن عدم القدرة هذا دليل على وجود مبدأ الجبرية الاجتماعية، بينما الاستثناءات الفردية تعتبر حالات قليلة جدا، ولا ترقى إلى مستوى القاعدة العامة.

(د) أبرز مذاهب الجبرية: وفيما يلى عرض موجز لآراء بعض الفلاسفة الجبريين فى العصر الحديث «هيوم» والقرن العشرين «المادية الجدلية» انطلاقا من الظروف المختلفة التى أدت إلى نشأة هذه المذاهب، تمهيدا لمقارنتها بمذاهب الحرية فى الفصل التالى.

١- مذاهب الجبرية فى العصر الحديث «هيوم»

(أ) ظروف نشأة الجبرية الحديثة:

كانت هناك مجموعة من الظروف المتنوعة أدت إلى ظهور الجبرية فى أوروبا بالذات على هيئة مذاهب فلسفية معينة وفيما يلى أهم هذه الظروف.

١- الانقلاب الصناعى:

كان للانقلاب الصناعى تأثير قوى على المجتمع الأوروبى أدى إلى ظهور المذاهب الجبرية التى تتوافق مع الآلية الصناعية الجديدة كما أدى فى نفس الوقت إلى ظهور مذاهب الحرية كرد فعل لتلك الآلية.

٢- اكتشاف حتمية حركة الأفلاك:

انتشار الفساد والتذمر بين أفراد الشعب. لأن الدعوة إلى الحرية الفردية، عادت بالفائدة على الأقلية الرأسمالية فقط وأضرت بالغالبية الكبرى من العمال وأفراد الشعب.

وقد حمل لواء نقد تلك المساوىء الناجمة عن النظام الرأسمالى الصناعى المتطرف اثنان من أشهر مفكرى الاشتراكية فى العصر الحديث.. هما «كارل ماركس» و«فريدريك أنجلز» وتوصلا من دراساتهما النقدية إلى أن علاج تلك المساوىء يتمثل فى تقييد الحرية الفردية والقضاء على النظام الرأسمالى. ويكون ذلك بواسطة تحريم ملكية وسائل الإنتاج على الأفراد، وتحويل ملكيتها إلى الدولة التى تمثل عامة الشعب. ومن ثم يكون عائد الإنتاج من نصيب الشعب كله بدلا من أن يقتصر على قلة من أفراد الشعب.

كانت تلك الأفكار تمثل الأسس الأولية التى قام عليها النظام الاشتراكى المتطرف «الشيوعية» والتى بدأ تنفيذها عمليا بعد ذلك فى روسيا على يد «فلاديمير لينين» بعد قيام الثورة الشيوعية هناك عام ١٩١٧.

٢- العوامل السياسية:

إن الحد من الحرية الفردية والقضاء على الرأسمالية ومنع الأفراد من ملكية وسائل الإنتاج لابد أن يحتاج بالضرورة إلى نظام سياسى قوى يحكم المجتمع بقبضة من حديد، لكى يجبر الجميع على قبول هذه التغييرات الاقتصادية والاجتماعية ومن هنا أصبح التلازم ضروريا بين الدكتاتورية كنظام سياسى والاشتراكية المتطرفة «الشيوعية» كنظام اقتصادى.

ولذلك عندما قامت الثورة الشيوعية فى روسيا أصبحت طبقة العمال هى التى تمسك بزمام الحكم، وهى وحدها التى تتولى تسيير شئون الدولة، ومن ثم ظهر مفهوم سياسى واقتصادى جديد فى العالم المعاصر هو «ديكتاتورية البروليتاريا» أى الطبقة العاملة.

وهكذا نجد فى ظل الظروف السابقة أن معالم الجبرية بدأت تتضح وتظهر بوضوح فى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأصبحت شئون الحياة والإنسان والمجتمع تخضع لمبدأ الضرورة وتسير وفقا لحتمية معينة.

وقد بلور المفكرون الروس – خاصة «لينين» – تلك الجبرية فى هيئة أفكار فلسفية نظرية تصور واقع مجتمعهم العملى فما هى خلاصة تلك الآراء؟

(ب) المادية الجدلية ومظاهر الجبرية عند الإنسان وهى تتمثل فيما يلى :

١- التفاعل المادى أساس كل مظاهر الحياة:

إن الموجود الحقيقى الأصلى هو المادة فقط، وما عدا ذلك من موجودات أخرى هى مجرد تجليات ومظاهر متعددة للمادة. والمقصود هنا كافة المحسوسات الموجودة فى الطبيعة. وكذلك عوامل الإنتاج والاستهلاك فى المجال الاقتصادى، إن التغيرات الكمية المادية تؤدى بالضرورة إلى حدوث ظواهر كيفية معنوية.

ويشرح «أنجلز» هذا المبدأ بالعديد من الأمثلة منها مثال «الماء» فى «علم الفيزياء» فإذا تغيرت درجة الحرارة وزادت كميتها تحول الماء إلى حالة جديدة هى «البخار» الذى يتسم حينئذ بكيفية وصفات جديدة أيضا يختلف فيها عن حالته عندما كان سائلا، وكذلك الحال فى الحياة الاقتصادية، فإذا تغيرت عناصر وعلاقات الإنتاج، مثل تحول ملكية المصانع إلى العمال، تغيرت معها العلاقات الإنسانية والحياة الاجتماعية والأخلاقية والفنية فى المجتمع، وذلك بوصفها كلها نتاجا للأساس الاقتصادى المادى.

ويترتب على ذلك أن مختلف الأبنية والنظم السامية عند الإنسان من آداب وفنون وعلوم وغيرها هى مجرد

الحسية المادية هى التى تتحكم فى الفكر المعنوى داخل العقل.

وهناك ضرورة أخرى تحكم إدراكنا للأشياء هى «**قانون تداعى المعانى**» ويقصد به أن إدراكى لمعانى الأشياء الخارجية ليس عشوائيا، وإنما يخضع لعوامل معينة تؤدى إلى تسلسل الأفكار، مثل التشابه والترابط والتسلسل وغيرها، مما يجعل معنى معينا يؤدى بنا إلى معنى آخر مرتبط به، وهكذا فى كل المعانى، وتشبه قوانين التداعى تلك قوانين الجاذبية، حيث تتسم بصفة الحتمية والتى تجعل وظيفة العقل هى تقبل المدركات الحسية ليكون منها المعانى بطريقة آلية.

ويرى هيوم أن ما نطلق عليه «**مبدأ السببية**» هو فى حقيقته غير موجود فى العالم الخارجى. وإنما هو مجرد **عادة عقلية فقط**. إن تعاقب بعض الظواهر فى ترتيب معين لا يعنى أن الظاهرة السابقة هى سبب حدوث الظاهرة اللاحقة وإنما تكرار حدوث التعاقب آليا جعلنا نعتادها، ونعتقد خطأ فى وجود السببية.

٣- آلية وحتمية الأفعال الإنسانية:

وقد ترتب على الأفكار السابقة أن قرر «هيوم» أن الأفعال الإنسانية آلية أيضا، ولا تحدث نتيجة وجود إرادة حرة تختار، وإنما هى تخضع لظروف الجسم والإدراك والعالم الخارجى.

وهو يرى أن الأفعال العقلية الإرادية لا يمكنها أن تكون محركا للأعضاء المادية فى الجسم، وإنما هى التى تكون نتاجا لنشاط الجسم والحواس.

إن الحرية المزعومة للفعل الإرادى، هى فى حقيقتها عمل طبيعى آلى تحكمه أحداث محسوسة تتمثل فى علاقة ضرورية قائمة بين البواعث من جهة والأفعال من جهة أخرى، وأن معرفة هذه البواعث تمكننا من التنبؤ بشكل الأفعال والتحكم فيها، ومن ثم لا توجد إرادة حرة، وإنما توجد علاقات ضرورية بين البواعث والأفعال تؤدى إلى نتائج حتمية فى سلوك الإنسان.

٢- مذاهب الجبرية فى القرن العشرين «المادية الجدلية»
(إثرائى للقراءة و المناقشة)

(أ) ظروف وعوامل نشأة المادية الجدلية فى القرن العشرين:

كانت مذاهب الجبرية قد ظهرت فى أوروبا أولا و لكن سرعان ما بدأت المذاهب الجبرية تنحسر وتفسح المجال لمذاهب الحرية التى بدأت تزدهر فى العالم الغربى المعاصر.. والتى أينعت ثمارها فى أوروبا وأمريكا. بينما تقلصت مذاهب الجبرية هناك، وبدأت تنتقل فى أوائل القرن العشرين من أوروبا إلى روسيا، حيث ظهرت بفعل ظروف أخرى جديدة، وارتبطت بقيام الثورة الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧، وبداية التطبيق العلمى لمبادئ المادية الجدلية فى مختلف شئون الحياة والمجتمع.

وفيما يلى أهم العوامل الاقتصادية والسياسية التى أدت إلى ظهور الجبرية وانتشارها فى روسيا:

١- العوامل الاقتصادية:

كان الانقلاب الصناعى فى أوروبا قد صاحبه ظهور النظام الرأسمالى القائم على حرية العمل والإنتاج، وقد أدى تطرف الرأسمالية الجديدة فى ممارسة تلك الحرية الاقتصادية إلى مساوىء عديدة، فأصبحت وسائل الإنتاج من مصانع وشركات وغيرها مملوكة كلها لعدد قليل من أصحاب رؤوس الأموال، بينما أصبحت غالبية أفراد الشعب معدمين يعملون أجراء فى تلك المصانع مقابل قوت يومهم. وترتب على ذلك

وهنا قد يقال إن تدخل الإنسان بإرادته فى مجرى الأحداث مطلوب لا ليحدث ما لم يكن ليحدث من تلقاء نفسه، بل ليسرع فى حدوثه بأن يزيل من طريقه المعوقات ويضيف عوامل الإسراع لكى تصل إلى الأهداف الموجودة قبل أوانها الطبيعى... ولكنه قول يناقض بدوره زعما آخر زعمه ماركس.. وهو أن الأفكار والقيم ليست سببا يسبق وقوع الأحداث، بل هى نتيجة تتفرع عن ذلك الوقوع. فإذا كان الأمر هكذا فبأى شىء تريدنى أن أتدخل فى سير التاريخ لأسرع من مجرى أحداثه، إلا أن يكون ذلك بما أحمله فى رأسى من أفكار وقيم.

انعكاسات للعوامل الاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع، ولا يمكن لهذه الانعكاسات أن تؤثر فى حركة تطور المجتمع وإنما هى التى تتأثر فقط بحركة تطور المجتمع.

٢- حتمية التطور وفقا لظروف المجتمع وحركات التاريخ:

إن أحداث المجتمع تقع وتتطور حسب قوانين موضوعية تتسم بالحتمية والثبات، ولا يستطيع الفرد أن يؤثر فيها أو يغير مجراها. لأن الفرد وإرادته الخاصة كلاهما من صنع تلك القوانين ومن ضمن مظاهر الحتمية التاريخية، لكن هل يعنى الأمر هنا نفى الحرية الفردية تماما؟ أم إعادة تفسيرها بطريقة جديدة؟

٣- الحرية الفردية تتمثل فى دقة تنفيذ القوانين الحتمية:

حاولت الماركسية - رغم ذلك - أن تؤكد وجود الحرية الفردية التى لا يمكن إنكارها تماما فى الحياة، وذلك من خلال القول بأن الحتمية التاريخية والضرورة العامة وجبرية الحياة لا تتنافى مع إقرار حرية الفرد. إن الأفراد يصنعون التاريخ فعلا، لكن تحت تأثير الظروف المحيطة بهم، وتنفيذا لضروبها المتطورة، لذلك تصبح الحرية الفردية هنا قائمة على معرفة ظروف المجتمع، واكتشاف قوانين الضرورة لكى يمكن للفرد استخدامها عمليا، أى أن الحرية الفردية تتمثل فى المعرفة الحقيقية والتنفيذ الدقيق للظروف والقوانين الاجتماعية. دون أن تكون تلك الحرية الفردية هى العامل المؤثر فى تكوين حركة التاريخ. لأن أحداث التاريخ الحتمية كانت ستحدث بالضرورة حتى لو كان بعض عظمائها قد ماتوا، لأن هؤلاء الأفراد ليسوا إلا تعبيرا عن تلك الأحداث حتمية الوقوع.

وجهة نظر فى نقد الجبرية الماركسية
للأستاذ الدكتور زكى نجيب محمود
(إثرائى للقراءة والمناقشة)

١- إن جبرية التاريخ معناها أن الماضى كان يحمل الحاضر فى جوفه، وأن الحاضر يحمل المستقبل، بحيث لو حللنا أية لحظة من لحظات التاريخ، استطعنا أن نقرأ فيها كل ما هو آت على مراحل الزمن، تماما كما يستطيع الفلكى أن ينظر إلى أجرام السماء فى لحظة ما، فيقرأ فيها أن كسوفا للشمس، أو أن خسوفا للقمر، أو غير ذلك من الظواهر الفلكية سيحدث حتما فى الوقت الفلانى من مقبل الأيام.

- ولو كان الأمر كذلك فى سير التاريخ لما كان هناك «جديد» ينبثق فى مراحل التطور الصاعد، فإحدى اثنتين: إما أن يكون التاريخ محتوم المسار، وبذلك لا يكون فى خطواته «جديد» يبديه. وإما أن يكون فيه «الجديد» يظهره مرحلة بعد مرحلة، وبذلك لا يكون محتوم المسار.

٢- إن الحتمية لا تتفق مع «إرادة التغيير» لأنه مع الحتمية لا تكون إرادة من جانب الإنسان إذ لا يبقى لهذا الإنسان إزاء تطور التاريخ إلا أن «يتفرج» على ما يحدث له وللمجتمع وللطبيعة على حد سواء مع أننا نرى «ماركس» حريصا على ألا يقف الناس - والفلاسفة منهم بوجه خاص - موقف المتفرج، بل لابد لهم أن يغيروا العالم، وهو يقول «لقد اكتفى الفلاسفة بتفسير العالم بطرق مختلفة، مع أن المهم هو أن نغيره»، فكيف أغيره إذا لم يكن هنالك احتمال آخر وهو أن أتركه على حاله بغير تغيير؟ مع أن هذا الفرض الثانى ممتنع إذا كان التاريخ محتوم الوسيلة ومحتوم الأهداف.

الفصل الثانى

«مذاهب الحرية»

الحرية الفردية وأدلة وجودها

(أ) تعريف الحرية:

اختلف الفلاسفة حول تعريف الحرية وتعددت آراؤهم فى هذه المشكلة، حتى ذهب بعضهم إلى القول بعدم إمكان تعريفها والاكتفاء بممارستها فقط، باعتبار أن الحرية حقيقة معاشة وقائمة فى حياة الإنسان. فكل فرد منا يشعر فى بعض الأحايين أنه مضطر للقيام بفعل ما دون إرادته. بينما يشعر فى أحايين أخرى أنه اختار فعلا آخر بمحض إرادته وبكامل حريته، لذلك أصبح من غير الممكن إدراك معنى الحرية إلا فى مقابلتها للجبرية. ومن هنا بدأت تتوالى تعريفات الفلاسفة للحرية. وفيما يلي أشهر التعريفات.

فالحرية هى: «**الإرادة الفردية التى تختار الفعل وتميزه عن روية وتدبر. مع إمكان عدم اختيار الفعل أو القدرة على اختيار نقيضه**».

(ب) أدلة وجود الحرية:

دعم فلاسفة الحرية موقفهم العام بالأدلة الثلاثة الأساسية التالية:

١- الدليل الجسمى:

يميز الإنسان – بوضوح فى حركات الجسم أفعال معينة لا دخل له فيها ولا سيطرة له عليها، مثل الأفعال الخاصة بالدوافع الأولية الفطرية، كالجوع والعطش والإخراج وغيرها، حيث يجد نفسه مجبرا على اتباع هذا السلوك الدافعى دون إرادته. وذلك إلى جانب الأفعال اللاإرادية المنعكسة مثل إغلاق العين عند ظهور الضوء القوى وغيرها.

لكن إلى جانب ذلك كله يشعر الفرد أن هناك مجموعة أخرى من الأفعال العضوية والحركات الجسمية يمكنه السيطرة عليها والتحكم فيها. وهى تبدو فى الأفعال الإرادية التى تمثل غالبية أكبر من الأفعال اللاإرادية. ومن أمثلتها القدرة على تحريك أعضاء الجسم. والقدرة على علاج الجسم من كثير من الأمراض دون الخضوع لقيود المرض تماما.

٢- الدليل النفسى:

إننا نشعر فى داخل أنفسنا بأننا نسيطر على أفعالنا عامة ونوجهها حسب رغباتنا. بالإضافة إلى شعورنا بأننا نمتلك إرادة حرة تجعلنا نختار هذا ولا نختار ذلك. إن هذا الشعور الداخلى بالحرية لا يمكن للفرد إنكاره، لأنه بمثابة بديهية واضحة بذاتها وليست فى حاجة إلى برهان.

ومما يؤكد هذا الشعور الداخلى بحريتنا كأفراد، هو أننا ننسب إلى الأفراد الآخرين كل أفعالهم ونحملهم مسئولية نتائجها، لاعتقادنا اليقينى بأنهم مارسوا تلك الأفعال بحرية تامة دون أى إلزام أو إجبار.. ومن ثم يتحملون مسئوليتها وحدهم.. وفى هذا كله افتراض أولى وبديهى بأن الإنسان الفرد يتمتع بإرادة حرة، ويشعر بحقيقتها داخل نفسه.

أسئلة وأنشطة

١- علل:

(أ) زيادة اهتمام الفلاسفة المحدثين والمعاصرين ببحث مشكلة الحرية.

(ب) ظهور الجبرية الحديثة.

(جـ) نشأة المادية الجدلية (إثرائى للمناقشة).

٢- وضح بمثال الفرق بين الجبرية والحتمية.

٣- يدعم أنصار الجبرية وجهة نظرهم ببعض الأدلة على أن الجبرية موجودة فى التكوين الجوهرى للإنسان.

- اعرض هذه الأدلة.

الإجابة: أورد أنصار الجبرية ثلاثة أدلة هى:

١ - الدليل الجسمى:

مثل شعور الإنسان بأنه مضطر للطعام لوجود دافع عضوى هو الجوع. وكذلك الأفعال المنعكسة والصفات الوراثية والأمراض.

٢ - الدليل النفسى:

مثل إحساس الإنسان باضطراره أحيانا إلى سلوك معين دون اختياره مثل الخوف المفاجئ فى موقف معين والشعور بالعجز أمام أحداث العالم الطبيعية والاجتماعية هكذا.

٣ - الدليل الاجتماعى:

وهو اضطرار الفرد للخضوع لقيود الجماعة مثل الأسرة والطبقة.. إلخ.

٤- اشرح وجهة نظر د. زكى نجيب محمود فى نقد الجبرية الماركسية (إثرائى للمناقشة).

٥- عقب برأيك علي مذهب المادية الجدلية فى الجبرية (إثرائى للمناقشة).

وذلك على العكس من المجتمعات البدائية – كما يرى روسو – التى يعيش فيها الإنسان بكامل حريته ويمارس الفضيلة والخير بفطرته الطبيعية الطيبة. ويحاكى الطبيعة ويعتمد على نفسه فى سد احتياجاته، لذلك لم تعتل صحته ولم تفسد أخلاقه. وإنما كان يعيش فى سعادة كاملة، لكنه فقد حريته وسعادته وخيريته نتيجة تجمع البشر وتقدم المجتمع وظهور الحضارة.

ومن ثم يجب الرجوع إلى تلك الحالة الطبيعية الأولى للحياة الإنسانية البدائية لكى نستعيد شعورنا بالحرية والخيرية والسعادة، ونتخلص من رذائل التقدم ومساوئ التحضر ونتحرر من قيود المجتمع.

٢- الثورة على الحكم المستبد والحق الإلهى المقدس:

كان من أسباب دعوة روسو إلى الحرية انتشار الحكم الملكى المستبد فى غالبية أنحاء أوروبا أثناء عصره، واعتماد الملوك فى تبرير استبدادهم على ما يعرف باسم **«الحق الإلهى المقدس»**، حيث كان الملك يعتقد أنه خليفة الله فى الأرض، وأنه مفوض شخصيا من الله تعالى فى حكم هذه المجموعة من البشر فى دولته الخاصة، ومن ثم لا يجوز لأفراد الشعب أن يثوروا على ممثل الله أو يتمردوا على إرادته. وتصبح كل أوامر الملك ونواهيه مستمدة من وحى الله تعالى وواجبة النفاذ دون اعتراض.

لذلك كانت نتيجة هذه الفكرة عن الحق الإلهى المقدس هى ترسيخ أقدام الحكم الملكى الدكتاتورى المستبد وانحسار نطاق الحرية الفردية للمواطنين الذين أصبحوا خاضعين تماما لإرادة الملك الإلهية.

٣- تأكيد أهمية العقد الاجتماعى والديمقراطية فى الحكم:

أراد «**روسو**» أن يحارب الحكم الملكى والحق الإلهى بطريقة جديدة، فأعاد النظر والتفكير فى طبيعة الحكم وتحديد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، حيث رفض مقدما فكرة الحق الإلهى المقدس، وشرع فى بحث الطريقة الصحيحة التى أدت إلى ظهور نظام الحكم عامة فى أى مجتمع إنسانى. وهى فى نظره تدور حول فكرة **«العقد الاجتماعى»**.

لقد كان الإنسان البدائى يعيش حياته الأولى بكامل حريته ومعتمدا على نفسه، لكن الظروف الطبيعية أجبرته على أن يتعاون تدريجيا مع غيره من أفراد البشر الآخرين، ويعيش معهم فى مجتمع واحد، فالخروج إلى الصيد مثلا جعله يحتاج إلى مساعدة غيره. وكذلك عمليات صد غارات الحيوانات الوحشية أجبرته على الإقامة مع غيره فى مكان أمين ليزداد قوة. وعندما جاءت مرحلة الزراعة فى تطور المجتمع البشرى. ازداد تعاون أفراد المجتمع وتماسكهم ومع بداية ظهور مرحلة الصناعة. أصبح أفراد المجتمع أكثر حاجة إلى التعاون والتماسك.

رأى «**روسو**» أن هؤلاء البشر اتفقوا فيما بينهم منذ بداية تجمعهم فى المراحل الأولى لظهور المجتمع على تكوين نوع من الاتحاد بينهم بمحض إرادتهم، حيث اختاروا بعض الأفراد منهم ليتخصصوا فى تنظيم المجتمع وإدارته. أى يتولوا مقاليد حكم الجماعة، بشرط أن يضمن هؤلاء الحكام المختارين توفير الحرية لأفراد المجتمع، **لأن الإنسان عند روسو ولد حرا**، وأن الاتحاد مع الآخرين فى المجتمع من شأنه تسخير قوة المجتمع لحماية الحرية الشخصية والممتلكات الخاصة لأعضاء المجتمع، وذلك بطريقة تجعل كل فرد وهو يتحد مع أقرانه إنما يطيع إرادة نفسه الحرة.

وينتهى «**روسو**» إلى أننا نتجمع ونتعاون باتفاقنا، ونتنازل عن بعض حقوقنا، مقابل هذا التجمع طواعية وبكل إرادتنا الحرة. وكذلك نختار من سيتولى مقاليد حكمنا. بشرط أن يحافظ لنا على حريتنا، أما لو خرج عن إرادة المجموع واعتدى على الحريات الأساسية للأفراد، فيحق عندئذ للشعب أن يخلعه من الحكم ويختار حاكما غيره، وهكذا حلل «**روسو**» قيام الثورات ضد الحكام المستبدين، محطما فكرة الحق الإلهى المقدس،

٣- الدليل الاجتماعى:

يتمثل هذا الدليل فى وجود ما يعرف باسم «وسائل الضبط الاجتماعى» السائدة فى المجتمع، والتى تعترف ضمنيا بحرية الفرد وضرورة التحكم فيها وتوجيهها إلى الصالح العام للمجتمع، ومن بين وسائل الضبط الاجتماعى توجد وسيلة عرفية هى العادات والتقاليد، ووسيلة رسمية هى القانون، وكل منهما يحدد جزاءات معينة للأفعال غير المتوافقة مع نظم المجتمع، ويعاقب الأفراد على نتائج أفعالهم إذا كانت ضارة، ويكافئهم عليها إذا كانت نافعة، ويتضمن هذا العقاب وذلك الثواب افتراضا أساسيا بأن الإنسان الفرد حر، وأنه لذلك مسئول عن أفعاله. أما لو كان الإنسان مجبرا وليست لديه حرية الاختيار، فلماذا إذن كانت المجتمعات تضع مختلف القوانين وتحدد شتى العقوبات للتحكم فى أفعاله؟!

(جـ) طريقة دراسة مذاهب الحرية وأمثلتها:

وسوف ندرس فيما يلي أبرز المذاهب الفلسفية الداعية إلى الحرية، والتي ظهرت فى أوروبا فى العصر الحديث عند «روسو» ثم فى القرن العشرين عند «سارتر»، وذلك انطلاقا من الظروف المختلفة التى أدت إلى نشأة هذه المذاهب، ولكى نتأكد من مدى توافقها مع تلك الظروف ومدى قوة أو ضعف أدلة أصحابها فى هذا الشأن.

١- مذاهب الحرية فى العصر الحديث «روسو»

(أ) نبذة عن روسو:

عاش **«جان جاك روسو»** – ١٧١٢ – ١٧٧٨ – فى فرنسا إبان القرن الثامن عشر، وكان فيلسوفا وسياسيا ومربيا، أثر تأثيرا كبيرا فى أوروبا بآرائه الفكرية المختلفة، وكان من أكبر دعاة الحرية فى عصره، واعتبر المؤرخون دعوته إلى الحرية من العوامل الرئيسية التى أدت إلى قيام الثورة الفرنسية.

لكن ما الأسباب والظروف التى دفعت «روسو» إلى توجيه فكره للدعوة إلى الحرية؟! إنها تتمثل فى العناصر الثلاثة التالية:

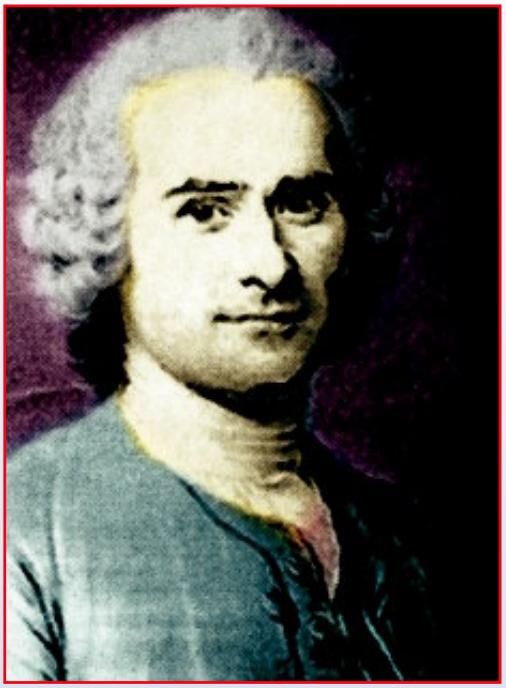

(ب) أسباب دعوة روسو للحرية:

أولا: التمرد على رذائل وقيود التقدم الحضارى.

ثانيا: الثورة على الحكم الملكى المستبد والحق الإلهى المقدس.

ثالثا: تأكيد أهمية العقد الاجتماعى وديمقراطية الحكم.

وفيما يلى عرض موجز لهذه الأسباب.

١- التمرد على رذائل وقيود التقدم الحضارى:

كان **«روسو»** يرى أن ازدهار الحضارة وتقدم العلوم والفنون عادة ما يرتبط بها انتشار الترف الذى يعتبر من العوامل المؤدية إلى فساد الأخلاق وانحلال المجتمع وتفشى الرذائل. ثم قد ينتهى الأمر إلى دكتاتورية الأثرياء وسيطرتهم على بقية أفراد المجتمع.

(أ) عوامل وظروف نشأة وجودية «سارتر»:

يدعو **«سارتر»** فى فلسفته إلى تأكيد الحرية والفردية، لكن فى شكل فلسفى آخر يتوافق مع ظروفه التى عاشها فى فرنسا وأوروبا، والتى تختلف عن الظروف التي عاشها غيره من الفلاسفة فى أمريكا. عاش «جان بول سارتر» «١٩٠٥- ١٩٨٠» فى فرنسا، وعاصر كثيرا من الأحداث والعوامل التى أثرت فى تشكيل فلسفته، والتي كان من أبرزها العوامل الثلاثة التالية:

١- التقدم العلمى وسيطرة الآلية على الإنسان.
٢- الحرب العالمية الثانية وتخريب الإنسان.
٣- بداية الانهيار التدريجى للحضارة الغربية.

وفيما يلى عرض موجز لتلك العوامل التى ساعدت على ظهور فلسفة سارتر الوجودية:

العامل الأول- التقدم العلمى وسيطرة الآلية على الإنسان:

لقد أحرز العلم التجريبى المادى تقدما كبيرا منذ بداية القرن العشرين، الأمر الذى زاد من إيمان الناس بأن العلم وحده هو أساس أى تقدم. لذلك وجه غالبية المفكرين جهودهم لدراسة الأسلوب العلمى والعالم الطبيعى المادى، وأهملوا دراسة العالم الإنسانى بما فيه من طاقات متفجرة، ولذلك جاءت وجودية سارتر لكى تعيد توجيه الأنظار ثانية نحو أهمية دراسة هذا الوجود الإنسانى بدلا من الانغماس فى العالم.

وبالإضافة إلى ذلك فإن الآلية التى ارتبطت بالتقدم العلمى والتكنولوجى تغلغلت فى حياة الإنسان وسيطرت على سلوكه حتى كاد الإنسان فى القرن العشرين - خاصة فى الحضارة الغربية - أن يصبح مجرد آلة تؤدى عملها اليومى برتابة آلية وملل شديدين يقتلان تدريجيا حيوية الإنسان وشعوره بحريته، لذلك ظهرت الوجودية كرد فعل لانتشار الآلية، وكمحاولة للعودة بالإنسان إلى حيويته وحريته وفرديته التى كاد يفقدها بسبب التقدم العلمى وانتشار الآلية وتحكمها فى مختلف جوانب الحياة.

العامل الثانى - الحرب العالمية الثانية وتخريب الإنسان:

أدت الحرب العالمية الثانية إلى انقسام غالبية دول العالم إلى جبهتين متحاربتين، وكانت الحرب بينهما ضارية، وأدت إلى نتائج وخيمة فى فرنسا على الخصوص، التى أصيبت بالهزيمة سريعا فى الحرب واحتلتها القوات الألمانية. فتحول الشعب الفرنسى كله إلى محاربين فى المقاومة الشعبية، وأصبح الفكر - من أدب وفلسفة وفن - موجها لخدمة حرب التحرير.

وفى هذه الظروف القاسية انضم **«سارتر»** وبقية زملائه الفلاسفة والمفكرين إلى صفوف المقاومة الشعبية، وظلوا يكافحون المستعمر إلي أن تحقق لفرنسا وحلفائها الانتصار على الألمان. ويلاحظ أنه فى هذه الفترة العصيبة من تاريخ فرنسا خاصة وأوروبا عامة تحولت الفلسفة من البحث فى عالم الميتافيزيقا إلى البحث فى عالم الإنسان ومصيره. وتحول اهتمام **«سارتر»** بسبب تلك الأحداث إلى دراسة الوجود

وحيث مهد بذلك لقيام الثورة الفرنسية ودعوتها إلى الحرية والإخاء والمساواة.

(ب) وسيلتا إصلاح المجتمع عند «روسو»:

لكن ما هو الطريق إلى صلاح المجتمع الحديث من مفاسده الأخلاقية والسياسية؟ وكيف يمكن أن ندعم الشعور بالحرية عند الفرد؟ حدد روسو وسيلتين لتحقيق هذا الإصلاح هما **التربية والديمقراطية**، حيث تختص التربية بمحو رذائل الحضارة والرجوع بالإنسان إلى حريته الفطرية، بينما تختص الديمقراطية بمحو مساوئ دكتاتورية الحكم واستعادة حرية المواطن.

١- التربية ودعم الحرية والأخلاق الطبيعية:

قرر **«روسو»** أن التربية هى الوسيلة الأولى لتدعيم الحرية عند الفرد. وهى التى يمكنها أن تقضى على مفاسد المجتمع ورذائل الحضارة وخاصة أن الأخلاق الإنسانية بطبيعتها خيرة وطيبة، لكن التحضر هو الذى أفسدها وقيدها بأغلال المجتمع، وتصبح وظيفة التربية هى إعادة تكوين هؤلاء الأفراد من جديد وفى نفس الجو الطبيعى الذى عاش فيه الإنسان البدائى. فنضمن بذلك أن تعود أخلاقهم إلى طبيعتها الأصلية الخيرة. وأن يزداد شعورهم بالحرية.

لذلك نادى **«روسو»** فى مذهبه التربوى بتأكيد حرية الطفل فى ممارسة السلوك واكتساب الخبرات وجعل أول خطوة فى تربية الطفل تبدأ بالمرحلة الطبيعية التى تأخذ الطفل بعيدا عن كل تأثير صناعى مقصود. أما بقية مراحل التربية فتهتم بتعويد الفرد الاعتماد على نفسه، لتخلق بذلك إنسانا يشعر بحريته شعورا حقيقيا.

٢- الديمقراطية والحكم وفقا لمبادئ العقد الاجتماعى:

هى الوسيلة الثانية للإصلاح عند روسو وهى تتصل بالجانب السياسى، وتستهدف تحقيق الحرية لكل أفراد الشعب من خلال النظام الديمقراطى لأن الدكتاتورية تسلب الأفراد حريتهم فى ظل سيطرة الأقلية على الأغلبية. بينما الديمقراطية تمنحهم حريتهم لأن الهيئة الحاكمة جاءت وفقا للعقد الاجتماعى العرفى بين أفراد المجتمع. ومن ثم يصبح لهؤلاء الأفراد الحق فى تنحية هذه الهيئة الحاكمة إذا ما خرجت عن إرادة الشعب.

ورغم ذلك فإن **«روسو»** يعتقد أن الديمقراطية بمعناها الصحيح والكامل لم ولن تتحقق إطلاقا. وإنما هو يحاول الاقتراب منها والسعى إلى تحقيق أهدافها قدر الإمكان، حيث توجد إلى جانب مزايا الديمقراطية الحرة بعض المساوئ مثل سرعة تغيير الحكومات بكثرة، وقابلية التعرض للحروب الأهلية، لكن رغم هذه المساوئ فإن **«روسو»** يفضل الديمقراطية قائلا: **«إننى أفضل الحرية مع الخطر، عن العبودية مع السلم»**.

٢- مذاهب الحرية فى القرن العشرين
«جان بول سارتر»

مقدمة: بخصوص المذاهب الفلسفية المعاصرة عن الحرية، التى تنتشر حاليا فى الحضارة الغربية المعاصرة فى وقتنا الحاضر، فإنها ترتد أيضا إلى جذور اجتماعية واقتصادية وسياسية، وترتبط بظروف التقدم العلمى والصناعى السريع، وتعكس كل أحداث القرن العشرين فى المجتمع الغربى المعاصر.

وسوف نعرض فيما يلى نموذجا لأحد مذاهب الحرية المعاصرة.. يعبر عن ثورة الفرد وتمرده على قيود الحضارة كما صورها الفيلسوف الفرنسى «جان بول سارتر».

القضية الثانية: الإنسان مسئول عن أفعاله ويتحمل نتائجها:

ترتبط هذه القضية فى فلسفة «**سارتر**» بالقضية الأولى السابقة، وذلك كما يلى: مادمنا قد انتهينا إلى أن الإنسان حر يختار أفعاله بنفسه ويحدد ماهيته بكامل إرادته. إذن يترتب على ذلك ضرورة أن يتحمل هذا الإنسان مسئولية تلك الحرية، وأن يتحمل تبعية أفعاله التى اختارها بحريته الكاملة.

وتعتبر مثل هذه القضية نتيجة منطقية للقضية السابقة، لأنه بدون تحمل المسئولية فإن الحرية التامة للفرد سوف تؤدى إلى فوضى عامة ودمار شامل للمجتمع. ويقول «**سارتر**» مؤكدا ذلك «**إذا كان الوجود أسبق من الماهية فالإنسان يصبح مسئولا عما هو عليه**» وبذلك يكون أول آثار الوجودية المترتبة على هذا المبدأ هو وضعها كل فرد وصيا على نفسه ومسئولا عن أفعاله مسئولية كاملة، أى أن **الحرية الكاملة تستتبع المسئولية الكاملة**.

القضية الثالثة: مسئولية الاختيار تولد القلق عند الإنسان:

إن حرية اختيار الفرد لفعل معين، وما سوف يرتبط بذلك من تحمل للمسئولية، عادة ما يؤدى إلى تولد القلق والخوف من نتائج هذا الاختيار وتلك المسئولية، ومثل ذلك كمثل القائد الذى سوف يتخذ بكامل حريته قرارا بالهجوم بجيشه على العدو، ثم يتحمل بعد ذلك مسئولية هذا القرار ونتائجه التى قد تكون نصرا أو هزيمة، لذلك يكون القلق مصاحبا للمسئولية لكن بدرجات متفاوتة.

ويقرر «**سارتر**» أن هذا القلق شىء طبيعى فى حياة الإنسان الحر المسئول، وأنه لا يقصد به القلق المرضى. فيقول: إن القلق الذى نعنيه هنا ليس هو القلق الذى يؤدى إلى الاستكانة واللا فعل. لكنه القلق البسيط الذى يعرفه كل من تحمل مسئولية من المسئوليات فى يوم من الأيام. وعلى هذا فإن الإنسان يظل طوال حياته يعيش فى قلق دائما مادام حرا يختار ويتحمل مسئولية اختياره.

لكن هذا القلق العادى المرتبط بالمسئولية وفقا للمفهوم الوجودى الأصلى عند «**سارتر**»، انحرف بعد ذلك على يد المفكرين والأدباء الشبان الأوروبيين، وتحول تدريجيا إلى قلق مرضى انتشر فى كل أنحاء المجتمع الأوروبى عقب الحرب العالمية الثانية، التي أصابت نفوس الشبان بالدمار، وقد ترك هذا القلق المرضى رواسبه حاليا فى المجتمعات الغربية وصاحبه تفكك كثير من جوانب هذه المجتمعات وانتشار حركات اللامعقولية واللامبالاة، وغيرها من حركات أخرى غريبة وشاذة تستهدف تحاشى هذا القلق.

الإنسانى من حيث حدود حرية الفرد وماهيتها. وذلك بهدف تحديد مسئولية الإنسان عن هذه الحرب، وما صاحبها من دمار أصاب البشرية.

العامل الثالث – بداية الانهيار التدريجى للحضارة الغربية:

إن ازدياد نضج الحضارة الغربية المعاصرة يحمل فى ثناياه بذور انهيارها ومقدمات انحلالها التدريجى باعتبار أن ذلك يمثل نتيجة حتمية لكل حضارة استنفدت كافة طاقاتها وبدأت تنطفئ تدريجيا.

لقد استنفدت الحضارة الغربية المعاصرة غالبية طاقاتها العقلية الممكنة. لذلك ظهرت فى ثناياها الدعوة إلى اللامعقولية، وانتشر العبث واللامبالاة فى كثير من جوانب المجتمع الغربى.

ظهرت وجودية «**سارتر**» فى هذه الظروف لتعبر عن تلك السمات فى صورة فلسفية، ولكى تؤكد أهمية الوجود الفردى للإنسان وتدعوه إلى التمرد على سيطرة المجتمع، فى محاولة لإشعار الإنسان بكيانه المستقل.

(ب) خلاصة رأى سارتر فى الحرية:

صاغ «**سارتر**» فلسفته الوجودية حول محور أساسى يتمثل فى تأكيد الفردية ودعم الحرية، ويتلخص رأيه فى ثلاث قضايا فلسفية أساسية مترابطة هى:

١- الإنسان حر، لأن وجوده أسبق من ماهيته.

٢- يترتب على ذلك أن الإنسان يكون مسئولا عن أفعاله ويتحمل نتائجها.

٣- ونتيجة لمسئولية الاختيار يتولد القلق عند الإنسان.

وفيما يلى عرض موجز لتلك القضايا الثلاث:

القضية الأولى: الإنسان حر لأن وجوده أسبق من ماهيته:

قرر «**سارتر**» أن الإنسان بطبيعته حر تماما، وهو الذى يصنع بنفسه هذه الحرية، كما أنه يختار بنفسه ماهيته الخاصة به وصفاته المميزة له. دون أى إجبار من غيره عليه.

وفى سبيل ذلك ذهب «**سارتر**» إلى أن الإنسان يوجد أولا فى العالم، وبعد ذلك تظهر ماهيته وخصائصه التي يصنعها بنفسه ويختارها بإرادته الحرة، ومن هنا جاء اسم الوجودية لأن وجود الإنسان عندها أسبق من ماهيته. وهكذا قلب «**سارتر**» الوضع فى العلاقة بين الماهية والوجود بالنسبة للإنسان كما يلى:

– فى الفلسفة التقليدية السابقة عليه، **ماهية الإنسان أسبق من وجوده**.

– فى الفلسفة الوجودية الخاصة به: **وجود الإنسان أسبق من ماهيته**، وحيث يستطيع الإنسان – فى الحالة الثانية – أن يختار ماهيته بنفسه، عكس الحالة الأولى التى تكون الماهية مفروضة عليه.

والماهية التى يقصدها «**سارتر**»هنا هى الصفات الأساسية الخاصة التى تميز شخصية كل فرد على حدة، والتي يختارها الفرد بإرادته الحرة، مثل أن يكون شجاعا أو جبانا.. موظفا أو تاجرا.. لصا أو شريفا.. إلخ، وهكذا يصنع الإنسان ماهيته بنفسه وحسب إرادته دون أن يكون للظروف الخارجية أو لأية قوة أخرى غيره تأثيرها فى اختيار وصنع هذه الماهية.

وكانت المبررات التى دفعت «**سارتر**» إلى القول بأسبقية الوجود على الماهية، هي ظروف هزيمة فرنسا أمام ألمانيا، ورغبة «**سارتر**» فى تحميل مسئولية هذه الهزيمة على الشعب الفرنسى، الذى كان يمكنه اختيار النصر بدلا منها، لكنه عجز عن ذلك بحجة أن الهزيمة كانت قدرا مقدرا على فرنسا.

الباب الخامس

الإنسان ومشكلة الإلزام الخلقى

مقـدمــة

الفصل الأول: الاتجاه الحسى والاتجاه الاجتماعى فى الإلزام الخلقى

الفصل الثانى: الاتجاه الوجـدانى والاتجاه العقلى فى الإلزام الخلقى

أسئلة وأنشطة

١ – اكتب مقالا قصيرا لمجلة المدرسة ترد فيه على أنصار الجبرية، وذلك بتوضيح أدلة وجود الحرية.

٢ – اكتب كلمة موجزة لتلقيها فى إذاعة المدرسة موضوعها:

«التربية والديمقراطية من أهم أسس الحرية».

٣ – انسب العبارة التالية لصاحبها – مع الشرح «وجود الإنسان أسبق من ماهيته».

٤ – علل لما يأتى:

(أ) تقرن الوجودية الحرية بالمسئولية.

(ب) الحكم الملكى المستبد أثر فى فلسفة روسو عن الحرية.

٥ – اعقد مقارنة بين ظروف نشأة كل من «روسو» و«سارتر» وكيف أثرت هذه الظروف فى آرائهما عن الحرية.

٦ – الدليل الاجتماعى أحد الأدلة التى استند إليها أنصار كل من الجبرية والحرية – فسر.

٧– حدد المقصود (بالحرية)

٨– لخص بإسلوبك كلً من:

ا– العقد الإجتماعى عند (**روسو**)

ب– إرتباط القلق بالمسئولية عند (**سارتر**)

جـ – الدليل الجسمى الذي يؤكد حرية الإنسان

مقـدمـة

(أ) المقصود بالإلزام الخلقى:

إن السلوك الإنسانى عامة، ليس سلوكا عشوائيا ولا يحدث بطريقة عفوية، لكنه فى جوهره سلوك إرادى منظم. ويستطيع الإنسان أن يتحكم فى غالبيته بوسائل كثيرة ومتنوعة، وفيما يتصل بالسلوك الأخلاقى خاصة، وهو الذى يدور حول الخير والشر والفضائل والرذائل، وغير ذلك من أخلاقيات أخرى، فإنه يصدر عن دوافع معينة يمكن لأى فرد أن يلاحظها فى حياته اليومية.

إن الفرد قد ينساق وراء إحدى نزواته، ويقع فى مهاوى الرذيلة، كالكذب أو خيانة الأمانة مثلا، لكنه قبل الشروع فى تنفيذ هذا السلوك اللاأخلاقى يعيد التفكير بإمعان فيما هو مقبل عليه، ثم يقرر التوقف عن ممارسة هذا السلوك، ويلتزم فى مقابل ذلك بسلوك أخلاقى يرى أنه هو الذى ينبغى الاقتداء به وهو الذى يجب اتباعه دون غيره من سلوك آخر.

وعلى هذا **«فالإلزام الخلقى» يدور حول ما ينبغى وما يجب فى السلوك الأخلاقى.** إن الفرد الذى يمتنع عن الكذب أو خيانة الأمانة حين نسأله عن السبب فى هذا الامتناع يجيبنا بأنه أحس بدافع «يوجب» عليه الامتناع عن هذا السلوك، وأن هناك سلوكا آخر أخلاقيا «ينبغى عليه» اتباعه، ذلك هو الإلزام الخلقى الذى يرجع فى المثال السابق إلى نواهى الدين أو عقوبات القانون التى يحددها المجتمع، أو غيرهما من مصادر أخرى للإلزام الخلقى.

(ب) تعدد مصادر الإلزام الخلقى بتعدد مكونات الشخصية:

إختلفت مصادر الإلزام الخلقى وتعددت تبعا للتركيز على أحد الجوانب المكونة للشخصية الإنسانية، حيث تفرق الفلاسفة فى مذاهب متنوعة كل منها يرد الإلزام إلى أحد هذه الجوانب.

إن الشخصية الإنسانية تتكون من الجوانب الأساسية التالية والتى ارتبط كل جانب منها بنوع معين من مصادر الإلزام الخلقى المتوافقة مع هذا الجانب، وذلك كما يلى:

١- **الجانب الجسمى:** ويضم أعضاء الجسم والإحساسات والدوافع الأولية والشهوات، وقد ذهب بعض الفلاسفة إلى أن مصدر الإلزام الخلقى هو اللذة الحسية المتوافقة مع الطبيعة المادية للجسم الإنسانى.

٢- **الجانب الاجتماعى:** ويضم العلاقات الاجتماعية والضوابط القانونية والعادات والأعراف الاجتماعية، التي تظهر نتيجة تجمع الأفراد مع بعضهم فى مجتمع معين، وقد ذهبت مجموعة من الفلاسفة إلى أن مصدر الإلزام هو تلك الضوابط الاجتماعية.

٣- **الجانب الوجدانى:** ويضم الانفعالات والعواطف والميول، وقد رد بعض الفلاسفة الإلزام الخلقى إلى هذا الجانب الوجدانى وأسسوا الأخلاق على العاطفة الإنسانية (الحاسة الخلقية).

٤- **الجانب العقلى:** ويضم كافة القدرات العقلية والقوى الفكرية العليا عند الإنسان، ولذلك جعل بعض الفلاسفة مصدر الإلزام الخلقى هو (العقل) بمبادئه المطلقة.

وسوف ندرس فى الفصل الحالى والفصل القادم مجموعة من مذاهب تفسير الإلزام الخلقى المتنوعة حسب تنوع مكونات الشخصية الإنسانية، والسابق ذكرها، وسوف نعرض كل مذهب انطلاقا من ظروف نشأته مع التعقيب النقدى على الموقف الأخلاقى للمذهب، وحيث ننتهى أخيرا إلى التأكيد على ضرورة تكامل مصادر الإلزام الخلقى، مثلما تتكامل كل الجوانب المكونة للشخصية.

٧٨ أبيض

الإنسان يخاف إعلان الحقيقة تحاشيا للاستهجان الظاهرى من الآخرين، وأقصى أمل أخلاقى هو أن يحقق الفرد المنفعة العامة للمجموع من خلال منفعته الخاصة.

٣- نتائج الفعل هى مصدر الإلزام الخلقى: ذهب النفعيون إلى أن القيمة الأخلاقية للفعل تتحدد فى نتائجه، أى فى الجزاء الذى يترتب على ممارسة الفعل، وعلى هذا تكون **جزاءات الأفعال هى مصدر الإلزام الخلقى**. فمثلا إذاكان جزاء ممارستى فعلا معينا هو العقاب والضرر والألم، فإننى أتحاشى تكرار هذا الفعل، بينما أميل إلى ممارسة الأفعال الأخرى التى يكون جزاؤها ثوابا ونفعا ولذة تعود على نفسى.

وكما عرفنا من قبل أن الإنسان عند النفعيين يبحث بفطرته عن اللذة والمنفعة، وأنه بطبيعته أنانى، وأنه لأجل ذلك يكثر من ممارسة الأفعال التى يكون جزاؤها ثوابا له، ويبتعد عن الأفعال التى يكون جزاؤها عقابا له، أى أن مصدر الإلزام الخلقى يرتد إلى جزاءات الأفعال، وتلك بدورها ترتد إلى مدى تحقق اللذة والمنفعة.

(جـ) نقد مذهب المنفعة العامة:

تعددت الانتقادات التى وجهت إلى هذا المذهب، وكان من أبرزها ما يلى:

١- اللذة لا تصلح مصدرا للإلزام الخلقى عند الإنسان: إذا كانت شخصية الإنسان تتكون من عدة جوانب متكاملة، فإن الجانب الجسمى هو أحدها فقط، وليس هو كل الشخصية، بالإضافة إلى أن هذا الجانب الجسمى بمشتملاته الداخلية العضوية، يشترك فيها الإنسان والحيوان، لذلك فإن اللذة الحسية مهما حاول البعض تطويرها لا يصح أبدا أن تكون هى مصدر الإلزام الخلقى أو منبع القيم الأخلاقية، فالأخلاق تكون إنسانية بقدر ارتباطها بما يميز الإنسان عن الحيوان.

٢- المنفعة اتجاه أنانى رغم محاولات تطويره: قرر أنصار النفعية أن الإنسان بطبيعته أنانى.. يبحث عن مصلحته الخاصة تلقائيا قبل النظر إلى مصلحة الآخرين فى المجتمع. فكيف ينادى هؤلاء الأنصار بتأسيس الأخلاق على هذه الأنانية؟ وكيف يكون الإلزام الخلقى مصدره المصلحة الشخصية للفرد؟! وذلك رغم محاولة النفعيين تأكيد أن الأنانية يمكنها أن تجعلنا نحقق من خلالها المنفعة العامة لأكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع، تلك مغالطة واضحة لتبرير الأنانية.

٣ - إغفال القيم الإنسانية السامية والأخلاق الرفيعة: إن اتجاه النفعيين إلى اللذة والمنفعة والأنانية ليجعلوها أساس الأخلاق، أدى بهم إلى إغفال القيم الإنسانية السامية واطراح الأخلاق الرفيعة، وأهملوا قيمة العقل ودور الدين وضوابط المجتمع، وهدموا المثل الأخلاقية التى تحوز التقدير عند كل البشر.

ثانياً: الإتجاه الإجتماعى فى الأخلاق.

● مذهب الاجتماعيين الوضعيين

(أ) ظروف نشأة المذهب:

انتشرت فى أوروبا خلال القرن التاسع عشر مختلف التيارات الفكرية التى كانت قد ظهرت تدريجيا منذ عصر النهضة الأوروبية، وكانت تتصارع فيما بينها باعتبار أن أنصار كل تيار كانوا يعتقدون أنهم أقوى من غيرهم وأقدر على تفسير مختلف حقائق الطبيعة والحياة، ومن أمثلة هذه التيارات: المثالية - الواقعية - الحرية - الجبرية - الرومانتيكية - التجريبية.. وغيرها.

الفصل الأول

«الاتجاه الحسى والاتجاه الاجتماعى فى الإلزام الخلقى»

اولاً: لاتجاه الحسى فى الأخلاق :

- **مذهب المنفعة العامة**

(أ) ظروف نشأة المذهب: أدى اكتشاف المنهج التجريبى فى عصر النهضة إلى انبهار الفكر الأوروبى بهذا المنهج وبإنجازاته فى مجال عالم الطبيعة، الأمر الذى دفع البعض هناك إلى محاولة استخدام نفس هذا المنهج التجريبى فى دراسة عالم الإنسان، ليكشف حقيقته التي تعثرت بسبب استخدام المنهج الفلسفى التأملى على مدار قرون طويلة دون إحراز أية نتائج إيجابية.

أدى هذا الأمر إلى ظهور ما يعرف باسم «التيار التجريبى الإنجليزى» الذى جعل من إنجلترا معقلا للتجريبية، التى ظلت تزدهر حتي القرن التاسع عشر، والتي تدعمت ماديا بالاكتشافات الأولى لنظرية التطور.

وكان من أبرز نتائج هذا الاهتمام بالعلم التجريبى فى دراسة الإنسان، المحاولة التى قام بها بعض المفكرين الإنجليز لتحويل دراسة الأخلاق من المنهج التأملى الفلسفى إلى المنهج العلمى التجريبى، وذلك على يد أتباع مذهب المنفعة العامة أو المدرسة النفعية الإنجليزية، التى كان من أشهر أعلامها اثنان هما: **جيرمى بنتام** – ١٧٤٨– ١٨٣٢– **وجون ستيوارت ميل** – ١٨٠٦– ١٨٧٣– وهما من مشاهير رجال الاقتصاد فى إنجلترا، من أجل ذلك كان تصدى أتباع هذه المدرسة النفعية لدراسة الأخلاق يتسم بالطابع التجريبى المادى الذى يتوافق مع ظروف العصر، ومع اهتمامات أنصارها.

(ب) معالم المذهب النفعى فى الأخلاق: تتمثل معالم مذهب المنفعة عند «بنتام» وباقى أنصار هذا المذهب فى النقاط التالية:

١– اللذة «أو المنفعة» هى الخير الأقصى «أخلاقيا»: إن الغاية الأساسية فى الأخلاق هى تحقيق الخير الأقصى، وذلك باتفاق جميع الآراء التى أقرت أيضا أن هذا الخير الأقصى هو «السعادة» التى نحاول تحقيقها باستمرار، لكن الخلاف بين الفلاسفة بدأ يظهر عند تحديد المعنى المقصود بالسعادة، فهى عند البعض تتخذ طابعا عقليا، وعند البعض الآخر تتمثل فى التضحية بالذات.. وغير ذلك من آراء أخرى.

أما المقصود بالسعادة فى مذهب المنفعة فإنها كل فعل يحقق لصاحبه أو يتوقع أن يحقق لصاحبه أكبر قدر ممكن من اللذة، والتى يقصد بها فى نفس الوقت المنفعة، أى أن اللذة هى المنفعة، وقد اختلف النفعيون حول اللذة، هل هى حسية فقط أم عقلية؟ إلا أن اللذة المقصودة هنا حسية متناسقة مع اسمها نفسه. رغم ظهور محاولات من أنصار المذهب بعد ذلك لكى تصبح اللذة فى نوع منها عقلية.

٢– الأنانية مبدأ الحياة الإنسانية: إن الإنسان بطبيعته يبحث عن سعادته الخاصة، ولذته الشخصية ويتفادى تلقائيا ما يسبب له الألم والضرر دون حاجة إلى توجيه من الآخرين، لأن الإنسان بفطرته أنانى نفعى، وكل السلوك الخيرى المشاهد فى المجتمع هو فى حقيقته أنانية متنكرة بسبب قيود المجتمع، ولأن

٢- المجتمع يحدد القيم الأخلاقية: إن القيم الأساسية والفضائل الأخلاقية كالواجب والتعاون والعفة والطهارة وغيرها ليست فطرية عند الفرد، ولا تنشأ فى حياته من فراغ، وإنما هى ثمار تظهر نتيجة ظروف معينة فى المجتمع الذى ينشأ فيه الفرد بمختلف أشكاله «الأسرة - الحى - المدرسة - العمل... إلخ».

ويترتب على ذلك أن **القيم الأخلاقية** فى مفهومها الوضعى **لا تكون مطلقة**، وإنما هى **نسبية** تختلف من مجتمع إلى آخر حسب اختلاف ظروف هذه المجتمعات، فالفضيلة فى مجتمع ما قد تكون رذيلة فى مجتمع آخر، والسلوك الخير هنا قد يكون سلوكا شريرا هناك، وذلك وفقا لما يحدده كل مجتمع حسب ظروفه الخاصة.

ويؤكد أنصار هذه المدرسة الاجتماعية الفرنسية أن نسبية القيم الأخلاقية لا تعنى زوال الأخلاق أو انحطاطها، لأن ذلك تعبير عن الواقع الحقيقى للمجتمع الإنسانى من جهة، ولأن اختلاف معنى الخير مثلا من مجتمع إلى آخر لا يعنى انتفاء الخير تماما.. وإنما هو موجود فى معان أخرى متعددة.

٣- المجتمع هو مصدر الإلزام الخلقى: يترتب على كل ما سبق ذكره نتيجة مهمة تتمثل فى أن المجتمع وحده فقط هو مصدر الإلزام الخلقى، إن **الضمير** أو «**العقل الجمعى**» يضم كافة المبادئ والقيم والأوامر والنواهى، وغيرها مما هو متعارف عليه ومتفق بخصوصه بين غالبية أفراد الجماعة، ومما هو متوافق مع ظروف الجماعة. هذا **الضمير الجمعى** هو الذى يحدد لنا ما يجب علينا أن نمارسه من سلوك ونؤديه من أعمال.

وتبدأ الحياة الأخلاقية حين تبدأ الحياة الاجتماعية، وتتحدد أخلاقيات الفرد وفقا للمبادئ السائدة فى المجتمع، وتنبثق القيم الأخلاقية من المجتمع لكى تجبر الأفراد وتلزمهم على اتباع سلوك أخلاقى معين، وهذا الإلزام الخلقى النابع من المجتمع يمثل قوة قهرية للأفراد تحمل وسائل عقاب الخارج عنها «كالاستهجان والعقاب المادى والمعنوى وغيرها» وتحمل أيضا وسائل تقدير المنصاع لها «كالاحترام والتقدير المادى والأدبى وغيرها».

(د) نقد المذهب الاجتماعى الوضعى:

إن الإصرار على التوسع فى استخدام الأسلوب العلمى الوضعى حتى فى دراسة الأخلاق أدى إلى ظهور كثير من الانتقادات التى من أهمها ما يلى:

١- إغفال الدور الأخلاقى للدين بوصفه وحيا إلهيا: تطرف الاجتماعيون فى رد سلطة الإلزام الخلقى إلى ظروف المجتمع وحده، واعتبارهم أن الأخلاق مجرد ظواهر اجتماعية ترجع إلى ظروف المجتمع، وهم بذلك أهملوا جانبا أساسيا فى الإلزام الخلقى، يتمثل فى الدين بوصفه وحيا إلهيا وليس ظاهرة اجتماعية.

إن الدين بما تضمنه من أوامر ونواه يمثل مصدرا إلهيا للإلزام الخلقى لا يمكن إغفاله أو تقليل قيمته فى تحديد المبادئ والقيم الأخلاقية الصحيحة.

٢- الفرد ليس باستمرار دمية يحركها المجتمع: أطاح الاجتماعيون بدور الفرد تماما وجعلوه بمثابة دمية يحركها المجتمع وفقا لظروفه الخاصة، فالضمير الفردى يحمل داخله ضمير الجماعة، والسلوك الأخلاقى مجرد انعكاس لرغبات الجماعة، وكلما تغيرت ظروف الجماعة تغير معها الفرد، لكن هناك كثيرا من الأفراد هم الذين يؤثرون فى المجتمع ويغيرون من طبيعته ويتحكمون فى ظروفه، وذلك مثل الثوار

إلا أن التيار العلمى التجريبى كان يشق طريقه أسرع من التيارات الأخرى، نظرا لقيمته العملية ودقة منهجه ونفعية نتائجه للفرد والمجتمع على السواء خاصة بعد أن أحرز به «نيوتن» تقدما عظيما فى كشف أسرار وقوانين الطبيعة. لذلك أراد المفكرون أن يحرزوا بهذا المنهج التجريبى تقدما مماثلا فى دراسة الإنسان والمجتمع بعد أن فشلت مناهج التأمل الفلسفى – من وجهة نظر التجريبيين – فى كشف قوانين السلوك الإنسانى والحياة الاجتماعية.

وقد ظهر من هذا المنطلق مذهب علمى جديد فى أوروبا هو «المذهب الاجتماعى الوضعى» استخدم أنصاره الأسلوب العلمى والطريقة الوضعية فى دراسة الظواهر الاجتماعية والأخلاقية ومحاولة تفسيرها وكشف القوانين التى تتحكم فى نشأة وتطور المجتمع الإنسانى، وقد حمل لواء تأسيس هذا المذهب الاجتماعى الوضعى ثلاثة من علماء الاجتماع الفرنسيين هم: **أوجست كونت** «١٧٩٨– ١٨٥٧» **إميل دور كايم** «١٨٥٨– ١٩١٧» **ليفى بريل** «١٨٥٧– ١٩٣٩» والذين يطلق عليهم أيضا اسم «المدرسة الاجتماعية الفرنسية» التى استخدمت الأسلوب العلمى الوضعى فى دراسة الظواهر الاجتماعية والأخلاقية. باعتبار أن العقل البشرى وصل حاليا إلى قمة نضجه فى المرحلة الثالثة الوضعية من مراحل تطوره الثلاث، والتى بدأت بالأدنى «المرحلة اللاهوتية الدينية فى تفسير ظواهر الوجود» ثم انتقلت إلى الأوسط «المرحلة الفلسفية الميتافيزيقية» وانتهت بالأرقى «المرحلة العلمية الوضعية» حيث أصبح الأسلوب العلمى التجريبى يستخدم فى تفسير الطبيعة والإنسان معا.

(ب) موقف الاجتماعيين الوضعيين من علم الأخلاق والإلزام:

كانت الأخلاق حتى عصر المدرسة الاجتماعية تدخل فى نطاق الدراسات الفلسفية بمنهجها التأملى التحليلى، وذلك باعتبار الأخلاق أحد فروع مبحث القيم «ارجع إلى موضوع «مباحث الفلسفة» فى بداية الباب الأول من الكتاب» وكان الفلاسفة يبحثون فى الأخلاق بوصفها علما معياريا يحدد للإنسان المبادئ التى ينبغى أن يسير عليها ليكون سلوكه أخلاقيا ومتصفا بالخيرية.

ولكن المدرسة الاجتماعية رفضت هذه المعيارية الفلسفية فى مجال علم الأخلاق وقررت نقل الدراسة الأخلاقية من الفلسفة التأملية إلى علم الاجتماع الوضعى التجريبى، وأصبحت الأخلاق هنا تهتم بدراسة ما هو قائم فعلا من ظواهر أخلاقية فى المجتمع، وطرحت جانبا دراسة ما ينبغى أن يكون من سلوك أخلاقى.

(جـ) مذهب الاجتماعيين الوضعيين:

١– الأخلاق علم وضعى تجريبى: إن التحول إلى استخدام الأسلوب العلمى فى دراسة الظواهر الأخلاقية كما هى موجودة فى المجتمع يعنى أن الأخلاق أصبحت علما وضعيا مثل باقى علوم الطبيعة مع مراعاة بعض الاختلافات النوعية مثل أن التجريب فى علم الاجتماع ليس معمليا، وإنما هو استقراء للظواهر الاجتماعية، وتتبع واقعى لتطورها ومحاولة كشف القوانين التى تتحكم فى مسارها.

ويصبح الحال كذلك فى علم الأخلاق الوضعى، فالتجريب فيه ليس معمليا، وإنما يعتمد على الملاحظات العلمية المقصودة لمختلف ظواهر المجتمع، واكتشاف علاقتها التأثيرية فى تشكيل القيم الأخلاقية وفقا لظروف المجتمع، كما أن تحليل هذه القيم الأخلاقية يؤدى بنا إلى اكتشاف نشأتها الاجتماعية بوصفها ظواهر اجتماعية، فالأخلاق لا تظهر عند الفرد المنعزل فى جزيرة نائية، وإنما تظهر فى ظل الجماعة وتنشأ وفقا لظروف المجتمع، ولذلك يجب دراستها بوصفها علما وضعيا.

أسئلة وأنشطة

١ ـ قارن بين معالم مذهب كل من المنفعة العامة والاجتماعيين الوضعيين.

٢ ـ وضح الصواب أوالخطأ فى العبارات التالية مع التعليل :

(أ) السلوك الأخلاقى يحدث بطريقة عفوية عند الاجتماعيين الوضعيين.

(ب) تتعدد مذاهب الإلزام الخلقى بتعدد جوانب الشخصية الإنسانية.

(جـ) اللذة الحسية شعور أخلاقى عند مذهب المنفعة.

٣ ـ اكتب حوارا تكون أنت أحد طرفيه بين مؤيد لمذهب المنفعة العامة ومعارض له.

٤ ـ انسب العبارتين الآتيتين إلى المذهب الذى تعبر عنه مع الشرح :

١ ـ الإنسان أنانى بفطرته.

٢ ـ المجتمع هو الذى يحدد القيم الاجتماعية.

٥ ـ اشرح الانتقادات التى وجهت إلى الاتجاه الوضعى فى الإلزام الخلقى؟

الإجابة: من أهم هذه الانتقادات ما يلى:

(أ) إغفال الدور الأخلاقى للدين بوصفه وحيا إلهيا.

(ب) الفرد ليس دمية يحركها المجتمع حسب الظروف.

(جـ) نسبية الأخلاق التى يقول بها المذهب قد تؤدى إلى تحطيم المعايير الأخلاقية.

(د) طبيعة علم الأخلاق أنه علم معيارى وليس تجريبيا وضعيا.

٦ ـ اكتب كلمة لمجلة المدرسة عنوانها:

الأخلاق بين الدراسة الفلسفية والدراسة العلمية.

٧ ـ اكتب كلمة موجزة تلقيها فى إذاعة المدرسة موضوعها:

كيف يحمينا الإلزام الخلقى من السلوك اللاأخلاقى؟

٨ ـ كان لظهور المنهج التجريبى فى أوروبا أثره البعيد على الدراسات الأخلاقية فى كل من انجلترا وفرنسا، اشرح ذلك موضحا وجهة نظرك فى هذا المجال.

المصلحين والزعماء والعلماء، وغيرهم من الأفراد الذين يستطيعون التأثير فى السلوك العام والقيم الأخلاقية للمجتمع.

٣- نسبية الأخلاق وتغير مبادئها: إن التأكيد على نسبية الأخلاق فى الدراسة الاجتماعية ومحاولة الدفاع عنها بوصفها حقيقة واقعية، لا يعتبر ميزة تدعو للتفاخر فى مجال الأخلاق، لأن النسبية هنا قد تؤدى إلى تفكك البناء الأخلاقى للإنسانية عامة، وحيث تتحطم المعايير وتظهر الأخلاقيات الجزئية المتغيرة بتغير المواقف الاجتماعية وحيث يصعب التمييز حينئذ بين ما هو خير وما هو شر.

٤- طبيعة الأخلاق أن تكون معيارية عامة: إن علم الأخلاق منذ نشأته قديما - سواء فى الحضارات الشرقية أو اليونانية - وطوال مسيرة تطوره حتى القرن العشرين كان علما معياريا مثل علم الجمال وعلم المنطق «الموضوعات الثلاثة لمبحث القيم» فهو يحدد المعايير أو المقاييس التى ينبغى أن يسير وفقا لها الفعل الأخلاقى.. دون أن يهتم بدراسة ما هو قائم من أخلاق بين الناس.. وإنما يبحث فيما ينبغى أن يكون.

كما أن الإنسانية تحتاج إلى مبادئ عامة وقيم مشتركة وفضائل أخلاقية ثابتة، يهتدى بها كل أفراد البشرية فى مختلف العصور وشتى المجتمعات، وهذه هى المهمة الأساسية لعلم الأخلاق فى صورته المعيارية المثالية وبمنهجه الفلسفى التأملى، دون أن يعيبه هذا فى شىء إطلاقا.

أما تحويل علم الأخلاق عن رسالته الحقيقية المعيارية ليصبح علما تجريبيا وضعيا يدرس ما هو قائم فعلا من ظواهر أخلاقية، فإنه لا يعتبر ميزة يتفاخر بها الاجتماعيون لأنهم أطفأوا بذلك شعلة تضىء الطريق أمام الأخلاق الإنسانية.. وجعلوها تعيش فى ظلمات ودهاليز المجتمع.

خصائص الحاسة الخلقية: وتتمثل فيما يلى:

١ ـ معنوية باطنية: إن الحاسة الخلقية ليست مادية مثل حواس الإنسان الخمس المشهورة.. وإنما هى حاسة معنوية باطنية.. كامنة داخل الإنسان وأقرب شبها بالحاسة السادسة التى يقول بها بعض الناس.. وهى أيضا تشبه الحاسة الجمالية عند الإنسان.

٢ ـ فطرية عامة: إن الحاسة الخلقية ليست مكتسبة.. وإنما هى فطرية يولد الإنسان مزودا بها، ولذلك فإن أحكامها الأخلاقية عامة مطلقة وهى توجد فى النوع الإنسانى فقط دون الأنواع الأخرى من الحيوانات.

٣ ـ يمكن تنميتها: إن الحاسة الخلقية يمكن تنميتها عند الإنسان بالتربية الحسنة والبيئة الطيبة، ويمكن أيضا القضاء عليها بسوء التربية وانحطاط البيئة.

٤ ـ تلقائية فى تمييز الخير: إن الحاسة الخلقية تؤدى تلقائيا إلى إدراك الخير وتمييزه عن الشر من خلال **الحدس المباشر** ودون أى تفسير أو تبرير.

٥ ـ مستقلة بذاتها: إن الحاسة الخلقية مستقلة بذاتها دون أن ترتبط بأى مؤشرات أخرى مثل المصلحة الخاصة ولا ترتبط بالعقل ومبادئ المنطق. لأنها بطبيعتها **وجدانية** تقوم على الحدس المباشر لخيرية الفعل.

٦ ـ تحمل جزاءها فى باطنها: إن الحاسة الخلقية تحمل فى ثنايا ذاتها الباطنية.. الجزاء الأخلاقى لصاحبها.. فإن قيامى بفعل أخلاقى يتوافق مع الحاسة الخلقية يحقق لى الشعور بالراحة النفسية والرضا الداخلى أما عكس ذلك فيسبب لى الضيق النفسى والألم الداخلى.

بعض الأمثلة لمظاهر الحاسة الخلقية: ذكر «**شافتسبرى**» العديد من الأمثلة التى توضح وجهة نظره فى الحاسة الخلقية.. ومنها المثال التالى عن حب النظافة.. وكيف أنه يشبه تماما حب الخير المقصود فى مذهبه.

١ ـ إذا سألنى شخص: لماذا تتجنب أن تكون قذرا وأنت بعيد عن الناس؟ قلت له إننى أحب النظافة لذاتها. ولأن لى أنفا تشمئز من شم القذارة.

٢ ـ فإذا قال لى: افترض أنك مصاب ببرد شديد وأن أنفك لا يستطيع أن يشم الروائح، قلت له: إننى بمجرد رؤية نفسى قذرا أتضايق وأسعى لأن أكون نظيفا لكى أشعر بالراحة.

٣ ـ فإذا قال لى: افترض أيضا أنك فى مكان مظلم جدا لا ترى فيه جسمك إطلاقا، وذلك إلى جانب عدم قدرتك السابقة على الشم. قلت له: إننى فى هذه الحالة سأظل أنفر من القذارة لأن إحساسى الداخلى بأننى قذر سوف يسبب لى النفور والضيق والاشمئزاز، إلا إذا كانت طبيعتى نفسها فاسدة بسبب سوء التربية منذ الطفولة وأنا حينئذ لن أحترم نفسى **«اربط وفسر هذا المثال بخصائص الحاسة الخلقية السابق ذكرها».**

وينتقل شافتسبرى من هذا المثال إلى ذكر أمثلة أخرى متنوعة فى مجال الأخلاق. يؤكد بها ضرورة أن يمارس الإنسان الخير ويطلب الفضيلة لذاتها تحقيقا للراحة النفسية الداخلية فيقول إن الإنسان لابد أن يكون شريفا مهما كانت أمامه الفرصة ليكون دنيئا ولو بعيدا عن الناس. كذلك لابد أن يحب الإنسان الأمانة والعدل وغيرهما من الفضائل الأخرى، لأن طبيعة الإنسان وحاسته الخلقية الداخلية كلها تدفعه تلقائيا إلى هذه الفضائل التى يدركها **بالحدس المباشر** والتى تحمل فى ذاتها جزاءها المتمثل فى الشعور بالراحة

الفصل الثانى

الاتجاه الوجدانى والاتجاه العقلى فى الإلزام الخلقى

اولاً : الإتجاه الوجدانى فى الأخلاق :

- **مذهب الحاسة الخلقية عند «شافتسبرى»**

(أ) ظروف نشأة المذهب ومصدر الإلزام:

كان التيار التجريبى المادى قد بدأ ينتشر فى أوروبا بعد عصر النهضة وبعد اكتشافات «بيكون» فى مجال المنهج التجريبى والعلم الطبيعى خاصة بعد أن أدرك الجميع قيمة العلم فى السيطرة على الطبيعة وكشف أسرارها ومعرفة قوانينها، واتسع نطاق هذه النزعة التجريبية حتى بدأ البعض يتساءل عن مدى إمكان تطبيقها فى دراسة الإنسان عامة والأخلاق والمجتمع خاصة.

من هذا المنطلق بدأت تظهر اتجاهات فكرية جديدة فى أوروبا.. خاصة فيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر.. حيث كان «**شافتسبرى**» ١٦٧١ - ١٧١٣ يعيش فى انجلترا فى ذلك الوقت، وكان أبرز هذه الاتجاهات الجديدة الاتجاه التجريبى الواقعى الذى وضع «**بيكون**» مبادئه فى عصر النهضة، ثم كان رد الفعل بعد ذلك هو ظهور **الاتجاه الوجدانى الحدسى**، الذى قاوم التجريبيين وأراد تأكيد الكيان الإنسانى من الزاوية الوجدانية. وكذلك ظهور الاتجاه العقلى والدعوة إلى دراسة الإنسان منفصلا عن الطبيعة.

كانت بداية ظهور الاتجاه الوجدانى الحدسى فى ذلك الوقت المبكر فى أوروبا تتمثل فى دراسة الأخلاق الإنسانية. وأراد أتباع هذا الاتجاه الرجوع إلى الوجدان الإنسانى والعاطفة البشرية. وجعلوا **الحدس** هو وسيلة الإدراك الصحيح دون الحواس والعقل وردوا الإلزام الخلقى إلى **الوجدان والعاطفة** وأصبح **الحدس** عندهم وسيلة التمييز بين الخير والشر.

وقد ظهرت مذاهب أخلاقية متعددة فى هذا التيار الوجدانى الحدسى.. كان من أشهرها وأهمها مذهب الحاسة الخلقية عند «**شافتسبرى**».

(ب) نبذة عن شافتسبرى:

كان اللورد «**إيرل شافتسبرى**» «١٦٧١ - ١٧١٣» أحد المفكرين الأرستقراطيين فى انجلترا. ومن مشاهير الفكر الإنجليزى فى عصره، رفض أن يرد الإلزام الخلقى إلى الحواس واحتياجات الجسم وظروف المجتمع. لأن الأخلاق فى نظره أعلى وأرقى من ذلك بمراحل كثيرة وهى أسمى من الخضوع للمحسوسات.

ورفض أيضا رد الأخلاق إلى الدين.. حتى لا يكون السلوك الأخلاقى فى هيئة أوامر دينية خارجية مفروضة على الإنسان بوراثة الدين.

(جـ) مذهبه الأخلاقى:

وإنما أراد «**شافتسبرى**» أن يجعل السلوك الأخلاقى مستقلا بذاته، ونابعا من إلزام داخلى فى الإنسان.. ومستهدفا حب الفضيلة لذاتها، فقال بوجود «**حاسة خلقية**» عند الإنسان كامنة فى داخله وهى التى تجعله يميز بين الخير والشر. وتدفعه إلى عمل الخير وتحاشى الشر تلقائيا ودون أى تبرير.

ثانياً : الإتجاة العقلى فى الأخلاق

٢ـ مذهب «مسكويه» الأخلاقى

(أ) ظروف عصر «مسكويه» :

هو «أبوعلى ابن يعقوب» الملقب بـ «**مسكويه**» المتوفى عام ٤٢١ هجرية «١٠٣٠م» اشتهر فى بغداد حيث عاش فى ظل ازدهار الحضارة الإسلامية، ووضع مذهبا متكاملا فى النفس والأخلاق، أساسه السمو والارتقاء بالأخلاق إلى المستوى العقلى الذى يميز الإنسان عن الحيوان، وقد صاغ هذا المذهب فى واحد من أشهر كتبه المعروفة فى التراث الإسلامى، وهو «**تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق**».

كان الاتجاه العام السائد فى ذلك الوقت، خلال عصر «**مسكويه**» هو محاولة التوفيق بين الفلسفة اليونانية والدين الإسلامى، فقد أدت حركة ترجمة التراث اليونانى إلى انتشار فلسفة «أفلاطون» و«أرسطو» على الخصوص فى العالم الإسلامى، فتأثر بها فلاسفة الإسلام وحاولوا التوفيق بينها وبين الدين الإسلامى باعتبار أن كليهما يقوم على مبدأ واحد مشترك هو «**العقل**» ومن ثم لا تعارض بينهما.

(ب) مذهبه الأخلاقى:

قام «**مسكويه**» بمحاولته فى وضع مذهب أخلاقى إسلامى، تأثر فى بعض جوانبه بتقسيمات النفس وفضائلها عند «أفلاطون» و«أرسطو» ثم زاد عليه الطابع الإسلامى الذى يرتكز على جانبين متكاملين: الأول: السمو بالأخلاق إلى أرقى ما يميز الإنسان وهو العقل، والثانى: ضرورة أن ترتبط تلك الأخلاق العقلية للفرد بالحياة الاجتماعية للبشر.

وكانت وجهة نظر «**مسكويه**» وفلسفته الأخلاقية، قائمة على ثلاث نقاط مترابطة هى: أقسام النفس وعلى رأسها العقل، فضائل النفس والرقى الأخلاقى، ارتباط الأخلاق بالحياة الاجتماعية.

– أقسام النفس وعلى رأسها العقل:

يذهب «**مسكويه**» إلى أن النفس الإنسانية تنقسم إلى ثلاث قوى أساسية، لكل قوة وظائفها الخاصة بها، وذلك كما يلى:

١– **القوة الشهوانية** ويسميها «**البهيمية**» نسبة إلى البهائم، ووظيفتها إشباع حاجات الجسد المادية فقط، كالمأكل والمشرب وهو أدنى قوى النفس.

٢– **القوة الغضبية** ويسميها «**السبعية**» نسبة إلى السباع، ووظيفتها الانفعال والغضب واستخدام القوة، وهى أوسط قوى النفس.

٣– **القوة العاقلة** ويسميها «**الناطقة**» نسبة إلى النطق المميز للإنسان، ويسميها أيضا «**الملكية**» بفتح الميم، نسبة إلى الملائكة ووظيفتها التفكير والتعقل وإدراك الحقائق وهى أرقى قوى النفس.

وقد رأى «**مسكويه**» أن الناس فى حياتهم اليومية ينقسمون حسب أقسام قوى النفس الثلاث، وذلك باختيارهم الخالص وأن أرقاهم من اتبع القوة العاقلة، فقال: «وإذا كانت القوى ثلاثا، فأدناها النفس البهيمية، وأوسطها النفس السبعية، وأشرفها النفس الناطقة، والإنسان إنما صار إنسانا بأفضل هذه النفوس، أعنى الناطقة، وبها شارك الملائكة واختلف عن البهائم، وأشرف الناس من كان حظه من هذه

النفسية والرضا الداخلى.

(د) نقد مذهب الحاسة الخلقية: تعرض هذا المذهب لكثير من أوجه النقد. وفيما يلى أهم ثلاثة انتقادات وجهت للمذهب.

١ ـ الوجدان نسبى متغير: إن تأسيس الأخلاق على الوجدان ورد الإلزام الخلقى إلى العاطفة والاعتماد على مصدر داخلى فردى يؤدى إلى أن تصبح الأحكام الخلقية فردية نسبية متغيرة لأن العاطفة نسبية والوجدان متغير. والفرد متعدد. ومن ثم فإنها لا تصلح لتأسيس قانون أخلاقى عام يتفق عليه جميع البشر.

٢ ـ خطأ فصل الأخلاق عن الدين: هاجم رجال الدين دعوة شافتسبرى إلى فصل الأخلاق عن الدين وإصراره على استبعاد الجزاء الدينى للفعل الأخلاقى وكانت حجتهم فى ذلك أن ترغيب الناس فى الجنة وترهيبهم بالنار، له فاعلية أخلاقية أكثر مما لو تركناهم لشعورهم الداخلى وإحساسهم الذاتى بالفضيلة بعيدا عن الدين.

٣ ـ من الخطأ القول بأن ممارسة الفضيلة لا تتطلب أى عناء: إن الفضيلة فى جوهرها إنكار للذات، وهذا الإنكار يأتى بعد معاناة من الفرد للتغلب على الأنانية والسعى إلى تحقيق الفضيلة وحيث يصبح الإنسان حينئذ أخلاقيا عن جدارة، لكن «**شافتسبرى**» قرر فى مذهبه أن **الإنسان بطبيعته فاضل**.. ومن ثم فإنه يؤدى سلوكه الأخلاقى تلقائيا دون أية معاناة لذلك لا يكون للإنسان أى فضل على نفسه فى ممارسة الخير بينما تقوم الأخلاق الحقيقية على الإرادة الإنسانية المقصودة والناتجة عن المعاناة.

سلوكه بالأخلاقية والفضيلة أو باللاأخلاقية وانعدام الفضيلة.

إن الإنسان عند «**مسكويه**» مدنى بالطبع واجتماعى بالفطرة، بالإضافة إلى أن الإسلام دين عقلى اجتماعى، يرفع من قدر اجتماع المسلمين فى الصلاة والحج وتعمير الأرض والتراحم بين أفراد المجتمع، لذلك أكد «**مسكويه**» على أن السلوك الأخلاقى للفرد لا يظهر إلا فى ظل الحياة الاجتماعية، وأن الفضائل الأساسية وهى العفة والشجاعة والحكمة والعدالة يرتبط ظهورها بتواجد الفرد فى المجتمع، وتتحدد فى علاقات الفرد بالآخرين، ولا تظهر فى حياة الراهب أو الزاهد المنعزل وحيدا وبعيدا عن المجتمع.

(جـ) نقد مذهب مسكويه الأخلاقى:

وضع «مسكويه» مذهبا إسلاميا فى الأخلاق وهو محاولة طيبة إلا أن سهام النقد وجهت إليه، وذلك كما يلى:

١- تأثر «مسكويه» كثيرا برأى أفلاطون فى أقسام النفس، ورأى أرسطو فى الفضائل دون أن يدخل عليها أية تعديلات جوهرية جديدة.

٢- كان يمكنه أن يستخلص من القرآن الكريم مذهبا جديدا ومتكاملا فى الأخلاق النظرية والعملية، لكنه اكتفى ببعض الجوانب الاجتماعية البسيطة فى الإسلام، وترك كثيرا من الجوانب الأخلاقية الغزيرة.

٣- جعل الفضائل الأخلاقية محدودة فى قوالب ثابتة وصور جامدة، بينما تتسم الحياة الأخلاقية فى حقيقتها بالحيوية والنشاط والطاقة المتجددة.

النفس أكثر، وانصرافه إليها أتم وأوفر، ومن غلبت عليه إحدى النفسين الأخريين انحط عن مرتبة الإنسانية بحسب غلبة تلك النفس عليه».

ويسترسل «مسكويه» قائلا: «فانظر أين تضع نفسك، وأين تحب أن تنزل من المنازل التى رتبها الله تعالى للموجودات، فإن هذا أمر موكول إليك ومردود إلى اختيارك، فإن شئت فانزل فى منازل البهائم، فإنك تكون منهم، وإن شئت فانزل فى منازل السباع، وإن شئت فانزل فى منازل الملائكة وكن منهم».

- فضائل النفس:

جعل «مسكويه» لكل قوة من قوى النفس الثلاث السابقة فضيلة خاصة بها، تتوافق مع طبيعتها ووظيفتها، وذلك كما يلى:

- القوة الشهوانية: فضيلتها «العفة» وهى تنتج عن «السخاء».
- القوة الغضبية: فضيلتها «الشجاعة» وهى تنتج عن «الحلم».
- القوة الناطقة: فضيلتها «الحكمة» وهى تنتج عن «العلم».

وعندما يستطيع الإنسان إشباع تلك القوى الثلاث بطريقة معتدلة، فإنه تظهر حينئذ فضيلة رابعة هى «العدل» وبذلك تصبح الفضائل الأساسية فى الأخلاق عند «مسكويه» أربعا هى: العفة والشجاعة والحكمة والعدل.

وتتسم الفضائل عنده بالتوسط والاعتدال، وهو يعرف الفضيلة بأنها وسط بين رذيلتين أو طرفين مذمومين، وبذلك تكون الفضائل الأربع الأساسية أوساطا بين الرذائل كما يلى:

- **فضيلة العفة**: وسط بين الشره والخمود «أى انعدام الرغبات».
- **فضيلة الشجاعة**: وسط بين الجبن والتهور.
- **فضيلة الحكمة**: وسط بين السفه والبله.
- **فضيلة العدالة**: وسط بين الظلم والانظلام «أى تحمل الظلم».

- الرقى الأخلاقى:

وتكتمل الحياة الأخلاقية عند الإنسان عندما يسمو بنفسه ويرتقى من القوة الشهوانية والقوة الغضبية إلى القوة الناطقة وفضيلتها الحكمة، لأن **العقل** هو الذى يميز الإنسان عن الحيوان، ومن ثم يجب أن تؤسس الأخلاق على تلك القوة العقلية، وتصبح اللذات المعنوية هى الخير الحقيقى والهدف المطلوب فى الأخلاق السامية، أما اللذات الحسية المرتبطة بالقوة الشهوانية، فليست خيرا على الإطلاق لأنها مشتركة مع الحيوان «وإن من رضى لنفسه بتحصيل اللذات البدنية وجعلها غايته وأقصى سعادته، فقد رضى بأخس العبودية لأخس الموالى، لأنه جعل نفسه الكريمة العاقلة التى يناسب بها الملائكة، جعلها عبدا للنفس الدنيئة الشهوية التى يناسب بها الخنازير وخسائس الحيوانات».

ارتباط الأخلاق بالحياة الاجتماعية: لكن هل يا ترى ذلك السلوك الأخلاقى الخير والقائم على القوة العقلية للإنسان، يمكن أن يظهر عند الفرد فى حالة انعزاله عن الجماعة؟ يجيب «**مسكويه**» على ذلك بالنفى تماما، وهو يرى أن الخير الأسمى والسلوك الأخلاقى والفضائل الإنسانية الراقية لا تتحقق ولا تظهر فى حياة الفرد المنعزل عن الجماعة، وإنما لابد أن يكون ذلك الفرد عضوا فى المجتمع، لكى يمكن حينئذ وصف

(جـ) معالم المذهب النقدى: إن هذا المذهب عند «**كانط**» عبارة عن منهج عقلى هدفه كشف المبادئ الأساسية الكامنة فى العقل الإنسانى عامة، والتى تقوم عليها كل معرفة ممكنة.

أقسام العقل عند كانط: قسم العقل الإنسانى إلى ثلاثة أقسام أساسية: العقل النظرى «للمعرفة والعلم» العقل العملى «للأخلاق والدين» العقل الجمالى «للفن والجمال». وفى مجال العقل العملى استهدف "**كانط**" بمنهجه النقدى التحليلى كشف المبادئ الأساسية والشروط العامة التى يقوم عليها السلوك الأخلاقى الصحيح.

(د) مذهب الواجب عند كانط:

١ ـ الواجب هو محور الأخلاق: قرر «**كانط**» أن الواجب هو المحور الأساسى للأخلاق الإنسانية، وهو مصدر الإلزام وأن من الخطأ رد الإلزام إلى سلطة خارجية كالدين أو القانون أو المجتمع، وإنما يجب أن تكون تلك السلطة داخلية تتمثل فى **الواجب العقلى**.

ورأى «**كانط**» أيضا أن من الخطأ رد الإلزام الخلقى إلى الوجدان والعاطفة. لأن الأحكام الخلقية ستكون حينئذ نسبية متغيرة بسبب سرعة تغير المشاعر الوجدانية وتقلبها عند الإنسان. وإنما يجب تأسيس الأخلاق على مبادئ العقل المطلق والتى تتمثل فى فكرة الواجب.

وقد رأى "**كانط**" أن تحليل مفهوم الإرادة الخيرة يرتد بنا إلى مبدأ أساسى واحد هو «**الواجب**» الذى تنبع منه كل الأفعال الأخلاقية للإنسان العاقل صاحب الإرادة. أما الأفعال العفوية التى تصدر عن الإنسان بدون إرادته، فإنها لا تحمل أى قيم أخلاقية حتى لو حققت مصادفة بعض الأعمال الخيرة.

٢ ـ الطبيعة العقلية الصارمة للواجب: إن تعريف الواجب عند «**كانط**» هو ضرورة أداء الفعل احتراما للقانون العقلى فى ذاته فالواجب هنا مرادف للقانون، والقانون المقصود هنا هو **العقل بمبادئه المطلقة**.

إن كل شىء فى الوجود يسير وفق قوانين محددة تتناسق مع طبيعة هذه الأشياء. وبما أن طبيعة الإنسان هى العقل، لذلك فإن القوانين التى يجب أن يسير عليها الإنسان فى حياته وأخلاقه يجب أن تقوم على مبادئ العقل وبذلك يصبح القانون الأخلاقى هو نفسه القانون العقلى عند الإنسان.

٣ ـ نوعا الأوامر الأخلاقية: وتأسيسا على هذا المبدأ العقلى للواجب الخلقى.. ميز كانط بين نوعين من الأوامر العقلية فى المجال الأخلاقى.. **أوامر شرطية وأوامر مطلقة**.

الأوامر الشرطية: هى التى يرتبط تنفيذها بشرط معين. لذلك يكون الفعل الخلقى فيها مجرد وسيلة لتحقيق أهداف أخرى. ومثل هذه الأوامر لا تصلح لتأسيس الأخلاق التى يجب أن تكون مطلوبة فى ذاتها.. ومن أمثلة الأوامر الشرطية:

١ ـ إذا أردت أن تدخل الجنة فى الآخرة. أحسن إلى الفقراء فى الدنيا واعمل أعمالا صالحة.

٢ ـ إذا أردت أن تحصل على تقدير المجتمع، امتنع عن الكذب وقل الصدق دائما.

ـ الأوامر المطلقة: هى التى تخلو من أى شرط وتكون مطلوبة لذاتها ونابعة من العقل. لذلك فإنها هى وحدها تكون الأفعال الخلقية الحقيقية وللتمثيل لها سنذكر نفس المثالين السابقين بعد تجريدهما من الشرط ليصبحا أوامر مطلقة. وذلك كما يلى:

١ ـ أحسن إلى الفقراء وأعمل أعمالاً صالحة.

٢ ـ امتنع عن الكذب وقل الصدق دائما.

٣ـ مذهب الواجب العقلى عند «كانط»

(أ) نبذة عن كانط وظروف عصره:

يعتبر الفيلسوف الألمانى «**إيمانويل كانط**» «١٧٢٤ ـ ١٨٠٤» من كبار الشخصيات المؤثرة فى تاريخ الفلسفة الحديثة والمعاصرة، ومن أبرز مؤسسى المذهب العقلى فى الفلسفة عامة. عاش فى ألمانيا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر. وتأثر بالظروف السائدة فى ذلك العصر. إلى جانب تأثره أيضا بظروف نشأته الدينية الصارمة، وتربيته العقلية الدقيقة.

كان العلم الطبيعى حتى عصر «**كانط**» قد أحرز تقدما كبيرا. خاصة على يد «نيوتن» الذى اكتشف قوانين الجاذبية وغيرها من القوانين الأخرى التى تفسر حركة الفلك بطريقة دقيقة. وكان أساس هذا التفسير العلمى هو فكرة «**المطلق**» حيث قرر نيوتن أن الجسم يظل يسير فى حركة مطلقة إلا إذا أثرت فيه قوة أخرى. ومن هنا بدأت هذه الفكرة عن المطلق تزداد قيمة وتأثيرا فى المذاهب الفلسفية التى بدأت تنتشر فى ذلك العصر، والتى كان من بينها مذهب «**كانط العقلى**».

بالإضافة إلى ذلك كانت التحليلات الرياضية قد ازدهرت فى مختلف فروع الرياضيات فى نفس ذلك العصر، وأصبحت تلك التحليلات الرياضية تمثل الدقة الرياضية التامة التى لا تتوافر فى أية معرفة أخرى، وقد انبهر الفلاسفة بقوة اليقين الرياضى وحاولوا أن يسيروا على طريقه فى فلسفاتهم وحيث كان كانط واحدا منهم، وأراد أن يضفى اليقين الرياضى على مذهبه الفلسفى العقلى.

وإلى جانب ذلك كله.. كانت ظروف نشأة «**كانط**» الصارمة من العوامل المؤثرة فى تكوين فلسفته، فقد كانت نشأته العائلية دينية. وتعليمه الثانوى دينيا أيضا. وفى التعليم الجامعى جمع بين دراسة اللاهوت والفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية.. وكانت حياته الشخصية مثالا للدقة المتناهية والتنظيم التام والصرامة القوية. حيث أثرت هذه الظروف السابقة كلها على تفكيره. وأصبحت فلسفته تتسم بالتشدد ورفض أى استثناء.

(ب) سمات فلسفة كانط: كانت محصلة الظروف السابقة كلها أن أصبحت فلسفة كانط تتسم بالسمات التالية: العقلانية المطلقة «من العلم الطبيعى» اليقين الرياضى التحليلى «من العلم الرياضى» التشدد والصرامة «من حياته ونشأته العائلية»، وخرج من ذلك بفلسفة جديدة.. أطلق عليها اسم «**الفلسفة النقدية**» أو «**المذهب النقدى**».

موضوع اثرائي للقراءة والمناقشة

١ - الأخلاق عند أرسطو

لمحة عن حياته: (٣٨٤ ـ ٣٢٢ق.م)

من أعظم فلاسفة اليونان، تتلمذ على يد أفلاطون فى أكاديميته حوالى عشرين عاما يحاور أستاذه ويأخذ عنه ويتعلم منه ويتدرب على مهنة المعلم فى حضور وغياب أستاذه وكان بارعا لدرجة جعلت أفلاطون يطلق عليه «**عقل**» المدرسة ويلقبه بالقراء أى كثير الإطلاع، حتى بلغ الأربعين من عمره وبعد وفاة أفلاطون بفترة نجح فى تجاوز فلسفته وبناء مذهبه الفلسفى الضخم، كما أسس مدرسة فلسفية ـ علمية أطلق عليها «اللوقيون» وكان أستاذا للإسكندر الأكبر، وقد احتل أرسطو بفلسفته وعلومه مكانة عظيمة فى تاريخ الفكر الإنسانى لم يرق إليها أحد، فقد ظل مسيطرا على الفلسفة والعلوم حتى مطلع العصر الحديث فى القرن السابع عشر.

فلسفته الأخلاقية:

يعد "ارسطو" اول من وضع مذهباً فلسفياً فى الأخلاق ، وقد حاول أن يوفق بين الواقع الأخلاقى كما يعيشه الناس ويفهمونه وبين المثال الأخلاقى الذى يطمع هو إلى أن يرتقى إليه هؤلاء الناس ويسلكون طريقه حتى يقتربوا من الصورة المثالية للإنسان الفاضل الكامل.

(أ) جوهر الإنسان عند أرسطو:

بدأ "أرسطو" نظرياته الأخلاقية بالتأكيد على أن بالإنسان جانب عاقل وجانب غير عاقل، وأن الأخلاق عند الإنسان تبدأ حينما يستطيع الجزء العاقل السيطرة على الجزء غير العاقل والحد من تطرفه وميله إلى الشهوانية الحسية، ولقد آمن "**أرسطو**" بأن **الفضيلة مكتسبة وليست فطرية** إلا أنه كان يؤكد أن الفضيلة ينبغى أن يكون لها ماهية ثابتة متفق عليها ولا يمكن أن تكون نسبية تختلف من شخص إلى آخر.

يقول "**أرسطو**": إن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على أن يسلك وفقا لاختيار إرادته العاقلة، **فالعقل** هو الذى يميز بين الحق والباطل وبين السلوك الأخلاقى الصائب وبين السلوك الشرير الخاطئ، بينما بقية الحيوانات تسلك وفقا لغرائزها غير العاقلة، وعلى ذلك قال "**أرسطو**" بشروط ثلاثة تميز الإنسان الفاضل عن غيره هى:

١ ـ أن يعرف نظريا ماذا تعنى الفضيلة؟

٢ ـ أن يسلك وفقا لهذه المعرفة بإرداته واختياره العاقل.

٣ ـ أن يستمر فى ممارسة هذا السلوك الفاضل دائما.

أى أن أرسطو كان يرى أن الفضيلة علم يعلم وأن دور المعلم هنا ضرورى فى إكساب المتعلم المعنى النظرى للفضيلة.

(هـ) الخصائص الأساسية للقانون الخلقى «الواجب»: نستخلص من العرض السابق أهم الخصائص المميزة للقانون الخلقى عند «كانط» والذى يقصد به «الواجب» وذلك كما يلى:

١ ـ القانون الخلقى أو الواجب الكانطى **مثالى عام ومطلق**. لأنه نابع من العقل الإنسانى ومتوافق مع طبيعته.

٢ ـ القانون الخلقى العقلى **صارم**. لا يسمح بأى استثناءات فى الحياة الخلقية ولا يرتبط بالتجارب الفردية المتغيرة.

٣ ـ القانون الخلقى أو الواجب **مطلوب لذاته**.. وليس وسيلة لتحقيق أهداف أخرى أبعد منه كالحصول على منفعة أو لذة.

٤ ـ القانون الخلقى **ليس مشروطا** بأى شرط وإلا فقد حينئذ السمة الأخلاقية وانحرف عن مبادئ العقل المطلق.

٥ ـ القانون الخلقى يفترض **توافر حرية الإرادة عند الإنسان**.. الذى يختار بإرادته العاقلة أفعاله الخلقية.. وبدون تلك الحرية لا يكون السلوك أخلاقيا، فالحرية عند كانط هى شرط أساسى لقيام الأخلاق الحقيقية.

(و) نقد مذهب الواجب الكانطى:

رغم سمو هدف **"كانط"** ونبل غايته فى الارتقاء بالأخلاق الإنسانية. إلا أن كثيرا من الفلاسفة وجهوا إلى مذهبه سهام النقد. والتى من أهمها:

١ ـ إن الواجب بأوامره المطلقة لا يساعد الإنسان العادى فى حياته اليومية الواقعية على تدبير شئونه العملية لأن الواجب هنا يأخذ شكلا **مثاليا متطرفا**.

٢ ـ يتصف الواجب الأخلاقى عند كانط بالصرامة العقلية الجامدة، ويستبعد تماما العواطف الإنسانية والخوف من الله. وهذه خصائص إنسانية طبيعية لها تأثيرها الواضح فى سلوكنا ولا يمكن استبعادها بسهولة من حياة الإنسان لكى نجعل العقل وحده بصرامته الجامدة يتحكم فى سلوكنا الأخلاقى.

٣ ـ إن رفض الاستثناءات فى القواعد الخلقية يعنى أن الظروف لابد أن تأتى دائما مواتية لمبادئ العقل. لكن فى بعض الأحايين تكون الظروف على عكس ذلك. وتحتاج إلى استثناء ويكون هذا الاستثناء أيضا من صميم الفعل الخلقى.

مثلا عندما يقع الجندى أسيرا فى أيدى الأعداء.. فإنه لابد أن يكذب عليهم حتى لا يفشى أسرار وطنه الحربية. لكنه من وجهة نظر كانط يجب أن يقول الصدق ويفشى أسرار وطنه للعدو.. ليصبح بذلك رجلا أخلاقيا مثاليا، يقول الصدق لذاته دون أية منفعة.

وكذلك الحال مع الطبيب الذى قد يضطر إلى الكذب على المريض ويخفى عنه حقيقة مرضه الخطير، التى لو عرفها لازدادت مضاعفات المرض. وقد تؤدى به إلى الموت. إن الاستثناء هنا مطلوب أخلاقيا. لكن كانط لا يقبل ذلك إطلاقا. ولا يرضى للطبيب أن يكذب أبدا.

٤ ـ هاجم رجال الدين فلسفة كانط الأخلاقية.. لأنه جعل الإلزام الخلقى يصدر من العقل وحده. دون نظر لأوامر الدين ودون خوف من عقاب الله، وهذا يعنى الاكتفاء بالعقل والاستغناء عن الدين الذى أنزله الله تعالى لتنظيم حياة الناس وأخلاقياتهم.

أسئلة وأنشطة

١ – علل ظهور الاتجاه الوجدانى فى الإلزام الخلقى.

٢ – ما السمات العامة لتفسير الإلزام الخلقى عند شافتسبرى؟

٣ – اذكر الانتقادات التى وجهت إلى مذهب الحاسة الخلقية.

٤ – اكتب مقالا لصحيفة المدرسة موضوعه «الإلزام الخلقى بين العقل والوجدان».

٥ – علل أسباب ظهور الاتجاه العقلى فى الإلزام الخلقى.

الإجابة: يرجع ظهور هذا الاتجاه إلى تقدم العلم الطبيعى، وظهور فكرة المطلق وازدهار التحليلات الرياضية المرتبطة بالدقة واليقين الرياضى، مما دعا كانط إلى محاولة إضفاء اليقين الرياضى على مذهبه الفلسفى العقلى فى الأخلاق.

٦ – وضح العلاقة بين النفس والأخلاق من وجهة نظر «مسكويه».

٧ – ما المبررات التى جعلت البعض ينتقد تطرف كانط فى دعم الجانب العقلى للإلزام الخلقى؟

٨ – حدد معنى الفضيلة عند أرسطو (إثرائى للمناقشة).

٩ – لخص بأسلوبك فلسفة أرسطو الأخلاقية (إثرائى للمناقشة).

١٠ – عقب برأيك على فلسفة أرسطو الأخلاقية (إثرائى للمناقشة).

(ب) معنى الفضيلة وأنواعها:

الفضيلة هى ذلك الفعل المكتسب الذى بفضله يتحسن سلوك الفرد ويسمو فوق غرائزه وانفعالاته، ويميز أرسطو بين الفضائل الأخلاقية العملية التى تمكن الإنسان من أن يعيش حياة اجتماعية وسياسية سليمة وبين الفضائل التى يمارسها الإنسان بوصفه إنسانا يريد أن يحقق ماهيته وأهم وظائفه وأهمها على الإطلاق وهى **التأمل والتفكير**.

١ ـ الفضيلة الأخلاقية:

استند **أرسطو فى** بيان معناها على تعريفه **للفضيلة** بأنها «**الحد الوسط بين طرفين كلاهما مرذول فالقتل رزلهة وبعض الافعال ليست لها وسط والكذب رزيلة**» وأكد تعريفه هذا من تحليل الفضائل الأخلاقية المختلفة، فالشجاعة هى الحد الوسط بين الجبن والتهور، والكرم بين البخل والإسراف وهكذا تكون الفضيلة الأخلاقية أيا كان اسمها وسط بين طرفين أحدهما إفراط والآخر تفريط، فالسلوك الأخلاقى القويم يبدأ بتقدير هذا الوسط بين الإفراط والتفريط جيدًا ثم القيام بالفعل الفاضل على هذا النحو وبإستمرار، أما مسألة تقدير **الوسط** فهى ترجع إلى التقدير الشخصى، وبصورة عامة فإن إكساب الفرد الفضيلة يكون بمحاولة **التوسط** بين الطرفين المرذولين (**الإفراط والتفريط**) إذاكان المرء بطبيعته معتدلا، أما إذا كان بطبيعته وفطرته يميل إلى أحد الطرفين فيكون اكتسابه للفضيلة كحد وسط بالاتجاه نحو الطرف الآخر، وبالرغم من هذا إلا أن أرسطو قد نبه إلى أن هناك فضائل أخلاقية لا تقبل أو لا يمكن أن تكون وسطا لرذائل مثل الصدق فهو دائما ضد الكذب كما نبه إلى أن هناك **رذائل لا يصح أن تكون اطرافا لفضائل مثل السرقة والزنى والقتل فهى رذائل على طول الخط.**

٢ ـ الفضيلة النظرية:

يؤكد **أرسطو** أن الفضائل الأخلاقية لا تحقق ماهية الإنسان فى نظره لأنها تتم بتحكم الجزء العاقل من الإنسان فى الجزء الشهوانى غير العاقل منه ويبقى أن تكون هناك فضيلة خاصة بالعقل، وهى الفضيلة النظرية فضيلة التأمل النظرى باعتبارها فضيلة العقل، لقد خلق العقل الإنسانى لا ليتحكم فى أفعالنا ويوجهها فقط بل ليتأمل ويفكر، **فالتأمل والتفكير هما الوظيفة الأساسية للعقل**، ومن هنا كان تفضيل أرسطو للفضيلة النظرية على الفضائل الأخلاقية، أما السبب الذى جعل أرسطو يعلى من شأن هذه الفضيلة هو أنها السبيل الوحيد أمام الإنسان ليعرف أسرار الوجود ويعرف الإله، فلولا التأمل فى الكون والتساؤل عن أسرار الوجود لما استطاع الإنسان أن يعرف **مبدع الوجود وعلته الأولى: الله سبحانه وتعالى.**

النقد:

١ ـ بالرغم من الجهد الكبير الذى بذله أرسطو فى تقديم الأدلة والبراهين على سمو فضيلة التأمل النظرى وتحقيقها لما هية الإنسان ووظيفته الأهم، فإن السؤال الذى ينبغى أن نفكر فيه.. ماذا سيحدث لو اقتنع كل الناس برأيه وتحولوا إلى ممارسة التأمل النظرى وانشغلوا عن حياتهم العملية والاجتماعية؟

٢ ـ ممارسة الفضيلة بالشكل الذى حدده أرسطو سيقتصر على الفلاسفة وحدهم، ومن ثم فإما أن نكون كلنا مثاليين ونبتعد عن الحياة الاجتماعية وإما أن نتغاضى عن ممارسة التأمل ونبقى فى حدود ممارسة الفضائل الأخلاقية العملية فنكون قد قصرنا فى استخدام العقل الذى وهبه الله لنا لنتأمل به ونفكر فى وجوده.

مراجع عربية عامة

١- إبراهيم مدكور ويوسف مكرم: «دروس فى تاريخ الفلسفة» مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٦.

٢- إبراهيم مدكور «تصدير»: «المعجم الفلسفى» مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٩.

٣- إبراهيم مدكور «تصدير»: «معجم أعلام الفكر الإنسانى» المجلد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤.

٤- أحمد أمين وزكى نجيب: «قصة الفلسفة اليونانية» لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٥.

٥- أحمد أمين وزكى نجيب: «قصة الفلسفة الحديثة» جزءان، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٥.

٦- أحمد عطية الله: «القاموس الإسلامى» خمسة مجلدات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٩.

٧- آرثر لفجوى: «سلسلة الوجود الكبرى، محاضرات فى تاريخ الفكر الفلسفى» ترجمة ماجد فخرى، دار الكاتب العربى، بيروت ١٩٦٤.

٨- ألبرت حورانى: «الفكر العربى فى عصر النهضة» دار النهار للنشر، بيروت ١٩٦٨.

٩- برتراند راسل: «تاريخ الفلسفة الغربية» ثلاثة أجزاء: الأول والثانى ترجمة زكى نجيب محمود ونشر لجنة التأليف والترجمة ١٩٥٦، والثالث ترجمة محمد فتحى الشنيطى، ونشر الهيئة المصرية بالقاهرة ١٩٧٧.

١٠- بولس سلامة: «الصراع فى الوجود» دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢.

١١- توفيق الطويل: «الفلسفة فى مسارها التاريخى» سلسلة كتابك: دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧.

١٢- الجرجانى، على محمد: «التعريفات» مكتبة مصطفى الحلبى، القاهرة ١٩٤٨.

١٣- جان فال: «طريق الفيلسوف ترجمة أحمد حمدى، ومراجعة أبوالعلا عفيفى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٦٧.

١٤- جان فال: «الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر» ترجمة فؤاد كامل ومراجعة فؤاد زكريا، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٨.

١٥- سماح رافع محمد: «المذاهب الفلسفية المعاصرة» مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٥.

١٦- صلاح عدس: «ملامح الفكر الأوروبى المعاصر» كتاب الهلال، دار الهلال، القاهرة ١٩٧٦.

مراجع عربية مختارة

١- إبراهيم عبدالمجيد اللبان وآخرون: «مشكلات فلسفية» وزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة، القاهرة ١٩٥٦.

٢- إمام عبدالفتاح إمام: «محاضرات فى فلسفة الأخلاق» دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٤.

٣- أندريه كريسون: «المشكلة الأخلاقية والفلاسفة» ترجمة عبدالحليم محمود وأبوبكر ذكرى، نشر عيسى الحلبى» القاهرة ١٩٥٦.

٤- أندريه كريسون: «الأخلاق فى الفلسفة الحديثة» ترجمة عبدالحليم محمود وأبوبكر ذكرى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨.

٥- إيمانويل كانط: «أسس ميتافيزيقا الأخلاق» ترجمة محمد فتحى الشنيطى، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة ١٩٦٥.

٦- إيمانويل كانط: «نقد العقل العملى» ترجمة أحمد الشيبانى، دار اليقظة العربية، بيروت ١٩٦٦.

٧- توفيق الطويل: «مذهب المنفعة العامة فى فلسفة الأخلاق» النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٣.

٨- توفيق الطويل: «الفلسفة الخلقية، نشأتها وتطورها» منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٦٦.

٩- توفيق الطويل: «جون ستيوارت ميل» سلسلة نوابغ الفكر العربى، دار المعارف القاهرة ١٩٦٧.

١٠- جويو ج.هـ: «الأخلاق بلا إلزام ولا جزاء» ترجمة سامى الدروبى، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٥٦.

١١- زكى نجيب محمود وآخرون: «فلسفة القيم» الجهاز المركزى للكتب الجامعية، القاهرة ١٩٧٧.

١٢- زكريا إبراهيم: «مبادئ الفلسفة والأخلاق» وزارة التربية والتعليم، القاهرة ١٩٦٥.

١٣- زكريا إبراهيم: «الأخلاق والمجتمع» الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٦.

١٤- عادل العوا: «المذاهب الأخلاقية، عرض ونقد» جزءان منشورات الجامعة السورية. دمشق ١٩٦٩.

١٥- عبدالرحمن بدوى: «الأخلاق النظرية» وكالة المطبوعات، الكويت ١٩٧٦.

١٦- ليفى بريل: «الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية» ترجمة محمود قاسم ومراجعة السيد محمد بدوى مكتبة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣.

١٧- محمد عبدالهادى أبوريدة: «مبادئ الفلسفة والأخلاق» وزارة التربية، دولة الكويت ١٩٧١.

١٨- نجيب بلدى: «مراحل الفكر الأخلاقى» دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢.

١٩- هنرى سد جويك: «المجمل فى تاريخ علم الأخلاق» ترجمة توفيق الطويل وعبدالحميد حمدى، دار نشر الثقافة بالإسكندرية ١٩٤٩.

٢٠- وليم ديفدسون: «النفعيون» ترجمة محمد إبراهيم زكى، الألف كتاب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٢.

٢١- مصطفى النشار مدخل جديد للفلسفة «دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع» – الطبعة الثانية ٢٠٠٤م

٢٢- أميرة حلمى مطر وآخرون دراسات فلسفية ث . ع – وزارة التربية والتعليم ١٩٩٧م

أهم المصطلحات الفلسفية

(A)

مجرد . . . . . abstract

علم الجمال . . . . . aesthetics

تحليل . . . . . analysis

دفاع عن الدين . . . . . apologetics

شهوة . . . . . appetite

زهد . . . . . ascetism

إلحاد (مذهب الإلحاد) . . . . . atheism

موقف اتجاه . . . . . attitude

مبحث القيم . . . . . axiology

(B)

موجود . . . . . being

اعتقاد . . . . . belief

بنتامية (نسبة إلى الفيلسوف بنتام) . . . . . benthamism

(C)

رأسمالى . . . . . capitalizm

ديكارتية (نسبة إلى ديكارت) . . . . . cartesianism

علية (سببية) . . . . . causality

يقينى . . . . . certain

حضارة . . . . . civilization

ضمير . . . . . conscience

(D)

داروينية (نسبة إلى داروين) . . . . . Darwinism

مذهب . . . . . doctrine

عقيدة . . . . . dogma

شك . . . . . doubt

مراجع أجنبية عامة

1- Bachelard, G	: Le nouvel Espirit Scientifque”	1966
2- Berkley,	: “Treatise Concerning the Principles of uman Knowl edge”	1960
3- Brochard, V.	:”Les sceptiques grecs”	1970
4- Brennan, J.	:”the meaning of philosophy”	1983
5- Ewing, A.	:”Idealism, critical survery”	1978
6- Hume, D.	:”Treatise of human naturee”	1962
7- Janet et Seall les	:”L’histoire de la philosophie”	1970
8- Lewis, t.	:”Introduction to philosophy”	1982
9- Lock, J.	:”Essay concerning human understanding”	1965
10- Montague, W.	:”Ways of Knowing”	1975
11- Nagel, E.	:”The structure of science”	1967
12- Pearson, K.	:”Grammar of science”	1977
13- Russel, B.	:”History of western philosphy”	1970
14- Wastawy, F.	:”Scientific method”	1980
15- Wahle, J.	:”Traite de metaphysique”	1973

(J.L)

جهمية (نسبة إلى جهم بن صفوان) . . . . . jahmiyya
العدل . . . . . just
مذهب الحرية . . . . . liberalism
حرية . . . . . liberty, freedom
مادية . . . . . materialism
تأمل . . . . . meditation
ذهنى . . . . . mental
عقلية . . . . . mentality
ميتافيزيقا (ما بعد الطبيعة) . . . . . metaphysics
أخلاقى . . . . . moral
مسئولية أخلاقية . . . . . moral responsability
حاسة أخلاقية . . . . . moral sense
تصوف . . . . . mysticism

(N.O)

الأورجانون الجديد (بيكون) . . . . . novum organum
مذهب موضوعى . . . . . objectivism
الموضوعية . . . . . objectivity
إلزام أخلاقى . . . . . obligation (moraol)
الواحد . . . . . one (the)
علم الوجود . . . . . ontology

(P)

فيلسوف . . . . . philosopher
فلسفة . . . . . philosophy
لذة . . . . . pleasure
وضعى . . . . . pleasure
فلسفة أولى . . . . . prima filosofia, first philosophy
بدائى . . . . . primitive

(E)

mpiricism . . . . . مذهب تجريبى
mpiricists . . . . . تجريبيون
nd . . . . . غاية
ssence . . . . . ماهية
eternal . . . . . أزلى
eternity . . . . . أبد – أزل
ethics . . . . . أخلاق
evil . . . . . شر
EXISTENTIALISM . . . . . وجودية
EXPERIMENT . . . . . تجربة
experimentaion . . . . . تجريب
fatalism . . . . . جبرية
fate, destiny . . . . . قدر
free will . . . . . حرية الإرادة

(G.H)

generalization . . . . . تعميم
good . . . . . خير
hedonism . . . . . مذهب اللذة

(I)

idea . . . . . فكرة
edeal . . . . . مثل أعلى (المثالى)
idealism . . . . . مثالية
edeology . . . . . أيديولوجية
immoral . . . . . لا أخلاق
innate . . . . . فطرى
intelligible . . . . . معقول
intuition . . . . . حدس

الجزء الثانى

المنطق

principle . . . . . مبدأ

problem . . . . . مشكلة

(R.S.T)

rational . . . . . عقلى

rationalism . . . . . مذهب عقلى

religion . . . . . دين

sophism . . . . . سفسطة

soul . . . . . نفس

theory of knowledge (or epistemology) . . . . . نظرية المعرفة

truth . . . . . حقيقة

(U.V)

utilitarianism . . . . . مذهب المنفعة

value . . . . . قيمة

VICE . . . . . رذيلة

virtue . . . . . فضيلة

الفصل الأول

المنطق والاستدلال

١- المنطق فى حياتنا اليومية:

حينما يفكر الإنسان فى حل مشكلة معينة فإنه يقوم فى الواقع بنوع من المحاولة والخطأ ذهنيا فهو يستعرض فى ذهنه الحلول المختلفة للمشكلة ويرفض الحلول الخاطئة أو غير الملائمة ثم يختار الحل الذى يراه ملائما وصحيحا.

وفى الواقع يمكننا أن نلاحظ أن الإنسان العادى قد يستخدم قواعد التفكير السليم فى حياته اليومية دون أية دراسة لعلم المنطق، كثير منا يمارس بالطبيعة هذا النوع من التفكير الذى نسميه بالتفكير المنطقى؛ وعلى سبيل المثال إذا عرفت أن نتيجة امتحانك قد أعلنت، وكانت هناك أسباب تحول دون ذهابك إلى المدرسة لمعرفة النتيجة، فإنك قد تسأل زميلا لك عن نتيجتك، فإذا قال لك زميلك أن «كل الطلاب ناجحون» فإنك تستطيع على الفور أن تستدل من ذلك على نجاحك لأنك بعض أو جزء من كل، وقد أعلن عن نجاح الكل، فقد توصلت إلى هذه النتيجة دون أن تعرف أنك قد استخدمت قاعدة فى علم المنطق تقرر: «أن ما يصدق على الكل يصدق بالضرورة على الجزء الذى يندرج تحته» وهذا مثال واحد نسوقه للتدليل على أن كلاً منا يستخدم القواعد المنطقية فى حياته اليومية، دون أن يكون قد سبق له دراسة المنطق.

دراسة قواعد التفكير السليم تفيد الإنسان فى إزالة اللبس وفى التمييز بين العناصر المتداخلة والمتشابهة، وهذا يعنى أن قواعد التفكير السليم تساعد على الوصول إلى النتائج الصحيحة وعدم الوقوع فى الخطأ.

٢- تعريف علم المنطق:

هو «العلم الذى يبحث فى القوانين العامة للفكر الصحيح، وتحديد الشروط التى بواسطتها يصح الانتقال من أحكام فرضت صحتها إلى أحكام أخرى تلزم عنها...»

من هذا التعريف يتبين لنا أمران:

أ- المنطق يساعد على تجنب الخطأ فى التفكير.

ب- أهم موضوعات المنطق هو الاستدلال الذى ننتقل فيه من المعلوم إلى المجهول.

٣- أهمية المنطق وفائدته:

من كل ما سبق تتضح لنا أهمية دراسة المنطق وفائدته للمفكر والباحث فى مجال العلوم المختلفة وللإنسان العادى عندما يتعرض لمختلف المشكلات التى يصادفها فى حياته اليومية، ويمكن أن نوجز هذه الأهمية فيما يلى:

أ- المنطق يساعد الباحث على فهم مبادئ وأسس الاستدلال المنطقى ومناهجه.

ب- المنطق يساعد على التمييز بين الأدلة السليمة وغير السليمة، وبين الأدلة الكافية وغير الكافية على النتائج

١٠٦ أبيض

٦- الاستدلال والاستنباط:

قد يستخدم البعض هذين المصطلحين بمعنى واحد، ولكن المنطق هو الوضوح والتحديد، ويتعين التمييز بين اللفظين.

الاستدلال أعم من الاستنباط؛ لأننا عندما نتكلم عن الاستنباط فإننا نعنى نوعًا من الاستدلال هو الاستدلال الصورى الذى نركز فيه على صورة الاستدلال والتفكير، أى على العلاقات بين الجمل والألفاظ دون المضمون الذى نسميه بمادة التفكير.

ذلك أنه عندما نقول مثلا أن:

أ أكبر من ب

ب أكبر من جـ

إذن أ أكبر من جـ

نجد أنفسنا أمام قالب من قوالب التفكير، أو صيغة أو شكل يركز على العلاقات بين أ، ب، جـ، وكذلك بين الجملة «أ أكبر من ب» والجملة «ب أكبر من جـ» لنصل إلى النتيجة «أ أكبر من جـ» دون الاهتمام بما تعنيه أ، ب، جـ ويمكن استخدام هذه الصيغة مع استخدام الألفاظ بدلا من الرموز فنقول:

آسيا أكبر من إفريقيا

إفريقيا أكبر من أوروبا

آسيا أكبر من أوروبا

والاستدلال الذى يركز على الصورة يسمى **بالاستنباط** ولا يهتم بالمضمون وإنما يهتم بالعلاقات بين الألفاظ والرموز والجمل، ويتضمن:

١- الاستدلال المباشر، وهو موضوع الفصل الرابع من هذا الكتاب.

٢- القياس، وهو موضوع الفصل الخامس من هذا الكتاب.

٣- الاستدلال الرياضى، وهو موضوع الفصل السادس من هذا الكتاب.

أما الاستدلال الذى يعتمد فيه الباحث على الرجوع إلى الواقع لجمع المعلومات أى الاستدلال الذى نعتمد فيه على المعطيات الحسية، فهو ما يسمى **بالاستقراء**، وهو موضوع الفصل السابع من هذا الكتاب.

وهذه كلها موضوعات لدراستنا فى الفصول القادمة.

٧- قوانين الفكر الأساسية:

لما كان موضوع علم المنطق هو التفكير الإنسانى والاستدلال على وجه الخصوص فقد اهتم المنطق التقليدى بصياغة القوانين الأساسية العامة التى تحكم التفكير السليم، ويرى أرسطو – مؤسس علم المنطق – أن هذه القوانين بديهية وليست فى حاجة إلى برهان، وأن جميع العلوم والأحكام وكافة صور الاستدلال تستند إليها، وهذه القوانين هى:

التى يصل إليها الإنسان بنفسه أو يقدمها الغير إليه.

جـ- دراسة الاستدلال وقواعده من عوامل تحرير الفرد من تأثير العاطفة والاستهواء والدعايات والشائعات.

د- المنطق يساعد على تنمية الاتجاه النقدى لدى دارسيه، فالقارئ أو السامع الذى درس المنطق يفحص الحجة والدليل كما يفحص المقدمات والنتائج ليتأكد أن النتائج تلزم عن المقدمات.

هـ- دراسة المنطق تعود الإنسان اختيار ألفاظه بدقة.

و- يسهم المنطق أكثر من أية دراسة أخرى فى تنمية الروح العلمية للفرد، وكافة موضوعات المنطق تسهم فى تنمية هذه الروح ومنها موضوعات التعريف ومناهج البحث.

٤- التفكير الإنسانى والاستدلال المنطقى:

عندما يواجه الإنسان مشكلة ما فإنه يفكر فى حلها، فإذا توافرت بعض المعلومات التى تتعلق بالمشكلة، فإن المفكر يستند إلى هذه المعلومات، وقد يطلب المزيد منها، ليصل إلى العناصر غير المعروفة فى المشكلة، ونعبر عن هذا فى لغة المنطق بقولنا: إن المفكر ينتقل من المقدمات «ما هو معلوم إلى النتائج «المجهول» وهذا هو الاستدلال، ومن الأمثلة على ذلك عندما يكلف أحد محققى الشرطة بالكشف عن الفاعل فى جريمة سرقة من منزل، فإنه يبدأ من المعلوم لديه، سكان المنزل، والأشخاص الذين يترددون عليه وقت وقوع الجريمة، حالة الأبواب والنوافذ، البصمات، أية آثار يمكن أن يكون السارق قد تركها فى مكان الجريمة، وقد يلجأ المحقق إلى مزيد من المعلومات عن طريق التحريات، إلى أن يصل إلى شخصية السارق.

هذا مثال يتكرر فى حياتنا اليومية، وكذلك فى مجال العلم، وللكشف عن طبيعة مرض ما أو أسبابه يبدأ العالم بالمعلومات المتوافرة لديه، ويسعى للحصول على مزيد منها إلى أن يصل إلى النتيجة المطلوبة.

كما أن هذا يحدث أيضا فى مجال الرياضيات، حيث يبدأ الرياضيون بالمقدمات أو المعطيات المتاحة.. ويقوم بعملية استدلال أو أكثر حتى يصل إلى النتيجة أو النتائج المطلوبة.

٥- تعريف الاستدلال ومكوناته:

مما سبق يتضح لنا أن **الاستدلال بمفهومه العام هو العملية العقلية التى يتم بواسطتها الانتقال من المعلوم إلى المجهول.**

وأما **تعريف الاستدلال فى المنطق فهو: الانتقال من مقدمة أو أكثر نعرفها أو نسلم بصحتها إلى نتيجة تلزم عن هذه المقدمة أو المقدمات.**

ومكونات الاستدلال إذن:

أ- المقدمة أو المقدمات.

ب- النتيجة.

جـ- علاقة منطقية تربط بين المقدمات والنتيجة.

وسنعرض للعلاقات المنطقية التى تربط المقدمات بالنتائج عند دراسة أنواع الاستدلال فى الفصول القادمة.

أسئلة

١- يستخدم الإنسان العادى قواعد التفكير المنطقى دون دراسته.
هل توافق على هذا القول؟ دعم إجابتك بالأمثلة.

٢- عرف الاستدلال. وحدد مكوناته.

٣- علل لما يأتى:
(ا) يمكن رد قوانين الفكر الأساسية إلى قانون واحد.
(ب) الاستدلال أعم من الاستنباط.
(جـ) دراسة المنطق تفيد الإنسان العادى فى حياته اليومية.

٤- اكتب مقالاً بعنوان «المنطق فى حياتنا اليومية».

٥- وضح بمثال العلاقة بين التفكير الإنسانى والاستدلال.

٦- عرف علم المنطق.
٧- وضح أهمية وفائدة المنطق لدارسية.

١- قانون الهوية:

ويرمز لهذا القانون بالقول «أ هو أ» كما يمكن التعبير عنه أيضا بالقول «الشيء هو ذاته».
والمقصود بذلك أن الشيء هو نفسه بصفاته الأساسية الجوهرية مهما اختلفت صفاته العرضية، فالإنسان هو الإنسان بصفاته الذاتية الأساسية، وبصرف النظر عن صفاته العرضية مثل اللون والجنس واللغة والصفات الجسمية ودرجة تحضره أو تخلفه، وأنا هو أنا بصفاتى بصرف النظر عن حالات الصحة أو المرض أو السرور أو الشعور بالضيق.

٢- قانون عدم التناقض:

ويسمى أيضا بقانون التناقض، وإن كان الاسم الأول أوضح وأكثر دلالة على مضمونه.
ويرمز لهذا القانون بالقول: أ ـ لايمكن أن توصف بأنها ب، ولا ب فى نفس الوقت» كما يمكن التعبير عنه بالقول:« الشيء لا يمكن أن يوصف بصفة ونقيض الصفة فى نفس الوقت، ومثال ذلك لا يمكننا وصف الطالب بأنه حاضر ولا حاضر فى نفس الوقت».

٣- قانون الوسط الممتنع:

ويسمى أيضا بقانون الثالث المرفوع، ويرمز لهذا القانون بالقول: «أ إما أن تكون ب أو لا ب، ولا ثالث لهذين الاحتمالين» كما يمكن التعبير عنه بالقول: «الشيء إما أن يوصف بصفة أو نقيض الصفة ولا وسط بين النقيضين» ومثال ذلك: «أن الطالب إما أن يوصف بأنه حاضر أو لا حاضر ولا وسط بين الحضور وعدم الحضور.

القوانين الثلاثة فى حقيقتها قانون واحد:

قانون عدم التناقض فى حقيقته هو صورة سالبة لقانون الهوية، وكذلك قانون الوسط الممتنع هو فى حقيقته صورة شرطية لقانون عدم التناقض، وهكذا يمكن رد كل من هذين القانونين إلى قانون الهوية، وإذن يمكن القول أن قوانين الفكر الأساسية فى حقيقتها تقوم على قانون واحد هو **قانون الهوية**.

أنواع الحدود المنطقية:

أولا – الحد الجزئى والكلى:

أهم تصنيفات الحدود المنطقية هو تصنيفها من حيث كم أو عدد مدلولاتها، وتنقسم الحدود المنطقية من هذه الزاوية إلى الحد الجزئى والحد الكلى.

١– **الحد الجزئى**: هو الحد الذى يطلق على فرد أو شىء أو مسمى واحد بالذات، ولا يمكن أن يطلق على غيره مثل: نهر النيل – الهرم الأكبر بالجيزة – رئيس جمهورية مصر الحالى – العقاد.

٢– **الحد الكلى**: هو الحد الذى يطلق على أكثر من فرد أو شىء، لاشتراكهم فى صفات معينة ويطلق على كل فرد من أفراده على حدة مثل:

- نهر «يطلق على نهر النيل – الفرات – السين – المسيسيبى – وغيرها».
- هرم «يطلق على أهرام الجيزة وسقارة وغيرها».
- إنسان «يطلق على عدد لا متناه من البشر».

اسم العلم هل هو جزئى أم كلى؟

اسم العلم حد جزئى لأننى عندما أقول حسن أو فاطمة فإن ذهنى ينصرف إلى فرد واحد بالذات، ومع أن اسم حسن أو فاطمة يطلق على العديد من الأفراد إلا أن إطلاقه على هؤلاء لم يكن بسبب وجود صفات مشتركة بينهم، بل جاءت تسميتهم بهذا الاسم أو ذاك من قبيل الصدفة.

ومن ناحية أخرى إذا قلنا: رءوف أو صابر أو جميلة، فإن كلا من هذه الألفاظ يمكن أن يكون اسم علم، وفى هذه الحالة يكون حدا جزئيا، ولكن نفس اللفظ يمكن أن يستخدم للدلالة على صفة «الرأفة، الصبر، الجمال» وهنا يكون اللفظ حدا كليا، لأن اللفظ فى هذه الحالة يطلق على الكثيرين الذين يتصفون بهذه الصفة أو تلك.

الحد الجمعى أو اسم الجمع:

هو الحد الذى يطلق على عدة أفراد مجتمعين، ولا يطلق على أى فرد منهم على حدة يسمى بالحد الجمعى أو اسم الجمع مثل: قوم – قبيلة – جيش – فرقة – سرب.

ويلاحظ أن الحد الجمعى يعتبر حدا كليا «بالإضافة إلى كونه اسم جمع» لأنه يمكن أن يطلق على عدة مسميات تشترك فى صفات معينة.

ولكن الحد الجمعى من ناحية أخرى يمكن اعتباره حدا جزئيا إذا خصصنا هذا الحد الجمعى مثل قولنا: «الجيش المصرى» فهذا الحد فى حكم الحد الجزئى.

هل يمكن تحويل الحد الكلى إلى حد جزئى؟

نعم، وذلك بإحدى الوسائل الآتية:

١– بالإشارة: أى أن أسبق الحد الكلى باسم الإشارة، مثل ذلك: قلم. عندما أسبق هذا الحد باسم الإشارة وأقول: «هذا القلم» يصبح حدا جزئيا.

٢– بالتخصيص: أى أن أخصص المدلول أو المسمى بحيث يصدق على فرد واحد بالذات. ومثال ذلك:

الفصل الثانى

مكونات الاستدلال

١- المنطق واللغة:

المنطق وثيق الصلة باللغة، وتتبدى هذه الصلة فى جانبين:

١- المنطق يدرس التفكير الإنسانى. ولذلك لابد له أن يدرس الوسائل التى يعبر بها الإنسان عن هذا التفكير، فالإنسان لا يمكنه أن يعبر عن أفكاره إلا بواسطة اللغة، وحتى التفكير الصامت الذى يدور داخل رأس من يقوم بالتفكير يأتى فى شكل جمل وعبارات وألفاظ. كما أن ألفاظ اللغة تكون جوفاء وبلا معنى إلا إذا عبرت عن فكر معين. ولذلك يقال إن اللغة هى الفكر المنطوق والفكر هو اللغة غير المنطوقة، وتعريف الإنسان بأنه حيوان ناطق يساوى تماما تعريفه بأنه حيوان مفكر أو عاقل.

وهناك من يعبر عن الصلة بين المنطق واللغة فيقول: إن الفكر واللغة بمثابة وجهى العملة، كما أن المفكر الإسلامى **أبا حيان التوحيدى** يرى شبهًا بين النحو والمنطق فيقول: «**النحو منطق لغوى والمنطق نحو عقلى**» ويريد بذلك أن النحو يضع لنا المعايير السليمة لاستخدام اللغة والمنطق يضع لنا المعايير السليمة للتفكير.

٢- أهم مباحث المنطق هو **الاستدلال**، والاستدلال كما عرفنا هو العملية العقلية التى ننتقل فيها من المعلوم إلى المجهول. والإنسان يعبر عن المعلوم الذى يبدأ به والمجهول الذى يصل إليه. فى شكل ألفاظ وجمل، ولذلك كان لابد من دراسة هذه الوسائل «الألفاظ والجمل» التى نعبر بها عن عملية الاستدلال. وقد ترتب على هذا أنه يتعين أن تبدأ دراسة المنطق بدراسة الألفاظ «التى نسميها فى المنطق بالحدود المنطقية»، والجمل «التى نسميها فى المنطق بالقضايا».

٢- الحدود المنطقية:

قلنا إن الألفاظ فى المنطق تسمى بالحدود المنطقية، ولكن ليس بالضرورة أن يكون الحد لفظا واحدا، لذلك فإن **الحد المنطقى** هو «اللفظ أو مجموعة الألفاظ» التى تصلح أن تكون طرفا فى القضية «الجملة الخبرية» نخبر عنه شيئا، أو نخبر به شيئا، ومثال ذلك.

القاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية

«القاهرة» حد منطقى لأن هذا اللفظ طرف أخبرنا عنه شيئًا، وكذلك «عاصمة جمهورية مصر العربية» حد منطقى لأننا أخبرنا به شيئا عن الطرف الأول.

وهكذا نلاحظ أن الحد المنطقى يمكن أن يكون لفظًا واحدًا مثل «القاهرة» ويمكن أن يتكون من أكثر من لفظ مثل «عاصمة جمهورية مصر العربية».

وكلمة ماصدق تتكون من مقطعين «ما» بمعنى الذى، و«صدق» بمعنى الذى دل عليه اللفظ أو أطلق عليه اللفظ أو صدق عليه اللفظ، كما يتبين من المثالين السابقين.

(أ) اسم العلم.. هل له مفهوم؟

اسم العلم له ما صدق واحد هو المسمى الذى يطلق عليه، لذلك يرى معظم المناطقة أن اسم العلم ليس له مفهوم، ذلك لأنه عندما يولد المولود ويطلق عليه اسم كريم أو جميلة مثلا فإن هذا لا يعنى أن صفات الكرم أو الجمال تتوافر أو ستتوافر بالضرورة فى المولود. وإذن فاسم العلم لا يفهم عند ذكره صفات معينة ولا يثير فى الذهن أية معان معينة، وإذن فليس له مفهوم، ولكن قلة من المناطقة يرون أنه عندما يذكر اسم العلم فإنه يثير بعض الصفات والمعانى فى الذهن، فعندما أقول «محمد» مثلاً فإنه يفهم من هذا الاسم إنه يدل على رجل مسلم.

(ب) العلاقة بين المفهوم والماصدق:

إذا زاد مفهوم اللفظ قلت ماصدقاته، والعكس صحيح، ومثال ذلك: مفهوم إنسان: كائن حى – حساس – متحرك – عاقل. وماصدقات هذا اللفظ جميع أفراد الإنسان فإذا أضفنا صفة «يسكن إفريقيا» فإن ما صدقات اللفظ تقل؛ لأنها ستقتصر حينئذ على أفراد الإنسان الذين يسكنون إفريقيا. كما أننا إذا حذفنا صفة عاقل من هذا المفهوم، فإن اللفظ حينئذ يصدق على جميع أفراد الحيوان، وبالتالى يزيد عدد الماصدقات.

ولكن الصفة المضافة أو المحذوفة من المفهوم يجب أن تكون **صفة** مؤثرة فى عدد الماصدقات **وليست صفة شائعة** بين جميع ماصدقات اللفظ، ولا تؤثر فى عدد الماصدقات. فإذا أضفنا مثلاً إلى مفهوم الإنسان صفة «التكاثر» فإن هذه الصفة عرضية شائعة بين جميع أفراد الإنسان وغيره من أنواع الحيوان، وهى فى الوقت نفسه لازمة عن صفة هى صفة «كائن حى»، لكن إذا أضفنا إلى مفهوم الإنسان صفة يسكن فى إفريقيا أو أوروبا أو أمريكا، فإن هذه الصفات تؤثر على ماصدقات الإنسان وهم سكان هذه القارات، وبالتالى فإن ماصدقات اللفظ «إنسان» تقتصر عليهم ويستبعد الباقون، وهكذا يقل عدد الماصدقات.

٤- التقابل بين الحدود من حيث المفهوم:

يمكن تصور العلاقة بين الحدود من حيث المفهوم على عدة أنواع أهمها ما يسمى بالتقابل، ويكون على نوعين:

١- **التقابل بالتناقض**: ويكون بين **اللفظ ونفسه منفيًا** ونقيض الحد هو نفيه أو سلبه من الناحية اللغوية مثل: أبيض، لا أبيض – وجود، لا وجود – نهاية، لا نهاية، ويسمى اللفظ غير المنفى «أبيض» باللفظ أو الحد المثبت «أو المحصل».

كما يسمى نقيضه «لا أبيض» باللفظ أو الحد المنفى «أو المعدول» والحدان أو اللفظان المتناقضان لا يصفان معا شيئا واحدا، كما لا يخلو من أحدهما شىء واحد فى وقت واحد ومن جهة واحدة، فلا يمكن أن

كتاب . . أخصصه بقولى كتاب الأيام للدكتور طه حسين.

٣- بالإضافة: أى أن أنسب المدلول إلى فرد أو شىء بعينه، ومثال ذلك: قلم . . أنسبه إليك أو إليها بقولى قلمك أو قلمها.

هل يمكن تحويل الحد الجزئى إلى حد كلى؟

نعم، وذلك بإحدى الوسائل الآتية:

١- حذف اسم الإشارة، ومثال ذلك:

هذا الرجل «حد جزئى» يصبح رجل «حد كلى»

٢- التعميم، أى حذف ما يفيد التخصيص، ومثال ذلك: مسرحية هاملت لشكسبير «حد جزئى» يصبح مسرحية «حد كلى».

٣- حذف ما يجعل الحد الكلى منسوبا إلى شىء أو فرد بعينه، ومثال ذلك: بيتك «حد جزئى» يصبح بيتا «حد كلى».

ثانيًا: الحد الموجب والحد السالب:

تصنف الحدود المنطقية من زاوية الإثبات أو النفى إلى الحد الموجب والحد السالب.

١- **الحد الموجب**: هو الذى يعبر مدلوله عن وجود شىء أو صفة مثل:

إنسان: يعبر عن وجود الإنسان.

أمين: يعبر عن وجود صفة الأمانة.

٢- **الحد السالب**: وهو الذى يعبر مدلوله عن غياب شىء أو صفة مثل:

اللاإنسان: يعبر عن غياب الإنسان.

غير الأمين: يعبر عن غياب الأمانة.

واستخدام أداة السلب «لا أو (اللا) وكذلك (غير) للتعبير عن الحد السالب يجعل أداة السلب جزءًا من الحد. فى حين أن استخدام «ليس» مثلا تفيد انفصال الحد المنطقى عن الحد الآخر فى الجملة أو القضية، كما فى قولنا: «الأسد ليس إنسانًا».

٣- المفهوم والماصدق:

- **مفهوم اللفظ** :هو الصفة أو الصفات أو المعانى التى يفهمها الإنسان من اللفظ أو التى يثيرها اللفظ في الذهن عندما يسمعه الإنسان أو يقرأه.

فإذا قلنا: «إنسان» فإن الصفات أو المعانى التى يثيرها اللفظ فى الذهن: كائن – حى – حساس – متحرك – عاقل أو ناطق.

وإذا قلنا «سيمفونية» فإن الصفات أو المعانى التى يثيرها اللفظ فى الذهن : شكل من أشكال التأليف الموسيقى العالمى المتطور تقوم بعزفه فرقة موسيقية كبيرة.

- **ما صدق** أو **ماصدقات** اللفظ: تعني الفرد أو الأفراد الذين يصدق عليهم اللفظ فى الواقع، فماصدقات إنسان هى: محمد – حسن – فاطمة – جون. . وكل أفراد الإنسان.

وماصدقات سيمفونية هى: كافة السيمفونيات التى ألفها كبار الموسيقيين العالميين، ومنهم بعض المصريين والتى تتوافر فيها الصفات التى ترد فى مفهوم اللفظ.

وقد أوضح **فورفوريوس الصورى**، وهو أحد شراح أرسطو القدماء هذا التسلسل فى الأجناس والأنواع فى شكل يسمى بشجرة فورفوريوس. والشكل الآتى يقرب إلى الأذهان شجرة فورفوريوس، وبالتالى يوضح تسلسل الأجناس والأنواع.

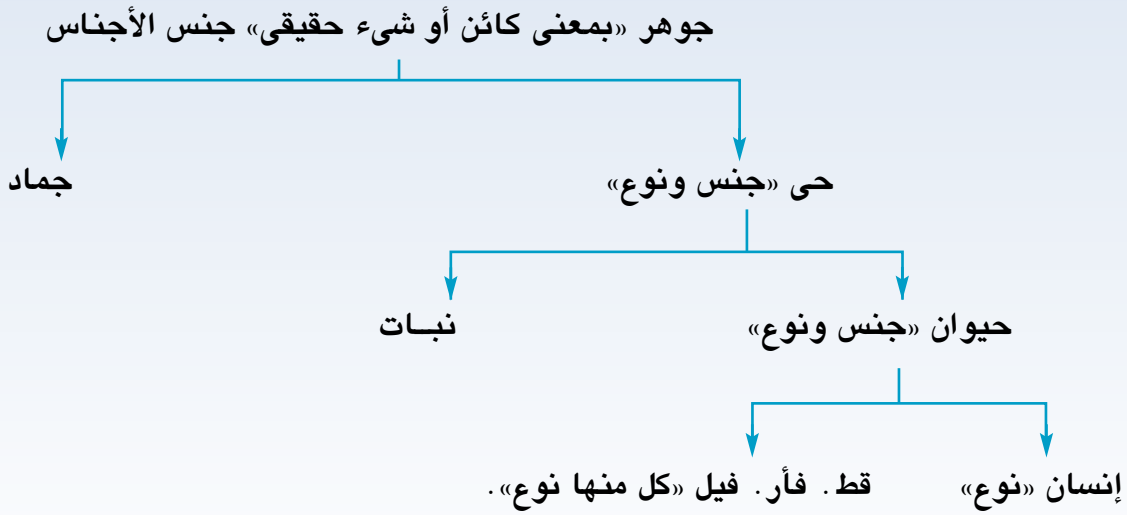

عندما تجد فى هذا الشكل عبارة «جنس ونوع» فإن المقصود منها أن اللفظ جنس لما تحته ونوع لما فوقه، والجنس الذى ليس فوقه جنس هو جوهر لأن كلمة جوهر أو كائن يطلق على أى شىء، ونوع الأنواع هو النوع الذى ليس تحته نوع، ويطلق على عدة أفراد يشتركون فى صفات معينة.

ثالثًا: الفصل:

حد كلى يطلق على صفة جوهرية أو أساسية وتميز «أى تفصل» نوعا معينا عن غيره من الأنواع الأخرى، ولا نتصور أى فرد ينتمى إلى هذا النوع دون هذه الصفة الأساسية. ومن أمثلة الفصل:

* العقل بالنسبة لنوع الإنسان، فهو صفة أساسية تميز نوع الإنسان عن غيره من الأنواع، ولا نتصور أى فرد ينتمى إلى النوع الإنسانى دون هذه الصفة.

* محاط بثلاثة أضلاع متقاطعة بالنسبة لنوع المثلث «مثلث نوع بالنسبة لـ «شكل هندسى» هذه صفة جوهرية أساسية تميز نوع المثلث عن غيره من أنواع الأشكال الهندسية ولا نتصور أى مثلث دون هذه الصفة.

ويتعين ملاحظة أنه من الصعب الوصول إلى الفصل إلا بالنسبة للأشياء المألوفة لنا، مثل الإنسان، البيت، الجامع، المثلث، وكذلك سائر الأشياء التى يصنعها الإنسان. فالإنسان يعرف خواصها وصفاتها الأساسية، وغير الأساسية، أما بالنسبة لمعظم الأشياء الطبيعية فإن الوصول إلى الفصل يحتاج إلى دراسة من المتخصصين للوصول إلى فصل كل نوع من أنواعها.

نصف القلم بأنه «أسود» وبأنه «لا أسود» فى وقت واحد – ومن وجهة النظر ذاتها، ولقد عبر المناطقة العرب عن ذلك المعنى بقولهم: **إن الحدين المتناقضين لا يجتمعان معًا ولا يرتفعان معًا**، أى لا يجتمعان فى شىء واحد معًا، ولا يمكن أن يخلو الشىء الواحد منهما معًا.

٢ – **التقابل بالتضاد**: بين **لفظين مثبتين «اللفظ وضده أو عكسه»** كعلاقة بين الحدين «أبيض» و«أسود» أو بين «طويل» و«قصير» والحدان المتضادان لا يصفان معا شيئا بعينه فى وقت واحد ومن الجهة ذاتها.

لكن قد يخلو الشىء الواحد منهما معا، فالشىء مثلا لا يكون أبيض وأسود فى وقت واحد، لكنه يمكن ألا يكون أبيض أوأسود، بل أخضر أو أصفر أو غير ذلك، وقد عبر المناطقة العرب عن هذا المعنى بأن : **الحدين المتضادين لا يجتمعان معًا، وقد يرتفعان معًا**، أى لا يجتمعان فى الشىء الواحد معا، لكن يمكن أن يخلو الشىء الواحد منهما معًا.

٥- الكليات الخمس:

صنف المناطقة الحدود الكلية إلى خمسة أقسام والاسم الشائع لهذه الأقسام هو الكليات الخمس:

أولاً: النوع:

حد كلى يطلق على عدة أفراد يشتركون فى صفات معينة مثل «إنسان» الذى يطلق على البلايين من الأفراد لاشتراكهم فى صفة إنسانية، وكذلك لفظ منزل الذى يطلق على الملايين من المبانى التى أعدت للسكن.

ثانيًا: الجنس:

حد كلى يطلق على عدة أنواع تجمعها صفات مشتركة مثل «الحيوان» الذى يطلق على أنواع من الحيوان منها الإنسان، الأسد، الفيل.. وكافة الحيوانات الأخرى، وكذلك لفظ مبنى الذى يطلق على أنواع من المبانى منها المنزل والجامع والمدرسة والمستشفى.. إلخ.

العلاقة بين الجنس والنوع:

مادام الجنس يطلق على عدة أنواع، فإن **الجنس أعمّ من النوع**، وعدد ماصدقاته أكثر من ماصدقات النوع، ولكن العلاقة بين الجنس والنوع **علاقة نسبية وليست مطلقة**، فالجنس يعد جنسا بالنسبة للنوع الذى يندرج تحته، والنوع يعد نوعا بالنسبة للجنس الذى فوقه أى الذى يشمله، ومثال ذلك: «شجرة» تعد نوعا للحد «نبات» الذى هو جنس للشجرة، ولكن فى الوقت نفسه فإن «شجرة» يمكن أن نعدها جنسا بالنسبة لشجرة فاكهة لأن «شجرة فاكهة» نوع من أنواع الشجر، كما أن «شجرة فاكهة» تعد جنسا بالنسبة لـ «شجرة تفاح» وهذه الأخيرة تعد نوعا بالنسبة لـ «شجرة فاكهة».. وهكذا.

والجنس الذى يعلو النوع مباشرة يسمى **بالجنس القريب** والجنس الأعم يسمى **بالجنس البعيد**، ومثال ذلك الحد «شجرة» جنس قريب للنوع «شجرة فاكهة» والحد «نبات» جنس بعيد لنفس النوع.

والتعريف بالحد التام أكمل أنواع التعريف الشيئى وأدقها، ولذلك فهو أصعبها لأننا نحتاج فيه إلى الفصل، وقد سبق أن أشرنا إلى صعوبة وصول الإنسان غير المتخصص إلى «فصل» كثير من الأشياء الطبيعية.

٢- التعريف بالرسم:

يلجأ صاحب التعريف إلى التعريف بالرسم عندما يصعب عليه التعريف بالحد، ويركز التعريف بالرسم على الصفة غير الجوهرية للنوع التى تميزه عن غيره من الأنواع، ونقصد بذلك الخاصة، وإذن يكون التعريف تعريفا بالرسم إذا استخدمنا فيه الخاصة وينقسم التعريف بالرسم إلى نوعين:

(أ) **التعريف بالرسم التام** ويكون بذكر الجنس القريب والخاصة «**جنس قريب + خاصة**» ومثال ذلك: الإنسان حيوان كاتب.

(ب) **التعريف بالرسم الناقص** ويكون بذكر الجنس البعيد، والخاصة «**جنس بعيد + خاصة**» أو الخاصة فقط ومثال ذلك: الإنسان كائن حى كاتب أو الانسان هو الكاتب والرسم التخطيطى التالى يلخص لنا التعريف الشيئى:

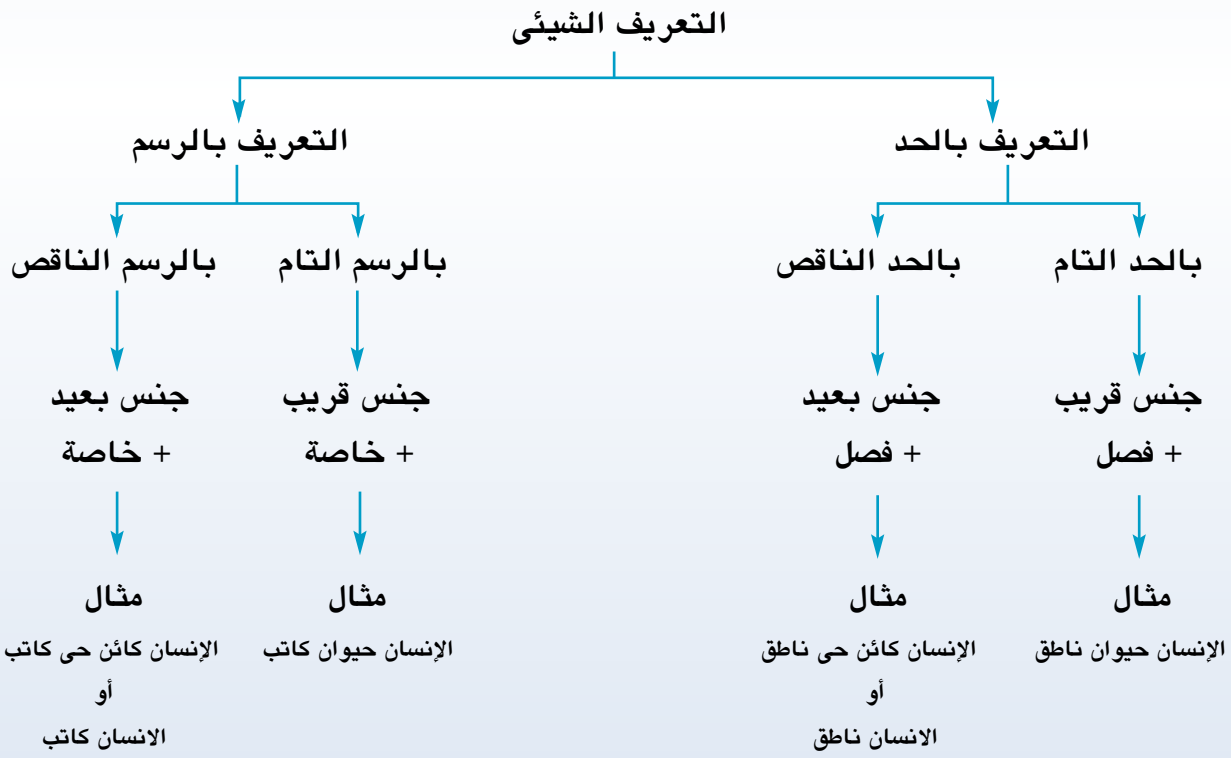

رابعًا: الخاصة:

حد كلى يطلق على صفة غير أساسية أو جوهرية، تخص بعض أفراد النوع وتميزهم عن الأنواع الأخرى «ولذلك تسمى بالخاصة» ومن أمثلة الخاصة: «كاتب» بالنسبة لنوع الإنسان، فهى صفة غير أساسية للإنسان، ولكنها تميز أفراد الإنسان عن غيره من الأنواع.

«له مئذنتان يؤذن منهما للصلاة»، «بالنسبة للمسجد»، فهذه صفة غير أساسية لأن «بعض المساجد فقط ما له مئذنتان»، ولكن هذه الصفة تميز المسجد عن غيره من المبانى لأنها خاصة به وحده.

خامسًا: العرض العام:

حد كلى يطلق على صفة غير أساسية للنوع ولا تميزه عن غيره من الأنواع الأخرى، ومن أمثلة العرض العام: أبيض اللون بالنسبة للإنسان، فهذه صفة غير أساسية ولا توجد فى كل الناس، كما أن هذه الصفة موجودة فى غير الإنسان. فهناك الحصان الأبيض والقطة البيضاء والدب الأبيض... إلخ.

٦- التعريف:

المقصود بالتعريف هو إيضاح صفات الشىء أو معنى اللفظ.

والتعريف ضرورة منطقية، لأن تحديد صفات الأشياء ومعانى الألفاظ ووضوحها من العوامل التى تسهم فى تجنب الوقوع فى الخطأ أثناء التفكير، وقد وصف العرب التعريف بأنه **«القول الشارح»**.

ومن فوائد التعريف إزالة اللبس عن المعانى وعدم الخلط بينها، خاصة بين المعانى المتقاربة، ذلك أن الخلط بين المعانى يوقع الأفراد والجماعات والدول فى كثير من المشكلات عند التعامل مع الغير.

وكان من أكبر ما اهتم به «سقراط» تعريف الفضيلة بوجه عام، وتعريف بعض الفضائل بوجه خاص مثل الشجاعة والعدالة، وذلك عندما وجد السوفسطائيين يتلاعبون بالألفاظ والمعانى، وكان هذا يشكل خطرا على المجتمع والأخلاق.

٧- أنواع التعريف:

أولاً: التعريف الشيئى:

يرجع هذا النوع من التعريف إلى فلاسفة العصر اليونانى القديم وعلى رأسهم أرسطو، ويركز على صفات الشىء التى تميزه عن غيره، وهو نوعان:

١- التعريف بالحد:

يركز على الصفات الجوهرية للشىء التى لا نتصور الشىء بدونها وتميزه عن غيره، وهذا يتطلب استخدام الفصل... وإذن لا يكون التعريف تعريفا بالحد إلا إذا استخدمنا الفصل، وينقسم إلى:

(أ) **التعريف بالحد التام:** ويكون بذكر الجنس القريب والفصل **«جنس قريب + فصل»** ومثال ذلك الإنسان حيوان ناطق.

(ب) **التعريف بالحد الناقص:** ويكون بذكر الجنس البعيد والفصل **«جنس بعيد + فصل»** أو بالفصل فقط ومثال ذلك: الإنسان كائن حى ناطق أو الإنسان هو الناطق.

فإن هذا التعريف جمع كل أفراد المثلث، ولكنه لم يمنع دخول أفراد المربع والمستطيل وسائر الأشكال الهندسية، وإذن فهذا التعريف جامع وليس مانعا.

وكذلك إذا اعتبرت القضية الآتية تعريفا للمثلث:

المثلث شكل هندسى محاط بثلاثة أضلاع متقاطعة ومتساوية.

فإن هذا التعريف ليس جامعا لأنه لا يجمع جميع أفراد المثلث، بل أشار إلى المثلثات المتساوية الأضلاع فقط، ولكنه مانع لأنه لا يسمح بدخول أفراد أجنبية عن المثلث إذ إنه يمنع دخول أفراد المربع والمستطيل والدائرة... إلخ».

ونلاحظ فى التعريف بالحد أن **وظيفة الجنس** هى أن يجمع كافة أفراد الشىء المعرف **ووظيفة الفصل** أن يمنع دخول أفراد أجنبية.

(ب) وإذا كان من شروط التعريف الشيئى أن يكون جامعا مانعا، فإن هناك شرطا مماثلا للتعريف الاسمى، **وهو أن التعريف يجب أن يكون مساويًا للمعرف**، فلا يكون **التعريف أوسع من المعرف أو أضيق منه**.

فعندما نقول إن الخط هو ماله طول وليس له عرض، فإننا نستطيع أن نستخدم التعريف محل المعرف والمعرف محل التعريف. وهذا يعنى أن التعريف مساو للمعرف.

٢- مادام الهدف من التعريف هو التوضيح والتحديد يتعين **أن يكون التعريف أوضح من المعرف**. وهذا يتطلب:

(أ) **عدم اشتمال التعريف على ألفاظ ليست مفهومة للقارئ أو السامع**، فتعريف الليث مثلا بأنه الغضنفر بالنسبة للشخص الذى لا يعرف كلمة الغضنفر، يفقد التعريف وظيفته، أما إذا قلنا «الليث هو الأسد» فإن هذا التعريف يحقق الوظيفة والفائدة المرجوة من التعريف، لأن التعريف أبسط وأسهل من المعرف.

(ب) **عدم اشتمال التعريف على لفظ مشتق من المعرف**. ذلك أنه فى هذه الحالة يتوقف فهمنا للتعريف على فهمنا للمعرف، ولذلك فإن من الخطأ تعريف المعلم بأنه من يعلم. فإن فى هذا التعريف «دور» ويسمى بالتعريف الدائرى. مثل تعريفنا الحياة بأنها مجموعة القوى الحيوية فى الجسم.

(جـ) **عدم اشتمال التعريف على تركيبات مجازية** مثل تلك التى نستخدمها فى الأدب. ذلك أن لغة المنطق شبيهة بلغة الرياضة، ولكل لفظ فى هذه اللغة دوره المحدد، ولذلك فإن من الخطأ أن نعرف الجمل مثلا بأنه سفينة الصحراء، وأن نعرف الرجل الشجاع بأنه أسد.

(د) **تجنب التعريف السلبى** مثل تعريفنا للرجل الشجاع بأنه من ليس جبانا، أو تعريف الجميل بأنه ما ليس بقبيح.

ثانيًا: التعريف اللفظى أو الاسمى:

يستهدف هذا التعريف إيضاح معانى الألفاظ وأساليب استخدامها وهو ما يهتم به المناطقة المحدثون.

وللتعريف اللفظى ثلاثة أنواع:

١- التعريف القاموسى أو المعجمى أو الاصطلاحى:

هو إيضاح معنى الكلمة بذكر ما يساويها فى اللغة المستخدمة، ويمكن الحصول على هذا التعريف بالرجوع إلى القواميس والمعاجم التى تعد فى الحقيقة سجلات لهذا النوع من التعريف.

٢- التعريف الاشتراطى:

هو تعريف لمصطلح أو لفظ معين يشترط من يستخدمه على قارئه أو سامعه أن يفهمه بمعنى معين يحدده الشخص الذى يستخدم اللفظ.

ومن التعريفات الاشتراطية تعريفات إقليدس لبعض المصطلحات الرياضية مثل تعريف الخط بأنه «ما له طول وليس له عرض» وذلك أن إقليدس يشترط أن نفهم هذا المصطلح بهذا المعنى، لأننا فى الواقع عندما نرسم خطا على الورق أو على الأرض أو الحائط يكون له عرض، والعرض هو سمك الخط مهماكان السمك ضئيلا، لكن إقليدس يقول لك: تغاض عن هذا السمك، أى تغاض عن العرض وركز على الطول فقط، ولنستخدم هذا المصطلح بهذا المعنى «له طول وليس له عرض».

٣- التعريف الإجرائى:

هو تعريف لمصطلح علمى بتحديد الإجراءات التى توضح معنى هذا المصطلح، ومثال ذلك:

السائل الحمضى: هو الذى إذا وضعت فيه ورقة عباد الشمس تحولت الورقة إلى اللون الأحمر.

السائل القلوى: هو الذى إذا وضعت فيه ورقة عباد الشمس تحولت الورقة إلى اللون الأزرق.

الذكاء: هو القدرة على حل المشكلات الواردة فى اختبارات الذكاء المقننة.

٨- قواعد التعريف وشروطه:

١- «أ» **يجب أن يكون التعريف الشيئى جامعًا مانعًا**، والتعريف الجامع هو الذى يجمع جميع أفراد الشىء المعرف، والتعريف المانع هو الذى يمنع دخول الأفراد الأجنبية ضمن التعريف. فإذا قلنا:

المثلث: شكل هندسى محاط بثلاثة أضلاع متقاطعة.

فإن هذا التعريف يجمع كل أفراد المثلث ويمنع دخول أفراد المربع والدائرة وسائر الأشكال الأخرى، وإذن فهذا التعريف جامع مانع.

أما إذا اعتبرت القضية الآتية تعريفًا للمثلث:

الإنسان حيوان ناطق – الإنسان حيوان ضاحك.

٨ – انقد التعريفات الآتية:

(أ) المعلم هو من يعلم.

(ب) الرجل الشجاع أسد.

(جـ) المدرسة بناء حوله سور.

٩ – اشرح الفرق بين التعريف الاشتراطى والتعريف الإجرائى مع التمثيل.

١٠– استخدم المثال الشارح فى توضيح الفرق بين:

(أ) الحد الكلى واسم الجمع.

(ب) الفصل والخاصة.

(جـ) النوع والجنس.

(د) الخاصة والعرض العام.

١١– حدد الجنس القريب والنوع لكل من الحدود الآتية:

كتاب – قلم – برتقالة.

أسئلة

١- فرق بمثال بين كل من:

(أ) الحد الجزئى والحد الكلى.

(ب) الحد الكلى والحد الجمعى.

(جـ) الحد الموجب والحد السالب.

٢- كيف يمكن تحويل الحد الكلى إلى جزئى والجزئى إلى كلى، مع التمثيل.

٣- وضح الصواب أو الخطأ فى كل من العبارات الآتية مع التعليل:

(أ) العلاقة بين الجنس والنوع علاقة نسبية.

(ب) الفصل صفة أساسية تميز النوع عن الأنواع الأخرى.

(جـ) كلما زاد المفهوم زاد الماصدق.

(د) العرض العام صفة أساسية ولا تميز النوع عن الأنواع الأخرى.

(هـ) الخاصة صفة غير أساسية وتميز النوع عن الأنواع الأخرى.

٤- لماذا يهتم المنطق بالتعريف؟ وما الفرق بين التعريف الشيئى والتعريف اللفظى؟

٥- التعريف بالحد أكمل أنواع التعريف الشيئى وأصعبها فى الوقت نفسه. علل مع إعطاء أمثلة لما تقول.

٦- وضح من بين التعريفات الآتية ما هو جامع مانع، وما هو جامع غير مانع، وما هو مانع غير جامع، مع بيان الأسباب:

(أ) المثلث شكل هندسى.

(ب) المثلث شكل هندسى له ثلاثة أضلاع متقاطعة.

(جـ) المثلث شكل هندسى له ثلاثة أضلاع متقاطعة ومتساوية.

٧- وضح الفرق بين التعريفين الآتيين:

الحديد هو معدن، بل نكتفى بالقول: الحديد معدن، ونقول إن الرابطة بين الموضوع والمحمول مستترة تقديرها هو.

(ب) **رابطة سالبة**: تفيد الانفصال بين طرفى القضية مثل قولنا: «تذوق الفن الرفيع ليس مضيعة للوقت» وهنا قامت الرابطة «ليس» بفصل الموضوع «تذوق الفن الرفيع» عن المحمول «مضيعة للوقت» وهى فى الواقع فعل الكينونة منفيا.

٢- القضايا التحليلية والتركيبية:

(أ) القضية التحليلية أو التكرارية:

هى التى يكون محمولها مرادفا للموضوع أو جزءا من مفهومه، أو تعريفا له، أو نتيجة منطقية لازمة عنه، ولا يضيف جديدا له، ومن أمثلة هذه القضايا:

(الإنسان هو الآدمى) المحمول هنا مرادف للموضوع.

(الإنسان حيوان ناطق) المحمول هنا هو تعريف للموضوع.

(الإنسان حيوان) المحمول هنا جزء من مفهوم الموضوع.

(٧×٢=١٤) المحمول هنا نتيجة منطقية لازمة عن الموضوع.

(ب) الصدق والكذب فى القضية التحليلية:

يتوقف صدق القضية التحليلية على الاتساق بين الموضوع والمحمول، وهذا يعنى عدم التناقض بين طرفيها. ذلك لأن القضية التحليلية «لاحظ أنها تسمى أيضا بالتكرارية» لا تأتى بجديد من الواقع الخارجى، وبالتالى لسنا فى حاجة إلى الرجوع إلى الواقع للحكم عليها بالصدق أو الكذب، وفى الأمثلة السابقة يكفى أن نتأكد أنه ليس هناك تناقض بين الموضوع والمحمول لنحكم على القضية بالصدق.

(جـ) أهمية القضية التحليلية:

إذا كانت القضية التحليلية لا تفيد جديدا من الواقع الخارجى، فإن هذا لا يعنى التقليل من أهميتها، ذلك أنها تساعد على إيضاح مفهوم الموضوع، وقد تركز على أحد عناصر هذا المفهوم لإبراز هذا العنصر، كما أن التعريف الجامع المانع هو قضية تحليلية، وفى الوقت نفسه فإن القضية التحليلية هى وحدة العلم الرياضى، والقضايا الرياضية مع مالها من أهمية فى العلوم كافة هى قضايا تحليلية.

(د) القضية التركيبية أو التأليفية:

القضية التركيبية هى التى يضيف فيها المحمول خبرا جديدا يستمد من الواقع الخارجى. وهذا يعنى أن المحمول فى هذه القضية لا يكون تكرارا بأية صورة للموضوع أو تحليلا له، ومن أمثلة القضايا التركيبية:

المعدن يتمدد بالحرارة.

المصريون حققوا نصرا كبيرا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

فى كل من القضيتين أضاف المحمول جديدا إلى الموضوع نتيجة التعامل مع الواقع «وليس نتيجة تحليل لمفهوم الموضوع كما هو الحال فى القضية التحليلية».

الفصل الثالث

القضايا

دراستنا للحدود فى الفصل السابق هى تمهيد لدراسة القضية المنطقية. فالحد المنطقى وإن كان يعطى تصورا ومفهوما إلا أنه لا يعطى معنى كاملا، والقضية التى تتكون من أكثر من حد هى التى تعطى المعنى الكامل ونسميها فى اللغة بالجملة المفيدة.

وترجع أهمية دراسة القضية فى المنطق إلى سببين:

١- القضية هى وحدة التفكير.

٢- دراسة القضايا أمر ضرورى لدراسة الاستدلال أهم مباحث المنطق.

١- المقصود بالقضية:

القضية هى الجملة الخبرية التى تحتمل الصدق والكذب أى التى يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

والعبارات الانشائية ليست جملا خبرية، أى أنها لا تفيد خبرا، ولذلك فهى ليست قضية منطقية ومن أمثلتها:

- انتبه جيدا إلى الدرس «أمر».
- لا تدخن «نهى».
- من أول فيلسوف استخدم كلمة فلسفة؟ «سؤال».
- ليت الشباب يعتاد القراءة والاطلاع. «تمنى».
- ما أجمل لوحة الموناليزا؟! «تعجب».

(أ) القضية والحكم:

كل قضية تتضمن حكما ويقصد بالحكم المعنى الذى استخلصه الذهن من الكلمات التى تكون القضية.. والقضية والحكم متلازمان ومن الصعب التمييز بينهما.

(ب) مكونات القضية:

القضية قول يفيد علاقة بين حدين، وإذن فالعناصر التى تتكون منها القضية ثلاثة هى:

١- **الموضوع**: وهو الحد المنطقى الذى نخبر عنه، فعند قولنا «الحديد معدن» الحديد هو طرف القضية الذى أخبرنا عنه، وموضوع القضية يجب أن يكون اسما.

٢- **المحمول**: وهو الحد المنطقى الذى نخبر به، وفى نفس القضية «الحديد معدن» معدن هو طرف القضية الذى أخبرنا به ويمكن أن يكون المحمول اسما أو صفة أو فعلا.

٣- **الرابطة**: وهى اللفظ الذى يفيد العلاقة بين الموضوع والمحمول وهى إما:

(أ) **رابطة موجبة**: تفيد الاتصال بين طرفى القضية، وهى عادة تكون مستترة فى اللغة العربية، ذلك أن الرابطة فى اللغات الأوروبية هى فعل الكينونة: فعل to be فى الإنجليزية وفعل etre فى الفرنسية، أما فى العربية فالعبارة تكون ركيكة إذا قلنا: الحديد يكون معدنا، وكذلك ليس من الشائع أن نقول

٣- القضية البسيطة «الحملية» والقضية المركبة «الشرطية»:

القضية البسيطة أو الحملية هى التى تحمل صفة معينة على موضوع معين، وطرفاها هما الموضوع والمحمول مثل: الادخار فيه فوائد للفرد والوطن.

الادخار «موضوع». فيه فوائد للفرد والوطن «محمول».

أما القضية المركبة فتتألف من قضيتين حمليتين أو أكثر تربطهما أداة ربط. والقضية الشرطية من أهم أنواع القضية المركبة، وفيها يكون الحكم معلقا على شرط بعكس القضية الحملية التى يكون الحكم فيها مطلقا.

(أ) نوعا القضية الشرطية:

١- **القضية الشرطية المتصلة**: ومثالها: إذا زاد الإنتاج تحقق الرخاء. هذه القضية مركبة لأنها تتكون من قضيتين حمليتين الأولى «زاد الإنتاج» والثانية «تحقق الرخاء» وتربط القضيتين أداة الشرط «إذا» والحكم فى القضية معلق على شرط. فالرخاء لا يتحقق إلا إذا زاد الإنتاج. وتسمى بالقضية الشرطية المتصلة لأن تحقق المعنى الذى تفيده القضية الحملية الأولى «زيادة الإنتاج» يؤدى إلى تحقق المعنى الذى تفيده القضية الحملية الثانية. فالارتباط واضح بين القضيتين.

٢- **القضية الشرطية المنفصلة**: ومثالها: إما أن يجد المرء أو يفشل فى تحقيق أهدافه.

وهـذه أيضـا قضية مركبة تتألف من قضيتين حمليتين تربطهما أداة الشرط «إمـا . . أو» لكن تحقق إحدى القضيتين «المرء يجد» لا يعنى بالضرورة عدم تحقق القضية الثانية «يفشل فى تحقيق أهدافه» ولكـن فى أغلـب الأحوال عدم تحقق القضية الثانية فى حالة تحقق الأولى هو المقصود بالقضية الشرطية المنفصلة.

(ب) القضية الحملية:

قلنا إن القضية الحملية هى القضية البسيطة التى لا يكون الحكم فيها معلقا على شرط.

وتنقسم القضية الحملية من حيث **الكيف**، أى من حيث الإيجاب والسلب إلى:

١- **قضية موجبة**، مثل: «الطلاب حاضرون». فى هذه القضية العلاقة بين الموضوع والمحمول علاقة اتصال.

٢- **قضية سالبة**، مثل: «الطلاب ليسوا حاضرين» فى هذه القضية العلاقة بين الموضوع والمحمول علاقة انفصال.

كما تنقسم القضية الحملية من حيث **الكم** أى من حيث وقوع الحكم على كل أو بعض أفراد الموضوع إلى:

١- **قضية كلية**، مثل: «كل الطلاب حاضرون». هنا شمل الحكم جميع أفراد الموضوع «الطلاب».

٢- **قضية جزئية**، مثل: «بعض الطلاب حاضرون» هنا شمل الحكم بعض أفراد الموضوع «الطلاب».

(هـ) أهمية القضية التركيبية:

١- يعبر العلماء عن نتائج أبحاثهم والقوانين التى تفسر الظواهر الطبيعية فى شكل قضايا تركيبية، والقضية التركيبية هى وحدة العلم الطبيعى.

٢- كافة القضايا التى تعبر عن وقائع التاريخ هى قضايا تركيبية لأن المحمول فيها مستمد من الوثائق التاريخية والآثار.. أى من الواقع الخارجى.

٣- كل نتائج تعامل الإنسان مع البيئة الطبيعية والاجتماعية نعبر عنها فى شكل قضايا تركيبية.

(و) الصدق والكذب فى القضية التركيبية:

لكى نتحقق من صدق القضية التركيبية علينا الرجوع إلى الواقع الخارجى، فإذا جاءت القضية مطابقة للواقع كانت القضية صادقة، فإذا قلت:نيوتن هو مكتشف قانون الجاذبية الأرضية. ولكى أصل إلى حكم بصدق أو كذب هذه القضية أرجع إلى المراجع الموثوق فيها لكى أصل فى النهاية إلى أن القضية تتطابق مع الواقع، وهى إذن قضية صادقة.

أما إذا قلت: «أرشميدس هو مكتشف قانون الجاذبية الأرضية» فإن المراجع تقودنى إلى الحكم بأن القضية لا تتطابق مع الواقع. كذلك إذا قلت أن «درجة الحرارة فى القاهرة تصل إلى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر» فإن الرجوع إلى الواقع يجعلنى أحكم بكذب القضية.

وإذن فالقضية التركيبية هى التى يمكن التحقق من صدقها أو كذبها استنادا إلى الواقع، ونلاحظ أننا استخدمنا هنا عبارة يمكن التحقق من صدقها ولم نقل التى نتحقق من صدقها، ذلك أن بعض القضايا التركيبية لا يمكن التحقق من صدقها أو كذبها فى الوقت الحاضر مثل قولنا:

درجة الحرارة على سطح كوكب الزهرة تصل إلى ٢٠٠ درجة مئوية.

ذلك أنه ليس فى إمكاننا الآن التحقق من صدق القضية لأن البشرية لم تصل بعد إلى هذا الكوكب، ولكن من الممكن التحقق من ذلك فى المستقبل.

وخلاصة القول أن مقياس الصدق فى القضية التركيبية هو التطابق مع الواقع، بينما هذا المقياس فى القضية التحليلية هو الاتساق بين الموضوع والمحمول .

(ز) التمييز بين القضايا التحليلية والتركيبية:

القضية التحليلية تحليلية فى ذاتها، وكذلك القضية التركيبية. وهذا لا يعنى أن القضية التركيبية تكون تحليلية بالنسبة للشخص الذى لا تضيف إليه معلومات جديدة. فالقضية «المعدن يتمدد بالحرارة» لا تضيف جديدا إلى كل من حظى بقدر ضئيل من التعليم، فهل يعنى هذا أنها قضية تحليلية؟ لا، بل هى تركيبية فى ذاتها لأن التحقق من صدقها أو كذبها يقتضى الرجوع إلى الواقع، كما أن القضية الرياضية التى تعبر عن معادلة معقدة لا يفهمها غير المتخصصين، إذا تمكن الشخص العادى من فهمها تكون قد أضافت جديدًا إلى معلوماته. ومع ذلك فهى قضية تحليلية، وهذا يعنى: إذا كان الخبر الذى يفيده المحمول مستمدا من تحليل الموضوع كانت القضية تحليلية، أما إذا كان الخبر الذى يفيده المحمول مستمدا من الواقع الخارجى فهى قضية تركيبية.

وإذن **فالقضايا تحليلية فى حد ذاتها، وتركيبية فى حد ذاتها**، ولا يتوقف التمييز بين النوعين على معرفة أو جهل القارئ أو السامع.

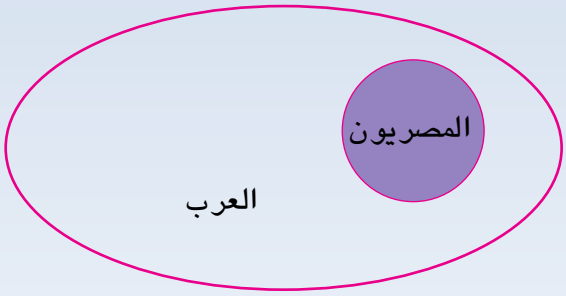

الجزء المظلل هو الذى شمل الحكم جميع أفراده

٢- كل المصريين ليسوا أوروبيين «ك. س» فى هذه القضية شمل الحكم كل أفراد الموضوع «المصريون»، ولهذا فإن الموضوع مستغرق، كما أن الحكم شمل أيضا جميع أفراد المحمول «الأوروبيون» لأن القضية استبعدت كل الأوروبيين عن جميع المصريين، ولهذا فإن المحمول أيضا مستغرق. ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتى:

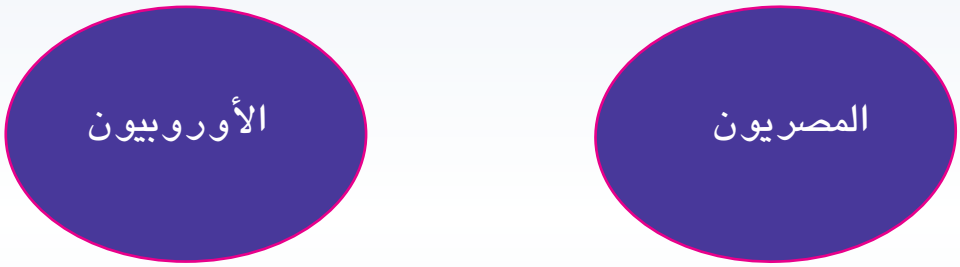

٣- بعض العرب أفارقة «ج. م».

فى هذه القضية لم يشمل الحكم جميع أفراد الموضوع «العرب»، ولهذا فإن الموضوع غير مستغرق، كما لم يشمل أيضا جميع أفراد المحمول «الأفارقة» لأنه يوجد أفارقة غير العرب لم تشر القضية إليهم، وبناء عليه فإن كلا من الموضوع والمحمول غير مستغرق ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتى:

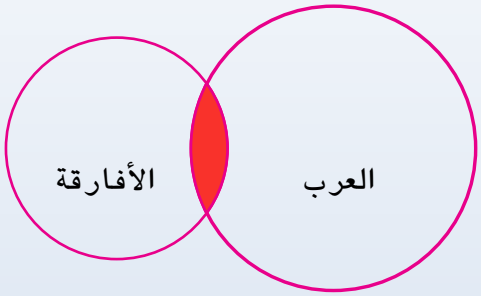

واضح من الرسم أننا لم نتكلم عن كل العرب ولا عن كل الأفارقة

٤- بعض العرب ليسوا أفارقة «ج. س».

فى هذه القضية لم يشمل الحكم كل أفراد الموضوع «العرب»، ولهذا فإن الموضوع غير مستغرق ولكن

(جـ) التقسيم الرباعى للقضية الحملية:

عندما نقسم القضية من حيث **الكم والكيف** معًا نحصل على أربعة أنواع من القضية الحملية هى:

١- **الكلية الموجبة** ورمزها:ك م مثل: كل الطلاب حاضرون..

٢- **الكلية السالبة** ورمزها .ك س مثل: كل الطلاب ليسوا حاضرين.

٣- **الجزئية الموجبة** ورمزها: ج م مثل: بعض الطلاب حاضرون..

٤- **الجزئية السالبة** ورمزها: ج س مثل: بعض الطلاب ليسوا حاضرين.

(د) سور القضية:

اللفظ أو الألفاظ التي تدل على كم وكيف القضية تسمى **بسور القضية** مثل كل. بعض، كل.. ليس، بعض.. ليس.. إلخ.

وفيما يلى أمثلة لسور كل قضية من القضايا الحملية الأربع:

١- **الكلية الموجبة (ك.م)**: كل، جميع، كافة، والألفاظ التى تؤدى نفس المعنى.

٢- **الكلية السالبة (ك.س)**: كل.. ليس، لا، لا واحد من.. والألفاظ التى تؤدى نفس المعنى.

٣- **الجزئية الموجبة (ج.م)**: بعض، معظم، جل، القليل من.. والألفاظ التى تؤدى نفس المعنى.

٤- **الجزئية السالبة (ج.س)**: بعض.. ليس، ليس بعض.. والألفاظ التى تؤدى نفس المعنى.

القضية المهملة: هى التى ليس لها سور، وتعتبر كلية أو جزئية حسب معناها. فإذا قلنا:

«الإنسان فان» هذه القضية المهملة فى حكم **الكلية** لأن كل إنسان فان.

«الإنسان فنان» هذه القضية المهملة فى حكم **الجزئية** لأن بعض الناس فقط فنانون.

القضية الشخصية: هى التى يكون موضوعها اسم علم مثل:

سقراط فيلسوف، وتعامل القضية الشخصية معاملة القضية **الكلية**.

٤- الاستغراق:

الاستغراق فى المنطق يعنى **شمول الحكم فى القضية لكل آفراد الحد المنطقى موضوعا كان أو محمولا**، ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية التى راعينا أن تشمل القضايا الحملية الأربع.

١- كل المصريين عرب «ك.م» فى هذه القضية شمل الحكم كل أفراد الموضوع «المصريون» ولهذا فإن الموضوع مستغرق. فى حين أن الحكم لم يشمل جميع أفراد المحمول «العرب» لأنه يوجد عرب غير المصريين لم تشر إليهم القضية، ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتى:

أسئلة

١- قارن بين القضايا التحليلية والتركيبية ومعيار الصدق فى كل منهما.

٢- حدد أى القضايا التالية: تحليلية وأيها تركيبية، مع إيضاح السبب:

(أ) أرسطو مؤسس علم المنطق.

(ب) المربع شكل هندسى.

(جـ) ابن سينا فيلسوف وطبيب.

(د) الأرملة هى من مات زوجها.

(هـ) نهر النيل من أطول أنهار العالم.

٣- وضح الصواب أو الخطأ فى كل من العبارات الآتية.

(أ) القضية التحليلية هى وحدة العلم الطبيعى.

(ب) التمييز بين القضية التحليلية والتركيبية يتوقف على معرفة أو جهل السامع أو القارئ.

(جـ) القضاياالحملية غير معلقة على شرط.

(د) الهرم الأكبر بناه خوفو.. هذه قضية تحليلية.

(هـ) بعض ما يتمناه المرء لا يدركه.. هذه قضية جزئية سالبة.

٤- ما المقصود بالاستغراق فى المنطق؟ وأى القضايا تستغرق موضوعها، وأيها تستغرق محمولها؟ دعم إجابتك بالأمثلة.

٥- حدد الحدود المستغرقة فى أى من القضايا الآتية مع إيضاح السبب فى كل حالة:

(أ) بعض الظن إثم.

(ب) بعض الطير لا يؤكل لحمه.

(جـ) كل فيلسوف محب للحكمة.

(د) كل مدمرة هى سفينة حربية.

(هـ) بعض الطلاب ليسوا حاضرين.

(و) لا شريف يخون وطنه.

٦- وضح الفرق بين كل من:

(أ) القضية الحملية والقضية الشرطية.

(ب) القضية المهملة والقضية الشخصية.

الحكم شمل جميع أفراد المحمول «الأفارقة» لأن القضية استبعدت كل الأفارقة عن بعض العرب..
ولهذا فإن المحمول هنا مستغرق، ويمكن توضيح ذلك بالرسم الآتى:

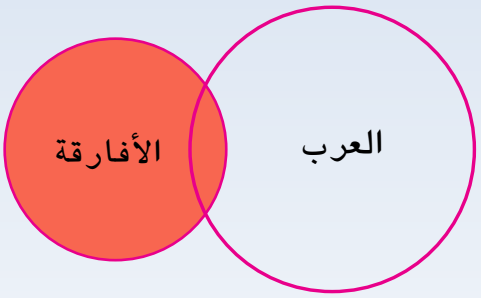

ومن الأمثلة السابقة نلاحظ:

القضايا الكلية تستغرق موضوعها «سواء كانت هذه القضايا كلية موجبة أو سالبة» **والقضايا السالبة تستغرق محمولها** «سواء كانت هذه القضايا كلية أو جزئية» ونعبر عن هذا باختصار بقولنا:

الكليات تستغرق الموضوع والسالبات تستغرق المحمول.

والجدول الآتى يلخص الاستغراق فى القضايا الحملية الأربع.

القضية	الموضوع	المحمول
ك م	مستغرق	غير مستغرق
ك س	مستغرق	مستغرق
ج م	غير مستغرق	غير مستغرق
ج س	غير مستغرق	مستغرق

الفصل الرابع

الاستدلال المباشر

الاستدلال المباشر نوع من الاستدلال ننتقل فيه من قضية واحدة إلى قضية أخرى. ومن أهم أنواعه: الاستدلال عن طريق التقابل بين القضايا.

١- القضايا المتقابلة:

هى القضايا التى تتفق فى الموضوع والمحمول، وتختلف فى الكم أو فى الكيف أو فى الكم والكيف معا..
أمثلة للقضايا المتقابلة:

- كل النوافذ مغلقة — ك.م
- لا نافذة مغلقة — ك.س
- بعض النوافذ مغلقة — ج.م
- بعض النوافذ ليست مغلقة — ج.س

هذه القضايا الأربع تتفق فى الموضوع والمحمول، وتختلف فى الكم أو الكيف أو فى الاثنين معا.

٢- الاستدلال عن طريق التقابل بين القضايا:

هو استنباط صدق أو كذب قضية «هى النتيجة فى عملية الاستدلال التى نقوم بها» من قضية أخرى تتفق معها فى الموضوع والمحمول، وتختلف معها فى الكم أو الكيف أو فى الاثنين معا.

أنواع التقابل بين القضايا:

١- التقابل بالتناقض بين وكذلك بين	ك.م، ج.س ك.س، ج.م
٢-التقابل بالتضاد بين	ك.م، ك.س
٣- التقابل بالتداخل بين وكذلك بين	ك.م، ج.م ك.س، ج.س
٤- التقابل بالدخول تحت التضاد بين	ج.م، ج.س

١٣٢ ابيض

حكم التضاد بين القضايا:

لا يصدقان معا، ولكن قد يكذبان معا، أى إذا صدقت إحداهما كذبت الأخرى، أما إذا كذبت إحداهما فالأخرى إما أن تكون صادقة أو كاذبة، أى غير معروفة الحكم، وذلك لإمكان وجود حالة وسط بينهما وسيتبين هذا من الأمثلة الآتية:

إذا صدقت القضية «كل التلاميذ حاضرون».
كانت القضية «كل التلاميذ ليسوا حاضرين» كاذبة.
أما إذا كذبت القضية «كل التلاميذ حاضرون».

فلا يمكن الحكم بصدق أو بكذب القضية «كل التلاميذ ليسوا حاضرين» لأنه يمكن أن يكون بعض التلاميذ فقط حاضرين، ذلك لأن بين ك.م، ك.س حالات وسط، والحالة الوسط فى المثال الذى نحن بصدده هو وجود البعض فقط.

ثالثا: التقابل بالتداخل:

يكون هذا النوع من التقابل بين القضيتين اللتين تتفقان فى الكيف وتختلفان فى الكم. أى بين ك.م، ج.م وكذلك بين ك.س، ج.س.

حكم التداخل:

إذا صدقت الكلية صدقت بالضرورة الجزئية المتداخلة معها، وليس العكس إذا صدقت الجزئية فلا نعرف حكم الكلية.

وإذا كذبت الجزئية كذبت بالضرورة الكلية المتداخلة معها. أما إذا كذبت الكلية فلا نعرف حكم الجزئية. ومثال ذلك: «كل تلاميذ الفصل متفوقون فى اللغة العربية» صادقة. من هذه القضية نصل إلى صدق القضية «بعض تلاميذ الفصل متفوقون فى اللغة العربية» أما إذا بدأت بالقضية «بعض تلاميذ الفصل يدرسون الألمانية» بوصفها صادقة فإن الكلية المتداخلة معها تكون غير معروفة – أى مجهولة الحكم – لأنه يمكن أن يكون حكم البعض الآخر مثل حكم البعض الذى أشرت إليه فى القضية، ويمكن أن يكون البعض الآخر يدرس اللغة الفرنسية أو الإيطالية.

كذلك إذا بدأت بالقضية «بعض طالبات المدرسة رياضيات» بوصفها قضية كاذبة تكون القضية «كل طالبات المدرسة رياضيات» كاذبة بالضرورة. أما إذا قلت «كل طالبات المدرسة يدرسن الفلسفة والمنطق» بوصفها قضية كاذبة تكون القضية «بعض طالبات المدرسة يدرسن الفلسفة والمنطق» مجهولة لأنه يمكن أن تكون المدرسة ثانوية وبها قسم أدبى يدرس هاتين المادتين، ويمكن أن تكون المدرسة إعدادية أو فنية ولا تدرس فيها المادتان.

والشكل الآتى يلخص هذه الأنواع، ويسمى بمربع التقابل أو مربع أرسطو:

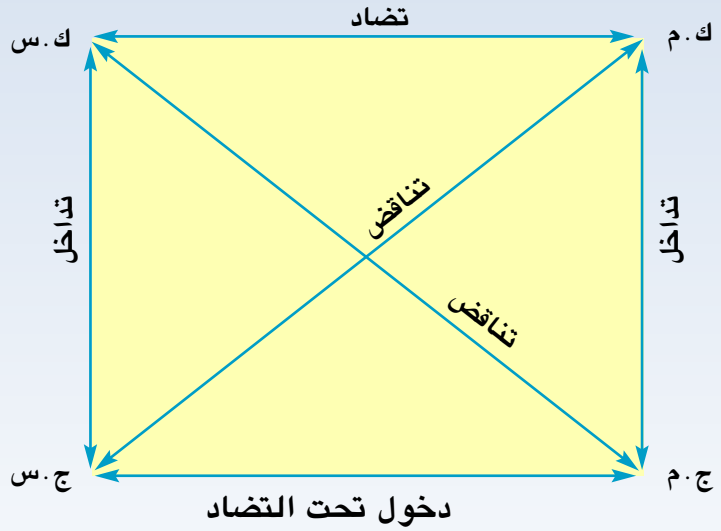

أولا: التقابل بالتناقض:

يكون هذا النوع من التقابل بين القضيتين اللتين تختلفان فى الكم والكيف، مع اتفاقهما فى الموضوع والمحمول. وهذا يعنى أن التقابل بالتناقض يكون بين ك م، ج س. وبين ك.س، ج م.

حكم التناقض بين القضايا:

القضيتان المتقابلتان بالتناقض لا تصدقان معا، ولا تكذبان معا. وهذا يعنى:

إذا صدقت ك م كذبت ج س والعكس صحيح.

وإذا كذبت ك م صدقت ج س والعكس صحيح.

وإذا صدقت ك.س كذبت ج.م والعكس صحيح.

وإذا كذبت ك س صدقت ج م والعكس صحيح.

فإذا سلمنا بصدق القضية «كل نوافذ الحجرة مغلقة» ثم أتى شخص وزعم أن «بعض نوافذ الحجرة ليست مغلقة» فإننا نحكم بكذبه.

وإذا شهد شاهد أمام المحكمة وقال: «كل المتهمين لم يتواجدوا بمسرح الجريمة» ثم أضاف: «بعض المتهمين تواجدوا بمسرح الجريمة» فإن القاضى يتبين كذبه لأن صدق الأولى يترتب عليها كذب الثانية.

ولا يسمح التناقض بوجود حالة وسط أو احتمال صدق أو كذب كليهما معا.

ثانيا: التقابل بالتضاد:

يكون هذا النوع من التقابل بين القضيتين الكليتين اللتين تتفقان فى الكم وتختلفان فى الكيف أى بين ك م، ك س.

أسئلة

١- وضح المقصود بالتقابل بين القضايا. ولماذا يعد الاستدلال عن طريق التقابل بين القضايا استدلالا مباشرا؟

٢- إذا كانت القضية «كل الطلاب ناجحون» صادقة. فما حكم القضايا التى تقابلها؟

٣- إذا سلمت بكذب القضية «بعض المدخنين يتمتعون بصحة جيدة» فما حكم كل من :ك.م، ك.س، ج.س التى تقابلها؟

٤- علل لما يأتى:

(أ) إمكان كذب القضيتين المتقابلتين بالتضاد معا.

(ب) صدق ك.م يعنى بالضرورة صدق ج.م التى تشترك معها فى الموضوع والمحمول.

(جـ) كذب ج.س يعنى بالضرورة كذب ك.س التى تشترك معها فى الموضوع والمحمول.

(د) عندما صدقت ك.م كذبت ج.س التى تشترك معها فى الموضوع والمحمول.

٥- وضح الصواب أو الخطأ فى كل من العبارات الآتية :

(أ) الاستدلال والاستنباط لفظان مترادفان.

(ب) الاستنباط يركز على صورة التفكير.

(جـ) القضايا المتقابلة هى القضايا التي تتفق فى الموضوع والمحمول.

(د) القضايا المتضادة هى التى تشترك فى الموضوع والمحمول والكم.

(هـ) القضايا المتناقضة هى التى تتفق كما وكيفا وتختلف فى الموضوع والمحمول.

٦- إذا سلمت بصدق ك.م فما القضية التى تقابلها، ويكون حكمها صادقا؟

٧- أكمل بوضع كلمة مناسبة فى كل فراغ فى العبارات الآتية:

(أ) عندما تتفق القضيتان فى..... ، ..... وتختلفان فى الكم والكيف تكون العلاقة بينهما علاقة.....

(ب) إذا صدقت ك.م تكذب كل من..... ، ..... المتفقتان معها فى الموضوع والمحمول.

(جـ) إذا كذبت ج.س صدقت كل من..... ، ..... المتفقتان معها فى الموضوع والمحمول.

(د) إذا كذبت ك.س فإن هذا يعنى عدم معرفة حكم كل من..... ، ..... المتفقتين معها فى الموضوع والمحمول.

رابعا: الدخول تحت التضاد:

يكون هذا النوع من التقابل بين القضيتين الجزئيتين المختلفتين فى الكيف أى بين ج.م، ج.س.

حكم الدخول تحت التضاد:

القضيتان الداخلتان تحت التضاد لا تكذبان معا، وقد تصدقان معا، أى إذا كذبت إحداهما صدقت الأخرى، أما إذا صدقت إحداهما فتكون الأخرى مجهولة الحكم.

فإذا قلت: «بعض مصابيح الحجرة مضاءة» بوصفها كاذبة فإن القضية «بعض مصابيح الحجرة ليست مضاءة» تكون صادقة، ولكن إذا بدأت بالقضية «بعض مصابيح الحجرة مضاءة» بوصفها صادقة لا يمكننى أن أصل إلى أن القضية «بعض مصابيح الحجرة ليست مضاءة» صادقة أو كاذبة.

مثال تطبيقى على مربع التقابل:

على فرض صدق القضية «كل مصادر المعرفة مفيدة» فما حكم القضايا التى تقابلها على مربع التقابل؟

(القضية الأصلية)

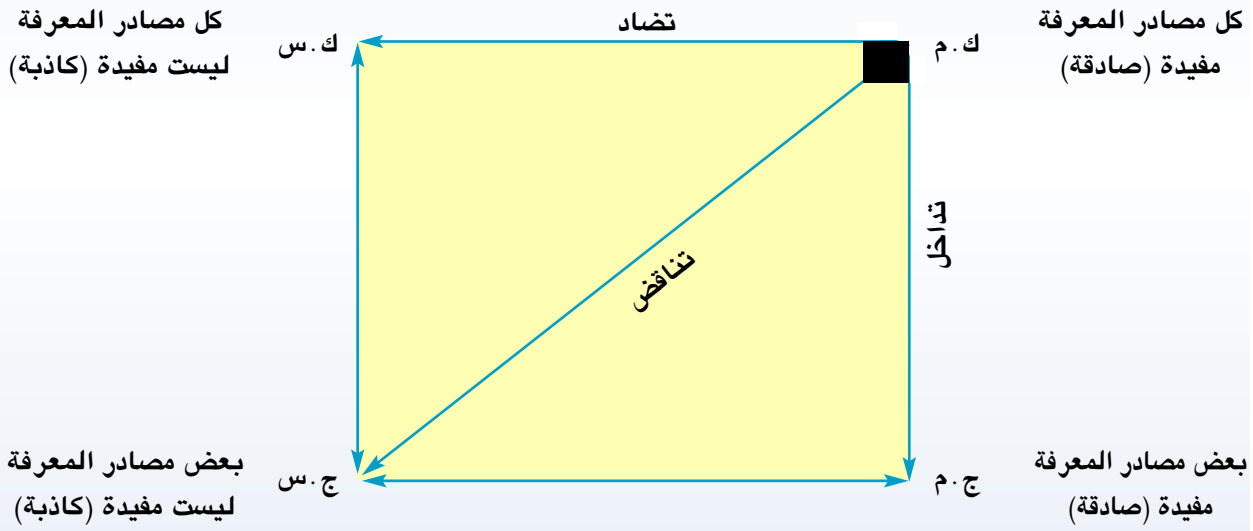

الفصل الخامس

القياس أو الاستدلال القياسى

١- تعريف القياس:

القياس استدلال غير مباشر لأنه يعتمد على أكثر من مقدمة للوصول إلى النتيجة. . ومن أفضل التعريفات التى قيلت هو أن القياس «**قول مؤلف من مقدمتين إذا سلمت بهما لزم عنهما نتيجة**».

مثال: كل الحاضرين مجتهدون

كل الطلاب حاضرون.

كل الطلاب مجتهدون.

والمقدمة الأولى فى القياس الذى نحن بصدده قضية عامة تعبر عن قاعدة عامة هى أن كل الحاضرين مجتهدون. وأما القضية الثانية فرغم أنها كلية إلا أنها تمثل حالة خاصة إذا قارنتها بالقضية الأولى. فالأولى تتحدث عن كل الحاضرين، بينما الثانية تتحدث عن جزء من الحاضرين هم طلاب. والعلاقة بينهما، وفى القياس نقوم بتطبيق القضية العامة أو القاعدة العامة على الحالة الخاصة لنحصل على نتيجة.

٢- شروط أو قواعد القياس:

للقياس ستة شروط نقسمها إلى ثلاث مجموعات كل منها تتألف من شرطين:

أولا: شرطا التركيب (قضايا القياس وحدوده):

١- **يتألف القياس من ثلاث قضايا**: مقدمتين ونتيجة. وتعبر إحدى المقدمتين عن قاعدة عامة تسمى بالمقدمة الكبرى، بينما تعبر الأخرى عن حالة خاصة تسمى بالمقدمة الصغرى. وبتطبيق القاعدة العامة على الحالة الخاصة نحصل على نتيجة تعبر عن حالة خاصة ويتضح ذلك من المثال التقليدى:

كل إنسان فان	قاعدة عامة – مقدمة كبرى
سقراط إنسان	حالة خاصة – مقدمة صغرى
∴ سقراط فان	نتيجة تعبر عن حالة خاصة

والقياس يكون صحيحا سواء بدأنا بالمقدمة الكبرى أو الصغرى، فيمكن أن نبدأ بقولنا «سقراط إنسان» و«كل إنسان فان» ولكن يحسن أن نبدأ بالمقدمة الكبرى لأنها تعبر عن قاعدة عامة.

٢- **يتألف القياس من ثلاثة حدود**:إحداها يكون مشتركا بين المقدمة الكبرى والمقدمة الصغرى، ولا

١٣٨ ابيض

معنى ذلك أن العلاقة بين الحد الأكبر والحد الأوسط علاقة انفصال، ولما كان الحد الأوسط هو الذى يقوم بالربط بين الحدين الأكبر والأصغر، فإن العلاقة بين الحدين الأصغر والأكبر فى النتيجة تكون علاقة انفصال، ولذلك فإن النتيجة تكون سالبة دائما.

ومثال ذلك:

كل أوروبى ليس بأفريقى
كل الفرنسيين أوروبيون

كل الفرنسيين ليسوا أفريقيين

فى هذا القياس الحد الأوسط «أوروبى» منفصل عن الحد الأكبر «أفريقى» ومن ثم فإن وظيفته فى الربط بين «ك»، «ص» قام بها فى شكل الإفادة بأن «ص» منفصل عن «ك» فى النتيجة، ولذلك كانت النتيجة سالبة.

ثالثا: شرطا الاستغراق:

٥- يجب أن يكون الحد الأوسط مستغرقا فى إحدى المقدمتين على الأقل: ذلك لأنه إذا لم يكن مستغرقا فى أى من المقدمتين فليس هناك ضمان بأن يقوم «و» بدور الربط بين «ص» و«ك». إذ أن استغراق «و» يضمن أن يقع جميع ماصدقات «ص» ضمن «و» ومثال ذلك:

بعض طلاب المدرسة ناجحون
أحمد طالب بالمدرسة

أحمد ناجح

فى هذا القياس ليس ثمة ضمان بأن أحمد «ص» من الناجحين «ك» لكن لو قلت كل طلاب المدرسة ناجحون، أكون متأكدا أن أحمد من الناجحين لأننى استغرقت «و» وهو «طلاب المدرسة».

٦- يجب عدم استغراق أى حد فى النتيجة إلا إذا كان هذا الحد قد استغرق فى المقدمة التى ورد بها.

ذلك لأننى إذا استغرقت حدا فى النتيجة فإن هذا يعنى أننى أشرت إلى جميع ماصدقاته، فإذا كان هذا الحد غير مستغرق أصلا فى المقدمة التي ورد بها، فإن هذا يعنى أن المقدمة أشارت إلى بعض ماصدقاته فقط، فكيف أحكم على جميع أفراد الحد المنطقى فى النتيجة «ص» أو «ك» فى حين أننى لم أحكم إلا على بعض أفراد هذا الحد فقط فى المقدمتين؟

فى هذه الحالة النتيجة لم تلزم عن المقدمتين مع أنه فى أى استدلال يجب أن تلزم النتيجة عن المقدمات «**راجع الأمثلة السابقة واللاحقة**».

يظهر فى النتيجة ويسمى بالحد الأوسط، ونرمز له بالحرف «و» وهو «إنسان» فى المثال السابق، ووظيفة هذا الحد الربط بين الحدين الآخرين «فان»، «سقراط» فى نفس المثال، وأحد هذين الحدين يسمى بالحد الأكبر، ويرمز له بالحرف «ك» وهو «فان» فى المثال السابق، ويكون دائما محمول النتيجة. ويظهر فى المقدمة الكبرى. بينما يسمى الحد الآخر بالحد الأصغر، ويرمز له بالحرف «ص»، وهو «سقراط» فى المثال الذى نحن بصدده، ويكون دائما موضوع النتيجة، ويظهر فى المقدمة الصغرى.

ويتعين أن يستخدم الحد الأوسط فى القياس بمعنى واحد، ذلك أن بعض الألفاظ لها أكثر من معنى مثل «جبن» فهذا اللفظ يستخدم بمعنى الجبن الذى نأكله، ويستخدم أيضا بمعنى الخوف الشديد، فإذا استخدمنا هذا اللفظ فى قياس بهذين المعنيين المختلفين يكون لدينا فى الواقع أربعة حدود، بينما يشترط أن يتألف القياس من ثلاثة حدود فقط. ومثال ذلك:

الجبن لذيذ الطعم
الهروب جبن
الهروب لذيذ الطعم

هذا القول يتألف من أربعة حدود، ولذلك فهو ليس قياسا. (علل)

ثانيا: شرطا الكيف:

٣- يجب أن تكون إحدى المقدمتين على الأقل موجبة، ويختصر هذا الشرط عادة بالقول بأنه «**لا إنتاج من سالبتين**» ذلك لأن فى المقدمتين السالبتين تكون الحدود الثلاثة منفصلة بعضها عن بعض، ونعبر عن هذا القياس فى شكل ثلاث دوائر منفصلة، ويتضح من الرسم أن الحد الأوسط لا يقوم بدوره وهو الربط بين الحدين الأكبر والأصغر.

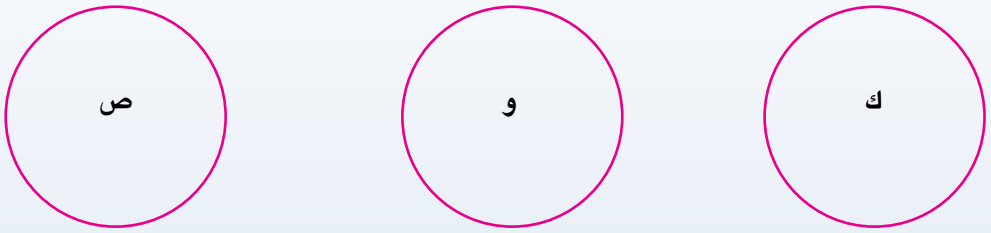

ومثاله:

لا أوروبى آسيوى
لا أفريقى أوروبى
لاإنتاج

فى هذا القياس الحدود الثلاثة منفصلة عن بعضها فلا يستطيع الحد الأوسط «أوروبى» أن يربط بين آسيوى «ك» وأفريقى «ص».

٤- إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة كانت النتيجة سالبة: فإذا كانت المقدمة الكبرى سالبة كان

كل وطنى يحترم قوانين الدولة
بعض سكان البلدة وطنيون
∴ كل سكان البلدة يحترمون قوانين الدولة

هنا استغرقنا «ص» في النتيجة، بينما نفس الحد غير مستغرق فى الصغرى، ولذلك فالقياس خاطئ.

ثالثا: لا إنتاج من كبرى جزئية وصغرى سالبة:

فى القياس الذى تكون فيه الكبرى جزئية والصغرى سالبة، يتعين أن تكون الكبرى جزئية موجبة لأن الصغرى سالبة، . ولا إنتاج من سالبتين، كما يتعين أن تكون الصغرى كلية سالبة لأنه لا إنتاج من جزئيتين كما سبق أن رأينا. وهكذا سيتكون القياس من جزئية موجبة «كبرى» وكلية سالبة «صغرى» ونتيجة سالبة «لأن إحدى المقدمتين سالبة» هذه النتيجة السالبة ستستغرق محمولها «ك» مع أنه غير مستغرق فى المقدمة الكبرى لأنه محمول فى موجبة، وهكذا نكون قد استغرقنا حدا فى النتيجة غير مستغرق فى المقدمة التى ورد بها، وفى هذا إخلال بأحد شروط القياس الستة ومثال ذلك:

بعض الحاضرين يتكلمون الألمانية
لاواحد من الطلاب حاضر
∴ بعض الطلاب لا يتكلمون الألمانية.

هنا استغرقنا محمول النتيجة «ك» فى حين أن نفس الحد غير مستغرق فى المقدمة الكبرى، وفى هذا إخلال بأحد شروط القياس الستة.

٣- مبدأ القياس:

يستند القياس إلى مبدأ يمكن أن نعبر عنه بما يلى:

«**كل ما يحمل إيجابا أو سلبا على حد مستغرق يمكن أن يحمل بالطريقة نفسها، أى بالإيجاب أو السلب، على أى حد يندرج تحت هذا الحد المستغرق**».

فإذا قلنا: «كل الفاكهة لذيذة الطعم» فإننا نكون قد حملنا صفة «لذيذة الطعم» على الفاكهة، والفاكهة هنا حد مستغرق، وبالتالى فإن هذه الصفة «لذيذة الطعم» يمكن أن تحمل بالطريقة نفسها «إيجابا أو سلبا، وفى حالتنا هذه الحمل بالإيجاب» على أى حد يندرج تحت الفاكهة، وهى الحد المستغرق، ومن ذلك التفاح والكمثرى والعنب.. إلخ.

وإذا أردنا التبسيط نقول أن ما نحكم به على الكل نحكم به على الجزء الذى يندرج تحت هذا الكل إيجابا أو سلبا، وهذا ما يعرف باسم **علاقة التضمن** وتوضح بالشكل الآتى:

نتائج مترتبة على قواعد القياس

النتائج الثلاث الآتية تترتب على شروط أو قواعد القياس، ويمكن أن نعدها شروطا للقياس لأن مخالفتها تجعل القياس غير صحيح، ولكن لم نلحقها بالشروط الأساسية للقياس لأنها مشتقة من الشروط الستة للقياس، ويمكن البرهنة على هذه النتائج بردها إلى هذه الشروط الستة.

أولا: لا إنتاج من مقدمتين جزئيتين:

هناك ثلاثة احتمالات للمقدمتين الجزئيتين:

١- جزئيتان موجبتان وهنا تكون جميع حدود القياس غير مستغرقة لأن ج.م لا تستغرق أى حد من حديها، إذن فالحد الأوسط لا يكون مستغرقا، ولا يقوم بدور الربط بين الحدين الأكبر والأصغر.

٢- جزئيتان سالبتان ولا إنتاج منهما لأنهما سالبتان.

٣- وإما أن تكون إحداهما جزئية موجبة والأخرى جزئية سالبة، ففى هذه الحالة ستكون النتيجة جزئية سالبة حتى لا نخالف الشرط القائل بأنه إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة كانت النتيجة سالبة.

ونستخلص مما سبق أنه:

إذا أتت النتيجة ج.س سيكون عدد الحدود المستغرقة فى النتيجة مساويا لعدد الحدود المستغرقة فى المقدمتين معا. وهذا خطأ لأن عدد الحدود المستغرقة فى المقدمتين معا لابد أن يزيد على الحدود المستغرقة فى النتيجة. فإذا استغرقنا حدا واحدا فى النتيجة، فإن هذا الحد لابد أن يكون مستغرقا من قبل فى المقدمة التى ورد بها بالإضافة إلى الحد الأوسط.

راجع الأمثلة الصحيحة التى أوردناها من قبل للتحقق من هذا، ولكننا سنعطى هنا مثالين لقياسين يتكونان من جزئيتين إحداهما سالبة والأخرى موجبة لنبين أن عدد الحدود المستغرقة فى النتيجة يكون مساويا لعدد الحدود المستغرقة فى المقدمتين، وهذا خطأ كما أوضحنا:

بعض الحاضرين ليسوا ناجحين «كبرى»
بعض الطلاب حاضرون «صغرى»
بعض الطلاب ليسوا ناجحين

بعض الحاضرين ناجحون «كبرى»
بعض الطلاب ليسوا حاضرين «صغرى»
بعض الطلاب ليسوا ناجحين

وهنا نلاحظ أن عدم زيادة الحدود المستغرقة فى المقدمتين عن النتيجة يؤدى إلى أحد أمرين خاطئين:

(أ) يكون الحد الأوسط غير مستغرق فى أى من المقدمتين كما هو الحال فى المثال الأول.

(ب) يظهر فى النتيجة حد مستغرق لم يكن مستغرقا فى المقدمة التى ورد بها، كما هو الحال فى المثال الثانى: ناجحون «ك».

ثانيا: إذا كانت إحدى المقدمتين جزئية كانت النتيجة جزئية.

لأنه إذاكانت النتيجة كلية فإنها ستستغرق حدا لم يكن مستغرقا فى المقدمة التي ورد بها، ومثال ذلك

الضرب الثالث:

ك . م كل الحاضرين ناجحون
ج . م بعض الطلاب حاضرون
ج . م بعض الطلاب ناجحون

الضرب الرابع:

ك . س كل الحاضرين ليسوا ناجحين
ج . م بعض الطلاب حاضرون
ج . س بعض الطلاب ليسوا ناجحين

وهناك أضرب أخرى للشكل الأول غير منتجة، منها القياس الذي يتكون من سالبتين والقياس الذي يتكون من جزئيتين وهذه أضرب لا تلزم عنها نتائج صحيحة.

ويتعين ملاحظة ما يلى فى الأضرب المنتجة:

١ ـ إن المقدمة الكبرى فى جميع هذه الأضرب كلية (وهى المقدمة الأولى).

٢ ـ إن المقدمة الصغرى فى جميع هذه الأضرب موجبة (وهى المقدمة الثانية)

والواقع أن هذين شرطان للشكل الأول وسنعرض لهما الآن بالتفصيل.

شرطا الشكل الأول:

١ ـ يجب أن تكون المقدمة الصغرى موجبة: ونعبر عن هذا باختصار بقولنا: **إيجاب الصغرى** وللبرهنة علي ذلك نفترض أن المقدمة الصغري في الشكل الأول سالبة إذن يجب أن تكون الكبرى موجبة (لا إنتاج من سالبتين) وبالطبع فإن النتيجة ستكون سالبة (لأن إحدى المقدمتين سالبة) وهذه النتيجة ستستغرق محمولها وهو (ك) في حين أن نفس هذا الحد (ك) غير مستغرق فى المقدمة الكبرى الموجبة لأنه محمولها وفي هذا إخلال بشرط الاستغراق ومثال ذلك:

كل الشعراء خياليون	موجبة
بعض الأدباء ليسوا شعراء	سالبة (فرضا)
بعض الأدباء ليسوا خياليين	سالبة

النتيجة السالبة استغرقت (خياليين) لأن هذا الحد محمول في سالبة في حين أن نفس الحد غير مستغرق فى المقدمة الكبرى لأنه محمول في موجبة.

٢ ـ يجب أن تكون المقدمة الكبرى كلية، ونعبر عن هذا باختصار بقولنا: **كلية الكبرى**. وللبرهنة على ذلك نفترض أن المقدمة الكبرى فى الشكل الأول جزئية وهنا لن يكون الحد الأوسط في هذه الحالة مستغرقا فى أى من المقدمتين وفى هذا إخلال بأحد شروط القياس.. ومثال ذلك:

أشكال القياس:

للقياس أربعة أشكال وموضع الحد الأوسط هو الذي يحدد شكل القياس كما يتبين مما يلى:

الشكل الأول	الشكل الثانى	الشكل الثالث	الشكل الرابع
و ك	ك و	و ك	ك و
ص و	ص و	و ص	و ص
ص ك	ص ك	ص ك	ص ك

نلاحظ أن الحد الأوسط فى الشكل الأول موضوع في الكبرى محمول فى الصغرى.. ويتغير موقع الحد الأوسط فى بقية الأشكال.. **ويهمنا فقط الشكل الأول وهو الذي سندرسه بالتفصيل لأنه أهم الأشكال وأكملها** كما سيتبين فيما بعد.

ضروب الشكل الأول المنتجة:

عرفنا أن أشكال القياس تختلف باختلاف موضع الحد الأوسط في كل من المقدمتين. ولكن قضايا القياس تختلف كما وكيفا. والكم والكيف يحددان ضروب كل شكل. والضروب الصحيحة أو المنتجة للشكل الأول أربعة هى:

الضرب الأول:

ك. م كل الحاضرين ناجحون
ك. م كل الطلاب حاضرون
ك. م كل الطلاب ناجحون

الضرب الثانى:

ك. س كل الحاضرين ليسوا ناجحين
ك. م كل الطلاب حاضرون
ك. س كل الطلاب ليسوا ناجحين

كل من يحترم القوانين مواطن صالح

فلان يحترم القوانين

فلان مواطن صالح

(ب) يطبق القياس فى الفقه الإسلامى بتطبيق القواعد المستمدة من النصوص الدينية على الحالات الخاصة للحصول على النتائج.

(جـ) وكل حالة تعرض على القضاء يكون القانون بمثابة المقدمة الكبرى. والحالة بمثابة المقدمة الصغرى، والحكم هو النتيجة كما يتضح من المثال التالى:

كل من يسرق يسجن

فلان سرق

فلان يسجن

ثانيًا : موقف الفلاسفة المسلمين من الاستدلال القياسى:

كان للمنطق الأرسطى والقياس وهو أهم موضوعات هذا المنطق مكانته حتى نهاية العصور الوسطى، ونجد من بين المفكرين العرب من أخذ بالمنطق الصورى وتحمس للقياس ومنهم الفيلسوف الإسلامى ابن رشد، ومنهم من وجه النقد إلى القياس، ونعرض الآن لموقف ابن رشد من القياس ثم نعرض بعد ذلك لآراء من وجهوا النقد إلى نظرية الاستدلال القياسى.

١ ـ ابن رشد:

تأثر ابن رشد وهو أكبر فلاسفة المسلمين بأرسطو وعمل على التوفيق بين الحكمة والشريعة أى بين الفلسفة والدين. وإن كان قد رفض بعض أفكار أرسطو التى لا تتفق والدين الإسلامى وبسبب تأثر ابن رشد بأرسطو فقد تحمس للقياس وقد رأى أن الاستدلال القياسي هو أكمل وسيلة من وسائل المعرفة العقلية، وأن الشرع يحث على النظر العقلى ولا يصلح النظر العقلى بدون القياس الذي يؤدى إلي معرفة يقينية.

٢ ـ ابن تيمية:

وقف ابن تيمية وهو من أكبر مفكرى الإسلام موقفا مختلفا عن موقف ابن رشد تجاه القياس الأرسطى، فقد رأى ابن تيمية أن القياس الصورى لا يصلح للبحث فى الظواهر الطبيعية، وأن الحقيقة لا نصل إليها إلا بالرجوع إلى الواقع وإن القضايا التى تعبر عن المعطيات الحسية والتى نصل إليها من دراستنا للواقع هى القضايا التى تعبر عن حقيقة الظواهر الطبيعية، ويعتبر ابن تيمية بذلك من أوائل الذين رفضوا المنطق الصورى ودعوا إلى الاستقراء الذى نبدأ فيه بدراسة الواقع من خلال الملاحظة والتجربة. ونعبر عن ملاحظاتنا بقضايا جزئية ننتقل منها إلى قضايا عامة أو قوانين.

بعض طلاب المدرسة ناجحون
أحمد طالب بالمدرسة
أحمد ناجح

فى هذا القياس الحد الأوسط (طلاب المدرسة) غير مستغرق فى المقدمة الكبرى. لأنه موضوع فى جزئية وغير مستغرق أيضا فى الصغرى التى سبق أن عرفنا أنها يجب أن تكون موجبة وبالتالى لن تستغرق محمولها وهو الحد الأوسط.

لماذا يعتبر الشكل الأول أهم وأكمل أشكال القياس؟

١ ـ الشكل الأول تطبيق واضح لمبدأ القياس ذلك لأن ترتيب الحدين ص، ك فى النتيجة هو نفسه ترتيبهما فى المقدمتين: (ص) موضوع في النتيجة وهو موضوع أيضا في الصغرى، وكذلك (ك) محمول في النتيجة وهو محمول أيضا فى الكبرى. وهذا يجعل مبدأ القياس واضحا «ما يحمل على حد مستغرق (وهو الحد الأوسط) يحمل بالطريقة نفسها إيجابا أو سلبا على أى حد يندرج تحت هذا الحد المستغرق. ومثال ذلك:

كل معدن يتمدد بالحرارة
كل الحديد معدن
كل الحديد يتمدد بالحرارة

حملنا علي المعدن بأنه يتمدد بالحرارة. ولذلك أمكن أن نحمل علي الحديد نفس الصفة لأن الحديد يندرج تحت المعدن.

٢ ـ المقدمة الكبرى فى الشكل الأول تكون دائما كلية وتمثل حكما عاما أو قاعدة عامة. بينما المقدمة الصغري تمثل حالة خاصة، وبتطبيق الحكم العام علي الحالة الخاصة نحصل على النتيجة وتمثل دائما حالة خاصة حتى لو كانت كلية، وذلك بمقارنتها بالمقدمة الكبرى.

٣ ـ الضروب الأربعة للشكل الأول تنتج على التوالى القضايا الحملية الأربع:

ك. م، ك. س، ج. م، ج. س (راجع ضروب الشكل الأول)

٤ ـ قيمة القياس:

أولاً: القياس فى حقيقته ـ كما يتضح فى الشكل الأول وهو أكمل أشكال القياس، تطبيق لقاعدة عامة، أو حكم عام علي حالة فردية أو خاصة. وهذا التطبيق له عدة صور في مختلف مجالات الحياة ومن هذه الصور:

(أ) فى الحياة اليومية كلنا يستخدم القياس بشكل مضمر فيما يعرف باسم القياس المقتضب والمضمر. مثل قولنا «فلان مواطن صالح لأنه يحترم القوانين» فهذا القول هو فى الحقيقة اختصار لقياس يمكن صياغته على الوجه التالى:

أسئلة

١- اشرح بمثال مبدأ القياس.

٢- علل لما يأتى:

(أ) لا إنتاج من سالبتين.

(ب) إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة كانت النتيجة سالبة.

(جـ) يجب استغراق الحد الأوسط فى إحدى المقدمتين على الأقل.

(د) يجب عدم استغراق حد فى النتيجة ما لم يكن مستغرقا فى المقدمة التى ورد بها.

٣- بعض الزهور نادرة:

اجعل هذه القضية مقدمة صغرى فى قياس صحيح من الشكل الأول ثم اثبت صحته.

٤- كل الفاكهة لذيذة الطعم:

اجعل هذه القضية مقدمة كبرى فى قياس صحيح من الشكل الأول ثم عين حدوده ومقدمتيه.

٥- كون قياسا صحيحا من الشكل الأول يستغرق أكبر عدد من حدوده.

٦- كون قياسا صحيحا من الشكل الأول يستغرق أقل عدد من حدوده.

٧- وضح الصواب أوالخطأ فى كل من العبارات الآتية :

(أ) إذا كانت إحدى المقدمتين جزئية تكون النتيجة جزئية.

(ب) المقدمة الصغرى فى الشكل الأول من القياس سالبة.

(جـ) المقدمة الكبرى فى الشكل الأول من القياس كلية.

(د) القياس الذى يتكون من مقدمتين جزئيتين منتج.

٨- وضح الخطأ بالتفصيل فى كل من الأقيسة الآتية:

(أ) بعض الحاضرين مجدون
بعض التلاميذ حاضرون
بعض التلاميذ مجدون

(ب) كل الحاضرين مجدون
بعض التلاميذ حاضرون
كل التلاميذ مجدون

٣ ـ الحسن بن الهيثم:

كان الحسن بن الهيثم من أوائل من استخدم المنهج التجريبي فى علم البصريات وقد دعا في منهجه الجديد إلى استقراء الموجودات والتعرف على خواص الحالات الجزئية للظاهرة التى يدرسها ويمضى قدما في خطوات المنهج التجريبي فيصل إلى مرحلة الفروض. ثم التحقق من صحة هذه الفروض بواسطة «الاعتبار» وهو الاسم الذي أطلقه على التجربة حتى يتوصل إلى الحقيقة أو القانون.

وعندما يأخذ الحسن بن الهيثم بالمنهج التجريبى وكان منهجا جديدا فى عالم المعرفة والعلم. فإنه يرفض المنطق الأرسطى والقياس الصورى الذي كانت له مكانة كبرى فى ذلك الوقت عند المسلمين والأوروبيين معا.

وخلاصة القول: إن من المفكرين العرب من أخذ بالمنطق الصورى (ابن رشد) ومنهم من رفضه وأشار إلى أهمية التعامل مع الواقع ومع المعطيات الحسية (ابن تيمية) ومنهم من استخدم المنهج التجريبى بالفعل (الحسن بن الهيثم).

وسنعرض لموقف الفلاسفة المحدثين من القياس الأرسطى فى الفصل التالى بوصفه تمهيدا للاستدلال الرياضى ثم الاستدلال التجريبى أو الاستقراء بعد ذلك.

الفصل السادس

الاستدلال الرياضى

١- أهم عيوب المنطق الأرسطى:

١- إنه منطق عقيم مجدب لا يؤدى إلى زيادة المعرفة، ولا يقود إلى تقدم العلم لأن تقدم العلم مرهون باكتساب المعارف الجديدة، وتحصيل المعلومات التى لم تكن معروفة من قبل، فالقياس وهو جوهر المنطق القديم يبدأ من مقدمات مسلم بها ليصل إلى نتيجة ليس فيها من جديد أكثر مما كان موجودا فى المقدمات «فى المقدمتين» وبالتالى يكون المنطق القديم عقيما فى إنتاجه مجدبا، ويكون عقبة فى تقدم العلم والمعرفة.

٢- إن القياس الأرسطى - لب النظرية المنطقية القديم - ينطوى على دور فى التفكير أى أنه يدور بالتفكير فى دائرة لا يخرج عنها، فإذا قلت:

كل إنسان فان

سقراط إنسان

∴ سقراط فان

فإنك لكى تسلم بأن «كل إنسان فان» لابد أن تسلم فى البداية بأن سقراط «وهو أحد أفراد الناس» فان، فالنتيجة تؤدى بك إلى المقدمات، والمقدمات تؤدى بك إلى النتيجة، ويدور التفكير فى دائرة لا مخرج له منها، لذلك قيل أن المنطق القديم دائرى.

٣- ينطوى القياس على مصادرة على المطلوب، أى أن ما تريد أن تبرهن عليه تجعله مصادرة لا يبرهن عليها، ففى مثالنا السابق فإن المراد البرهنة عليه هو «سقراط فان» فلكى يبرهن على ذلك جعلنا القضية «كل إنسان فان» قضية مسلما بها أى مصادرة لا يبرهن عليها، وهذه المصادرة تنطوى على النتيجة المراد البرهنة عليها، لأن تسليمنا بها وحدها ينطوى على التسليم بالنتيجة، وكأننى جعلت من النتيجة هنا مصادرة لا يبرهن عليها، لأنها جزء من القضية التى صادرت بها من قبل.

٤- أصبح واضحا للمفكرين أن المنطق القديم لم يعد - بعد التطورات العلمية - كافيا لأن يكون هو المنهج الوحيد، بل لم يعد صالحا فى حد ذاته لتحقيق الأغراض العلمية الجديدة، فكان لابد من تطويره أو تعديله أو إضافة مناهج أخرى تتفادى القصور الذى ينطوى عليه.

هذه هى أهم العيوب التى شابت المنطق القديم وأدت إلى الخروج عنه على يد فلاسفة العصر الحديث.

٢- بيكون وديكارت والروح العلمية الحديثة:

كانت البداية الحقيقية للثورة على منطق أرسطو فى أواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر،

(جـ) كل الحاضرين ليسوا مجدين
بعض التلاميذ حاضرون
بعض التلاميذ مجدون

(د) كل الحاضرين ليسوا مجدين
كل التلاميذ ليسوا حاضرين
كل التلاميذ ليسوا مجدين

٩ – ثم كون من هذه الحدود الثلاثة «تلاميذ – حاضرون – مجدون» قياسا صحيحا من الشكل الأول تتفق مقدمتاه كما وكيفا.

١٠ – اشرح بالأمثلة لماذا لا يجوز للقضية الآتية أن تكون إحدى المقدمتين فى قياس منتج من الشكل الأول:
«بعض الناس ليسوا منطقيين فى تفكيرهم».

١١ – كون قياسا صحيحا من الشكل الأول تستغرق نتيجته كلا من الموضوع والمحمول.

١٢– يعتمد القياس على قانون الهوية ليكون منتجا. وضح بالاستعانة بمثال.

١٣– كل الكتب ليست جديدة
بعض المفيد كتب
∴ بعض المفيد ليس جديدا

كل الكتب جديدة
بعض المفيد ليس كتباً
∴ بعض المفيد ليس جديدا.

بين المنتج فى القياسين السابقين مع بيان أسباب الإنتاج.

١٤– اذكر الحدود التى يجب أن تستغرق فى المقدمتين لكى تكون قياسا منتجا من الشكل الأول تستغرق نتيجته الموضوع فقط. دعم إجابتك بمثال.

١٥– لا شريف يخون الأمانة.
اجعل هذه القضية نتيجة فى قياس صحيح من الشكل الأول ووضح الحدود المستغرقة فى كل من المقدمتين.

١٦ – متسلق – نبات – طيب الرائحة.
كون من هذه الحدود الثلاثة قياسا منتجا من الشكل الأول لا تستغرق نتيجته أيا من حديها، ووضح أسباب إنتاجه.

البحتة ذلك الفرع من الرياضيات الذى يهدف إلى استنباط النتائج من مقدمات معينة يضعها الرياضى وتقوم صحة النتائج على صحة استنباطها من المقدمات وعلى فرض تسليمنا بتلك المقدمات.

ولا شأن للرياضى البحت بتطبيق نتائجه أو نظرياته على الواقع، أو مدى صحتها بالنسبة لهذا الواقع، بل كل ما نسأل عنه هو هذا: هل النظريات تترتب بطريقة صحيحة عن المقدمات التي بدأ منها أم لا؟

أما الرياضة التطبيقية فهى هذا الفرع من الرياضيات الذى يطبق فى الواقع الفعلى، فى الفيزياء والكيمياء وبقية العلوم.

ونحن حين نتكلم عن الاستدلال الرياضى هنا إنما نتحدث عن طريقة التفكير الرياضى فى الفرع البحت من الرياضيات.

(جـ) الرياضيات نسق استنباطى:

كلمة **نسق** تعنى بناء مترابط الأجزاء متكاملا يتألف من مجموعة من المفاهيم الرياضية ومجموعة من القضايا الرياضية، ينتظم كل ذلك فى بناء متكامل نبدأ فيه من مجموعة من المفاهيم «الكلمات الاصطلاحية» والقضايا، لتكون هى مقدمات هذا النسق، ثم مجموعة من القضايا تكون بمثابة النظريات الرياضية أو المبرهنات التى يتم استنباطها، والبرهنة عليها من المقدمات التى بدأنا منها.

ومعنى هذا أن البناء الرياضى بناء يلعب فيه الاستنباط – أو الاستدلال الرياضى – الدور الرئيسى، فهو الذى ينتقل بنا من المقدمات إلى النتائج ليكتمل البناء. لذلك وصفت الرياضيات بأنها نسق استنباطى، فكيف يتم بناء هذا النسق؟

٤- أهم خصائص القضية الرياضية:

١- **القضية الرياضية قضية تحليلية تعبر عن تحصيل حاصل**: القضايا الرياضية قضايا تحليلية، ولذلك فإن المحمول فى القضية الرياضية لا يضيف إلى موضوعها جديدا من الواقع، وهذه القضايا توصف بأنها تحصيل حاصل، وبالتالى فإن صدق القضية الرياضية يتوقف على عدم التناقض بين طرفيها كما فى القضية الآتية:

١+١=٢.

فعندما نقول «=٢» فإنه ليس فى هذا تناقض مع قولنا (١+١) بل إنه مجرد تحصيل حاصل.

٢ ـ **القضية الرياضية تعبر عن اللزوم المنطقى**.

وهذا يعنى أن الشطر الثانى من القضية يلزم لزوما منطقيا عن الشطر الأول وهو «١+١».

وعندما نسلم مع إقليدس بأن المكان سطح مستوٍ، فإنه يلزم عن هذا لزوما منطقيا أن مجموع زوايا المثلث تساوى ١٨٠. ونحن هنا نصرف النظر عما إذا كان المكان سطحا مستويا فى الواقع أم لا فالاستدلال الرياضى استدلال صورى، ولذلك نقول إن القضية الرياضية تعبر عن اللزوم المنطقى الصورى.

٥- بناء النسق الرياضى:

أشرنا منذ قليل إلى أن النسق الاستنباطى فى الرياضيات يتألف من جزءين: المقدمات، ثم النتائج اللازمة عن المقدمات عن طريق الاستنباط، فما هى هذه المقدمات وكيف نستنبط منها النتائج اللازمة عنها؟

حيث هاجم المفكرون فى ذلك الوقت منطق أرسطو القائم على مجرد افتراض مقدمات والنزول منها إلى النتائج التى تترتب عليها، وذلك بهدف اكتساب العلم لمجرد العلم، فى حين رأى المحدثون من المفكرين أن غرض المعرفة والعلم لابد أن ينعكس على الواقع وعلى الحياة العملية لتحقيق خير الإنسان ورفاهيته.

وكان **فرنسيس بيكون** «١٥٦١ – ١٦٢٦» الإنجليزى و**رينيه ديكارت** «١٥٩٦– ١٦٥٠» الفرنسى هما أهم رواد الثورة على المنطق الأرسطى، وقد اتفق الاثنان على ضرورة إيجاد طرق للبحث العلمى تتفادى عيوب المنطق القديم، فطور أولهما المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجربة. وطور ثانيهما المنهج الاستنباطى الرياضى.

فرأى **بيكون** أن العلم لا يتقدم إذا اقتصر على النظر العقلى، لأن هدف العلم معرفة ظواهر الطبيعة للسيطرة عليها واستغلالها لصالح الإنسان، وعن طريق المنهج القائم على الملاحظة والتجربة يمكننا تحقيق هذا الهدف.

أما **ديكارت** فقد أراد إصلاح المنطق القديم ليتفادى عقمه فطور منهج الاستنباط الرياضى، الذى يشبه القياس الأرسطى فى أن نتائجه تلزم عن مقدماته، ولكنه **منهج خصب ومنتج** وليس عقيما مجدبا كالقياس.

فالاستدلال الرياضى «أو الاستنباط الرياضى» يتميز عن القياس بعنصر **الابتكار** الذى ينشأ عن خيال الرياضى، ولم ينشأ هذا الاستدلال عن القياس، وإلا ما تقدمت الرياضيات أبدا.

فضلا عن أن الاستدلال الرياضى يتميز عن القياس **بالتعميم**، ويتمثل هذا التعميم فى الانتقال من البسيط إلى المركب، ومن الخاص إلى العام، بينما فى القياس تأتى النتائج أخص من المقدمات.

ولكن يجب أن ننتبه إلى أن المنهج الاستنباطى لم يكن من «اختراع» ديكارت لأن نواة هذا المنهج بدأت عند فلاسفة اليونان القدماء من أمثال فيثاغورث فى القرن السادس قبل الميلاد، وأرسطو فى القرن الرابع قبل الميلاد، وإقليدس فى القرن الثالث قبل الميلاد، وهذا المنهج – كما هو واضح – مرتبط بالرياضيات.

٣- الرياضيات والتفكير الرياضى:

كانت الرياضيات وماتزال، العلم اليقينى الذى يمكن أن يثق به الإنسان، لذلك نالت الرياضيات احترام المفكرين طوال التاريخ، فهى اليوم اللغة الأساسية لكل العلوم المتقدمة، فلا يستطيع أن يستغنى عنها أى عالم يهدف إلى صياغة نتائجه بلغة كمية دقيقة، وهو شرط أساسى للمعرفة العلمية، كما لا يمكن الاستغناء عنها فى الحياة اليومية لكل إنسان. فما هى الرياضيات؟

(أ) تعريف الرياضيات:

التعريف الشائع للرياضيات أنها «**علم الكم (المقدار) المتصل والمنفصل**» فهى كأى علم لابد أن يكون لها موضوع، وموضوعها هو الكم أو المقدار المجرد عن المادة، أى **الكم العقلى**، فالأعداد فى الرياضيات هى التى تهم الرياضى ولا يهتم بالمعدودات أى الأشياء الواقعية المحسوسة.

وينقسم هذا الكم إلى قسمين إما متصل كالأسطح والأحجام أو منفصل كالأعداد، وهناك فروع للرياضيات تدرس الكم المتصل وهى: الهندسة والميكانيكا، وفروع تدرس الكم المنفصل وهى: الحساب والجبر.

(ب) الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية:

وتنقسم الرياضيات إلى فرعين أساسيين هما: الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية، ويقصد بالرياضة

يكون شخصين بدلا من شخص واحد، ولكن من المستحيل أن يصبح الشخص الواحد شخصين» فهل يعد هذا دليلا؟ ربما اعترض صاحبك المجادل قائلا: «أنا أعترض على القول بأن الشخص لكى يكون فى مكانين فى وقت واحد يجب أن يكون شخصين، لأنك لم تقل ذلك إلا لأنك قد سلمت بأن الشخص الواحد لا يمكن أن يكون فى مكانين فى نفس الوقت، وهذا هو ما سألتك أن تبرهن عليه لا أن تسلم به» وقد تبدو حجتك دائرية، إلا أن رفضها لم يزعزع اعتقادنا فى القضية التى أمامنا، لذلك قد تصل مجادلتك لصاحبك إلى حد قد لا تملك إلا أن تقول له: «إننى أراها قضية صحيحة، فهى أوضح ما تكون بالنسبة لى، كيف يمكننى أن أجعلها واضحة بالنسبة لك».

يوضح هذا المثال أن هناك حقائق لا نملك إلا أن نقر بها ولا نحتاج فى ذلك برهانا، عقليا كان أم تجريبيا، لأن هذه الحقائق لم تقم على أساس المشاهدة والخبرة وليست هى ناتجة عن مقدمات سابقة عليها، مثل هذه الحقائق هى التى تطلق عليها اسم «البديهيات».

وعلى ذلك يمكن تعريف البديهيات بأنها «**قضية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان**، فالرياضى – إذن – يسلم بمجموعة من القضايا لأنها تبدو على درجة من الوضوح لا تحتاج معها أى برهان، ولا يملك العقل أمامها إلا التسليم بصحتها على الفور، وهذا هو **التعريف التقليدى للبديهية**.

وهنـاك **تعريف جـديـد للبديهية**، يرى أن البديهية بوجه عام هى **قضية لا تنتمى إلى العلم الذى نتحدث فيه، بل يستعيرها هذا العلم من علم آخر أعم منه**، وعادة ما يتم ترتيب العلوم من حيث عموميتها على النحو التالى:

١- **المنطق**: وهم أعم العلوم لأن كل العلوم تستخدم قوانينه وقواعده وعلى رأسها قوانين الفكر الأساسية.

٢- **الرياضيات**: العلوم الطبيعية والإنسانية تستخدم الرياضيات عندما تصيغ قوانينها صياغة كمية.

٣- **العلوم الطبيعية**: العلوم الإنسانية تستفيد منها فعلم النفس مثلا يستفيد من الفسيولوجيا عندما يوضح أثر الجهاز العصبى والغدد على سلوك الإنسان.

٤- **العلوم الإنسانية**: وهذه هى أخص العلوم لأنها تستفيد من كل العلوم السابقة وتستخدم قوانينها ومفاهيمها.

ولكل علم من هذه العلوم فروع فيها ما هو أعم وما هو أقل تعميما، ففى العلوم الطبيعية مثلا نجد الفيزياء أعم هذه العلوم، وأقلها تعميما علم البيولوجيا.. وهكذا.

فإذا أخذ علم أدنى قضية من علم أعلى منه فى سلم التعميم ليستخدمها فى مجال علمه، كانت هذه القضية بالنسبة لهذا العلم الأدنى بديهية، فيسلم بها دون برهان لأنها ليست من قضاياه، بل من قضايا علم آخر أعم منه.

وهـذا التعريف الأخـير للبديهيـة يخلصنا من الخلاف الذى يمكن أن يدور حول مفهوم «الوضوح الذاتى» الذى اعتمد عليه التعريف التقليدى، لأنه مفهوم نسبى، قد يختلف من فرد إلى آخر، ومن زمان إلى زمان.. وهكذا.. فما هو واضح ذاتيا بالنسبة لشخص قد لا يكون كذلك بالنسبة لشخص آخر، وربما ما كان يبدو فى الماضى غير واضح أصبح فى أيامنا من الأمور الواضحة تماما، وبذلك جاء التعريف الثانى للبديهية ليحسم مفهوم البديهية بما لا يدع مجالا للخلاف ووجهات النظر.

ومن أمثلة البديهيات التى قدمها لنا إقليدس:

الكل أكبر من الجزء.

المساويان لشىء ثالث متساويان.

(أ) مقدمات النسق:

تتألف مقدمات النسق من مجموعة من المفاهيم يقوم الرياضى بتعريفها تسمى بالتعريفات «أو المعرفات»، ومجموعة أخرى من المفاهيم يتركها الرياضى بدون تعريف تسمى باللامعرفات، ثم مجموعة من القضايا يسلم بها الرياضى دون برهان يطلق على بعضها اسم «البديهيات» ويطلق على بعضها الآخر اسم «المسلمات» أو «المصادرات».

١- التعريفات «أو المعرفات»:

وهى مجموعة من المفاهيم أو التصورات لها أهمية خاصة فى النسق الرياضى، لذلك يحرص رجل الرياضيات على أن تكون لها معان محددة منذ البداية، فيكون أول ما يقوم به الرياضى هو أن يعرف لنا هذه المفاهيم تعريفا دقيقا، حتى لا يحدث بشأنها أى لبس أو غموض فى معناها.

ولكل نسق من أنساق الرياضيات تعريفاته الخاصة، فالهندسة الإقليدية مثلا تعالج النقط والخطوط والمثلثات والدوائر، وما إلى ذلك، وكان تعريف هذه التصورات الرياضية أمرا مهما بالنسبة لهذه الهندسة.

وليس لأحد أن يناقش الرياضى فى تعريفاته، وكل ما لنا عليه هو أن يلتزم بهذا التعريف الذى يقدمه، ولا يغيره إلا إذا نبهنا إلى ذلك.

ومن أمثلة التعريفات التى قدمها لنا إقليدس فى هندسته:

النقطة: هى ما ليس له أجزاء.

الخط: هو طول بغير عرض.

السطح: هو ماله طول وعرض فقط.

٢- اللامعرفات:

هى مجموعة من المفاهيم أو التصورات يأخذها الرياضى بدون تعريف، وذلك ليستخدمها فى تعريف غيرها من المفاهيم.

ذلك لأننا لو تمسكنا بتعريف كل لفظ يرد فى كلام الرياضى لتتابعت التعريفات إلى غير حد، لأن كل تعريف يتم على أساس ألفاظ أخرى، فلو طلبت تعريفا لهذه الألفاظ، أوردت ألفاظا أخرى، وهكذا إلى ما لا نهاية، وهنا لابد أن يأخذ بعض النقاط أو المفاهيم دون تعريف، حتى يمكن تعريف مفاهيم أخرى.

ومن أمثلة اللامعرفات:

«جزء» فى تعريف النقطة.

«الطول» و«العرض» فى تعريف الخط والسطح وهكذا.

٣- البديهيات:

لنفرض أن شخصا طلب منك دليلا على اعتقادك بأن «المرء لا يمكن أن يكون فى مكانين مختلفين فى نفس الوقت» فماذا عساك أن تقول؟ ربما تقول شيئا كهذا: «لكى يكون المرء فى مكانين فى نفس الوقت فلابد أن

وتكون صحة النظريات متوقفة على صحة المقدمات التى افترضناها من قبل، وكأن الرياضى يقول: إذا افترضت معى أن المقدمات صحيحة، فلابد أنك تسلم بصحة النتائج اللازمة عنها لزوما منطقيا، فالنظريات إذن تكون صحيحة على فرض التسليم بصحة المقدمات، لأن البرهان على صحة أية نظرية قائم على المقدمات التى بدأنا بها، دون اللجوء إلى أية فروض أو مبادئ أخرى غير تلك المقدمات.

ولذلك فإذا طلبنا من الرياضى أن يبرهن لنا على نظرية من نظرياته فلابد له أن يردها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى المقدمات الأولى التى سبق التسليم بها.

والمقصود بالطريقة غير المباشرة هو أن الرياضى إذا ما برهن على نظرية أصبحت من بين ما يستعين به فى البرهنة على نظرياته اللاحقة، لذلك فإن الرياضى قد يبرهن على نظرية بردها إلى نظرية سبق له البرهنة عليها، وهذه الأخيرة قد يردها إلى نظرية سابقة حتى ينتهى به الأمر فى النهاية إلى المقدمات الأولى التى سلم بها لتكون هى المرجع النهائى فى البرهنة على جميع نظريات النسق الذى يبنيه الرياضى.

أهم قواعد الاستنباط:

أهم القواعد التى يتم على أساسها البرهنة على النظريات هى:

١- قاعدة الاستدلال:

وتسمى أحيانا بقاعدة **إثبات المقدم**، ومؤداها أنه إذا ما أثبتنا صدق المقدم فى القضية الشرطية المتصلة، أثبتنا صدق التالى الذى يمكن أخذه كنظرية مبرهنة.

فلو كان لدينا القضية الشرطية: إذا تساوى مثلثان فى زاويتين وضلع مشترك بينهما، كان المثلثان متطابقين، فإذا أثبتنا أن مثلثين يتساويان فى زاويتين ويشتركان فى ضلع، استطعنا أن نقرر تطابق المثلثين «يمكن أن يكون هذا التطابق نظرية مبرهنة».

ويمكن أن تصاغ هذه القاعدة بالصورة المنطقية على النحو التالى:

إذا تساوى مثلثان فى زاويتين وضلع مشترك بينهما كان المثلثان متطابقين.

٢- قاعدة الوصل:

وتسمى أحيانا قاعدة **التقرير**، ومؤداها أنه إذا تم البرهان على نظريتين بشكل مستقل، فإن جمع الإثنين معا يمكن أن يكون نظرية مستقلة، أى أن وصل أى نظريتين صحيحتين معا يمكن أن يكون نظرية جديدة.

فلو كانت «س» نظرية أقيم البرهان عليها، «ص» نظرية أخرى أقيم البرهان عليها، لكان «س، ص» معا نظرية مستقلة.

٤- المسلمات «المصادرات»:

المسلمة الرياضية «أو المصادرة» هى: قضية يسلم بها الرياضى تسليما دون برهان، لا لأنها واضحة بذاتها، بل لأنه أراد أن يتركها بلا برهان لكى يتخذها أساسا للبرهنة على غيرها من القضايا الأخرى «وهى النظريات الرياضية»، وهو لا يملك إلا أن يتركها بلا برهان وإلا فشل فى البرهنة على أية قضية، لأن البراهين سوف تتراجع إلى ما لا نهاية. وليس بالضرورة أن تكون المسلمة مطابقة للواقع، وليس لأحد أن يسأل الرياضى عن مدى تطابق مصادراته مع الواقع، لأن هذا أمر لا يضعه الرياضى موضع الاعتبار، ولا يؤثر فى المسلمات التى يفترضها.

وعلى الرغم من أن المسلمات هى مجرد افتراضات، فإن هناك عدة شروط لابد من مراعاتها عند وضع هذه المسلمات.

أولا: يجب أن تكون مجموعة مسلمات النسق غير متناقضة فيما بينها، بل لابد أن تكون متسقة فيما بينها حتى لا يؤدى ذلك إلى الوصول إلى نظريات متناقضة.

ثانيا: يجب أن تكون مجموعة مسلمات النسق «مكتملة» بمعنى أن تكون كافية لكى نبرهن بواسطتها على جميع نظريات النسق، لأنه لو اتضح أن المجموع الكلى للنظريات «أو المبرهنات» أوسع من هذه المسلمات لما كانت هذه المسلمات مكتملة.

ثالثا: يجب أن تكون مجموعة المسلمات «مستقلة» الواحدة منها عن الأخرى ومعنى ذلك ألا تكون أية مسلمة قابلة لأن تشتق من مجموعة المسلمات الأخرى لأنها ستكون فى هذه الحالة نظرية مبرهنة، ويكون وجودها بين مجموعة المصادرات أو المسلمات حشوا زائدا لا قيمة له.

ومن أمثلة المصادرات «المسلمات» التى قام عليها نسق إقليدس:

- الخطان المستقيمان يتقاطعان فى نقطة واحدة فقط.

الفرق بين البديهية والمسلمة:

يتضح مما سبق أن الفرق بين البديهية والمسلمة يتمثل فيما يلى:

أولا: من وجهة النظر التقليدية: أن البديهية قضية مسلم بها نظرا لوضوحها الذاتى، بينما المسلمة قضية مسلم بها ليس لوضوحها الذاتى، بل لمجرد أن تكون أساسا للبرهنة على غيرها من القضايا.

ثانيا: من وجهة النظر الحديثة: إن البديهية قضية لا تنتمى إلى العلم الذى ترد فيه بل إلى علم آخر أعم منه، استعيرت إلى ذلك العلم الأدنى لتساهم فى بناء النسق المراد بناؤه، بينما تنتمى المسلمة إلى نفس العلم الذى ترد فيه، وكل ما هنالك أنها تركت بلا برهان.

وهناك رأى يسود فى الوقت الحاضر لا يفرق أصلا بين البديهية والمسلمة لأن كلا منهما قضية مسلم بها دون برهان، وليس لأن لأى منهما امتيازا على الأخرى، فكلاهما قضايا تعمل داخل النسق دون أية تفرقة بينهما.

لذلك نجد كثيرا من فلاسفة العلم لا يستخدم اسمين عند الحديث عن البديهية والمسلمة، بل يكتفى بأن يطلق عليهما معا، أما «البديهيات» أو «المسلمات».

(ب) النظريات الرياضية «المبرهنات»:

بعد أن يحدد الرياضى لا معرفاته، وتعريفاته ويعين بديهياته، ويفترض مسلماته، يبدأ فى البرهنة على النظريات التى يستنبطها من مجموع تلك المقدمات، وذلك وفق قواعد معينة هى قواعد الاستنباط.

أسئلة

١- اذكر باختصار أهم عيوب المنطق القديم.

٢- يعبر كل من بيكون وديكارت عن الروح العلمية الحديثة. هل تؤيد ؟ لماذا ؟

٣- ما المقصود بالرياضيات؟

٤ - ما الفرق بين الرياضيات البحتة والرياضيات التطبيقية؟

٥- هل يمكن تقديم تعريفات رياضية دون الاستعانة باللامعرفات؟ اذكر مبرراتك.

٦- ما المقصود بالمسلمة «المصادرة»؟ وما أهم شروط مجموعة مسلمات النسق؟

٧- ما الفرق بين البديهية والمسلمة؟ وضح إجابتك بالأمثلة.

٨- ما علاقة نظريات النسق بمقدماته؟

٩- تعد الرياضيات مجرد نسق استنباطى. وضح .

١٠ - اختر الإجابة الصحيحة مما يلي، مع التعليل:

المصادرة الرياضية هى قضية يسلم بها الرياضى لأنها:

(أ) واضحة بذاتها.

(ب) مبرهنة برهانا دقيقا.

(جـ) تتخذ كأساس للبرهنة على غيرها من القضايا.

١١- بين أوجه الصواب أو الخطأ فى العبارات التالية، مع التعليل:

(أ) الرياضة البحتة هى فرع الرياضيات الذى يرتبط بالواقع ارتباطا وثيقا.

(ب) البديهية الرياضية هى قضية واضحة بذاتها لا تحتاج إلى برهان.

(جـ) النسق الاستنباطى نسق فرضى.

الفصل السابع

الاستدلال التجريبى «الاستقراء»

أولا: طبيعة المعرفة العلمية

١- المعرفة المباشرة والمعرفة العلمية:

(أ) **المعرفة المباشرة هى**: الأصل فى معظم معارفنا، إذ أن المعرفة غير المباشرة غالبا ما ترتد فى النهاية إلى المعرفة المباشرة، فإذا كنت مسافرا وقررت أن السماء كانت تمطر منذ وقت قصير، فإنك قررت ذلك استنادا إلى ما وقع فى خبرتك المباشرة وهى رؤيتك للنبات المبتل بالماء، ولبقع الماء والوحل فى الطريق، وآثار البلل على ملابس الناس، وكل ما هنالك أن ما قررته قد تجاوز نطاق هذه الملاحظات، فإنك لم تر المطر يسقط، لذلك كانت معرفتك غير مباشرة.

(ب) **المعرفة العلمية**: نوع من المعرفة غير المباشرة، لأن أهم ما يميز المعرفة العلمية هى أنها معرفة «عامة» فهدف العلم وغايته هو الوصول إلى القانون العام الذى يفسر جميع أفراد الظاهرة التى يبحثها العالم.

٢- العلم منهج فى التفكير:

إن العلم طريقة فى التفكير والبحث، فما يميز رجل العلم عن غيره هو اتباع المنهج العلمى (التجريبى) فى تفسيره للظواهر الطبيعية، لأن الموضوعات التى يبحثها العلماء مختلفة، فعالم يجعل أفلاك السماء موضوعا لبحثه، وآخر يبحث فى طبقات الأرض، وثالث فى النبات، ورابع فى الحيوان وهكذا، وجميع هؤلاء علماء رغم اختلاف موضوعات بحثهم، والذى جعلهم جميعا علماء هو «المنهج» الذى اصطنعوه فى البحث وليس مادتهم التى يبحثون فيها، والقوانين التى يتوصلون إليها.

ومادام العلم فى أساسه منهجا فى التفكير والبحث، فيمكن لأى إنسان أن يكون صاحب تفكير علمى فى حياته اليومية مادام جاء تفكيره منظما، ومادام استمد الحقائق بالمشاهدة الدقيقة والتجربة وربطها جميعا تحت مبدأ واحد يفسرها. فأنت حينما رأيت أوراق النباتات مبتلة، وبالطريق كثير من بقع الماء والوحل، وآثار الابتلال على ملابس الناس. واستنتجت أن السماء كانت تمطر منذ فترة ليست طويلة كان تفكيرك علميا، وأمثال هذه الأمور كثيرة فى الحياة اليومية، والمهم هو مواجهتها مواجهة صحيحة بالطريقة العلمية أو «المنهج» العلمى.

ثانيا: الاستدلال التجريبى «أو الاستقراء» معناه وأنواعه:

١- معنى الاستدلال التجريبى «الاستقراء»:

الاستدلال التجريبى هو طريقة فى البحث تستند على الملاحظة والتجربة، بهدف التوصل إلى حكم عام على الظاهرة موضوع البحث. لذلك يسمى بالمنهج الاستقرائى على أساس أن الباحث يقوم هنا باستقراء الواقع عن طريق الملاحظات الدقيقة والتجارب المضبوطة حتي ينتهى إلى القانون العلمى الذى يفسر الظاهرة التى يبحثها.

جميع الكراسى الموجودة فيها واحدا واحدا لكى أحكم بعد ذلك حكما يتعلق بعددها، كأن أقول مثلا «عدد الكراسى الموجودة فى الحجرة ١٢ كرسيا» ولو شئت أن أعرف عدد الأشخاص الذين أدلوا بأصواتهم فى الانتخابات لكان على أن أحصيهم واحدا واحدا عن طريق القوائم التى تضم أسماءهم، مثلا أو عن طريق عدد الأصوات الموجودة داخل صندوق الانتخابات، لذلك يسمى هذا النوع من الاستقراء الاستقراء الإحصائى، وأحيانا الاستقراء التلخيصى.

ومن الواضح أن هذا النوع من الاستقراء لا يصلح إلا إذا كان عدد أفراد الظاهرة التى نقوم ببحثها محدودا، مثل عدد طلاب مدرسة أو مدينة أو ما شابه ذلك، ولكن حينما يكون عدد الأفراد غير متناه، ولا يمكن حصره مثل جزئيات الظواهر الطبيعية، قطع الحديد، النبات، الحيوان..إلخ يصبح هذا النوع من الاستقراء عديم الفائدة.

الثانى: الاستقراء الناقص «أو العلمى»: وفيه يقوم الباحث بفحص عينة من جزئيات الظاهرة موضع البحث، ليصل بشأنها إلى حكم يقوم بتعميمه على بقية الجزئيات المشابهة للعينة، وهذا هو الاستقراء العلمى الذى أشرنا إليه من قبل. وهو المنهج المستخدم أساسا فى العلوم الطبيعية.

٣- قوانين العلم ترجيحية:

ولكننا نلاحظ هنا أن التعميم ينطوى على بعض المخاطرة، ذلك لأنه يسمح بالحكم على أشياء لم تقع فى خبرة الباحث، ولم يخضعها لأى بحث فكيف يكون الحكم أو القانون العلمى صادقا صدقا يقينيا؟ والواقع أن هذه مسألة مهمة لأنها تقدم تفرقة أخرى بين طبيعة كل من المنهج الاستقرائى والمنهج الاستنباطى، وبالتالى بين العلوم الطبيعية والعلوم الصورية كالرياضيات. فهنا ندرك أن الوصول إلى اليقين أو الصدق التام أمر لايتحقق إلا فى مجال العلوم الصورية ومنهجها الاستنباطى بينما فى الاستقراء والعلوم الطبيعية يكون الوصول إلى هذا اليقين ضربا من المحال. لأننا نخبر بأشياء جديدة عن الواقع فى حدود ما استطعنا أن نعرف عنه. فربما نكتشف فى المستقبل أمورا جديدة تجعلنا نغير من أحكامنا التى توصلنا إليها. لذلك فإن قوانين الطبيعة احتمالية ترجيحية، وليست يقينية ولن يكون هناك مطمع فى التوصل إلى قوانين مطلقة الصدق.

ثالثا: من تاريخ الاستقراء:

١- الاستقراء تراث إنسانى:

نقف الآن وقفة قصيرة عند بعض المعالم الرئيسية فى تاريخ الاستقراء لنتعرف على أهم من ساهموا فى إرساء قواعد هذا المنهج، ودور كل منهم فى تطوره.

ونبدأ بمسألة دار حولها جدل كبير وهى: من أول من وضع أساس الاستقراء؟ وهنا انقسم الباحثون الغربيون إلى فريقين:

١- **يرى الفريق الأول**: أن أرسطو - هو أول من حاول أن يضع منهجا للتفكير يقوم على المشاهدة أو الملاحظة. أسماه «الاستقراء» بوصفه منهجا متميزا عن القياس وبذلك يكون أرسطو هو الواضع الحقيقى لمنهج الاستقراء.

٢- ويرى الفريق الآخر أن أرسطو لم يقدم شيئا له قيمة فى هذا المنهج، لأن اهتمامه كان منصبا أساسا على القياس. ويعود الفضل فى وضع منهج الاستقراء إلى الفيلسوف الانجليزى فرنسيس بيكون (١٥٦١ -

فالاستقراء إذن يبدأ من جزئيات محسوسة تقع فى خبرة الباحث ليصل بشأنها إلى حكم معين، ثم يقوم بتعميم هذا الحكم على جميع الجزئيات المشابهة للجزئيات التى قام بفحصها، فيكون الحكم هو القانون المفسر لجميع جزئيات الظاهرة التى بحثها.

فالعالم حينما وصل إلى الحكم العام بأن «المعادن تتمدد بالحرارة» فإنه قد بدأ بجزئيات من الحديد، وجزئيات من النحاس، وأخرى من الذهب.. وهكذا لاحظ أن جميع الجزئيات التى اختبرها تتمدد بالحرارة، ولكنه لم يختبر كل جزئيات هذه المواد، بل اكتفى باختبار عينة من كل معدن، وقام بتعميم الحكم الذى وصل إليه بشأن هذه العينات على كل ما هنالك من حديد ونحاس وذهب، سواء ما وجد منه فى الماضى أو ما هو موجود فى الحاضر، أو ما سيوجد فى المستقبل. هذا التعميم بهذا المعنى هو الهدف الذى يسعى إليه العلم، فهو القانون الذى يفسر الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها.

تعريف الاستقراء:

«العملية التى ينتقل فيها العالم من بحث حالات جزئية بحثا تجريبيا إلى حكم عام ينطبق على هذه الحالات والحالات المماثلة لها».

والاستقراء أو الاستدلال التجريبى هو المنهج الذى تصطنعه العلوم الطبيعية بمختلف أنواعها مثل الفيزياء والكيمياء والفلك والبيولوجيا وغيرها، وربما أخذت العلوم الإنسانية مثل علم النفس وعلم الاجتماع بصورة هذا المنهج رغم ما فى ذلك من صعوبات مازالت قائمة كما سنعرف فيما بعد.

وواضح هنا أن المنهج الاستقرائى يختلف عن المنهج الاستنباطى العقلى الذى رأيناه فى الرياضيات، ذلك أن الاستقراء يتعامل مع أمور الواقع المحسوس، وهى الظواهر الطبيعية، بينما يتعامل الاستنباط مع أمور عقلية مجردة.

إلا أن أهم ما يميز **الاستقراء** عن غيره من المناهج هو استخدامه **للتجربة** وجعلها الوسيلة التى نختبر بها فروضنا وأحكامنا، فالعالم الذى توصل إلى أن جزىء الماء يتركب من ذرتين من الأيدروجين وذرة من الأكسجين «يد ٢أ» H_2O، فإن وصوله إلى هذا القانون جاء بعد تجارب كثيرة على عينات من الماء، وهكذا يفعل جميع العلماء فى العلوم الطبيعية، لذلك جاءت تسمية هذا المنهج بـ «المنهج التجريبى» اعترافا بالدور الرئيسى الذى تلعبه التجربة فى هذا المنهج.

ومن الملاحظ أيضا أن المنهج الاستقرائى استدلال تجريبى، ولكنه استدلال غير مباشر، ولأنه يستند إلى أمثلة واقعية يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة، ليستدل منها على الحكم العام، أى أنه يبدأ من حالات جزئية «مقدمات» ليصل إلى القانون العام. «النتيجة» وهنا قيل أن الفرق بين الاستقراء والقياس هنا هو أن الاستقراء يبدأ من جزئيات لينتهى إلى حكم عام، بينما القياس يبدأ من أحكام عامة مسلم بصحتها تسليما لينتهى إلى حكم أخص من تلك الأحكام.

ولهذا قيل أن **الاستقراء استدلال صاعد**، يبدأ من الوقائع الجزئية ليصعد إلى الحكم العام، بينما **القياس استدلال هابط** يبدأ من الحكم العام ليهبط منه إلى الحكم الجزئى.

٢- أنواع الاستقراء:

هناك نوعين أساسيين للاستقراء:

الأول: الاستقراء الكامل «أو التام»: وفيه يتم فحص جميع جزئيات الموضوع الذى نبحثه جزئية جزئية، ثم نطلق الحكم عليها، فلو شئت أن أعرف عدد الكراسى الموجودة فى هذه الحجرة، لكان على أن أحصى

تراث إنسانى ساهمت جميع الحضارات فيه بنصيب، وكان له رجال فى كل العصور. . حقيقة أن هذا المنهج قد تطور تطورا هائلا فى أوروبا فى العصر الحديث، إلا أن ذلك لم يبدأ من فراغ بل إن العلماء الأوروبيين استوعبوا جهود السابقين عليهم وخاصة جهود العلماء المسلمين الذين ترجمت أعمالهم إلى اللاتينية فى فترة اتصال الحضارة الإسلامية بأوروبا عن طريق الأندلس، وانطلقوا من هذه الأعمال وغيرها، محققين تطورا مذهلا فى العلوم، ومقدمين للبشرية منجزات هائلة طوال القرون الثلاثة الماضية.

ومع ذلك كله، فإننا لانتكر مساهمة كل من أرسطو وبيكون فى وضع هذا المنهج وفضلهم فى تحديد معالمه، لذلك سنقف وقفة قصيرة عند موقف كل منهما فى الاستقراء.

٢- الاستقراء عند ارسطو:

(أ) **الاستقراء التام (الكامل)** الذى يقوم على الإحصاء التام لجميع جزئيات الظاهرة الموضوعة تحت البحث، وقد جعله فى مرتبة واحدة من حيث اليقين مع القياس، لأن الحكم فى هذا النوع فى الاستقراء يقتضى إحصاء جميع حالات الظاهرة، ويكون هذا الحكم تلخيصا لما شاهدناه فى «جميع» هذه الحالات، وبالتالى فهو لايأتى بجديد يمكن أن نتعرض فيه للخطأ، مثله فى ذلك مثل القياس.

(ب) **الاستقراء الحدسى**: يعتقد أرسطو أنه يكفى من مجرد الحكم على جزئية واحدة الحكم على النوع بأسره، ويسمى ذلك «الاستقراء الحدسى»، فيكفى أن أرى قطعة واحدة من قطع الحديد تتمدد بالحرارة لأحكم بالحدس على أن نوع الحديد كله يتمدد بالحرارة، فالاستقراء الحدسى عند أرسطو هو إذن الانتقال من الحكم على جزئية واحدة إلى حكم عام على كل الجزئيات المماثلة لها.

وهكذا ننتهى إلى القول بأن الاستقراء عند أرسطو هو إقامة البرهان على قضية كلية بالرجوع إلى الأمثلة الجزئية التى تؤيد صحتها، على أن تكون الأمثلة هنا الأنواع لا الأفراد الجزئية.

٢- نقد نظرية الاستقراء الأرسطية:

وقد واجهت نظرية أرسطو فى الاستقراء انتقادات كثيرة منها:

١- استقراء أرسطو لايعد استقراء بالمعنى الدقيق، بل هو حجة استنباطية مثل القياس، تأتى فيه النتيجة مساوية للمقدمات.

٢- إن استقراء أرسطو لايؤدى إلى معرفة جديدة أكثر مما كان معروفا فى المقدمات، فهو إذن استقراء عقيم من الناحية العلمية ولايقود إلى معرفة جديدة.

٣- هناك استحالة منطقية فى إحصاء جميع الأفراد أو الأنواع، فكيف يمكن لأحد إحصاء جميع جزئيات المعادن أو جميع أنواع المعادن ما مضى منها وما هو موجود فى الحاضر، وما سوف يكون فى المستقبل، لذلك قيل أن استقراء أرسطو لا قيمة له من الناحية العملية، وهو بذلك لايصح أن يكون منهجا علميا.

٣- المنهج العلمى عند بيكون:

أراد "**بيكون**" أن يضع أداة جديدة فى البحث تحل محل الأداة الأرسطية القديمة المليئة بالعيوب، فوضع لنا **الأورجانون الجديد** بوصفه منهجا للفكر العلمى الحقيقى.

ولمنهج بيكون جانبان: جانب هدمى أو سلبى وآخر بنائى أو إيجابى.

١٦٢٦م) فهو أول من تحدث عن هذا المنهج بصورة جديدة وبطريقة علمية. لذلك فهو يعد الواضع الحقيقى للاستقراء.

ونلاحظ على هذين الرأيين مايلى:

(أ) يتجاهل الرأيان السابقان بصورة معيبة مساهمات أخرى لاشك أنها لعبت دورا مهما فى تطور المنهج العلمى الاستقرائى. وربما يقتضى الإنصاف أن نشيد بمساهمات أقدم من أرسطو والحضارة اليونانية، مثل المساهمات التى قدمتها الحضارات القديمة كالحضارة البابلية والحضارة المصرية القديمة، فنبوغ البابليين فى علم الفلك يشهد بمعرفتهم بالطريقة التى يبحثون بها فى هذا العلم بحثا علميا، وبراعة المصريين فى الطب والكيمياء وغيرهما أمر مازال موضع دهشة العلماء حتى اليوم. إذ مازالت المعابد القديمة تزهو بألوان رسومها على مدى آلاف السنين، ومازال فن التحنيط لغزا محيرا أمام أعتى العقول العلمية المعاصرة، وليس من المعقول أن يصل المصريون إلى كل هذا الإعجاز العلمى دون أن يكونوا على معرفة بالطريقة العلمية فى التفكير والبحث.

لقد اعترف بعض المؤرخين الغربيين أنفسهم بمثل هذه الحقيقة، ولنذكر منهم على سبيل المثال عبارات من تعليق أحد هؤلاء المؤرخين وهو «برستد» على بردية عن الجراحة والطب ماتزال محفوظة بالمتحف البريطانى بلندن، كتبت منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، يقول برستد: نقرأ فى هذه البردية لأول مرة كيف يحاول العقل الإنسانى أن يميز الحقائق ويسجلها، ثم يستخلص منها النتائج على ضوء الحقائق التى لاحظها»، وهذا يعنى أن المصريين القدماء قد عرفوا معنى الطريقة العلمية التى تقوم على الملاحظة واستخلاص النتائج العامة، وهذا هو جوهر العلم بالمعنى الذى نفهمه اليوم.

(ب) أما الحضارة الإسلامية فهى بلاشك صاحبة فضل كبير على العلم والمنهج العلمى، ولولاها لكانت صورة العلم اليوم على غير ما هى عليه، فتاريخنا العربى الإسلامى يموج بشتى نماذج العلماء الذين كانت لهم اكتشافاتهم العلمية فى جميع ميادين العلم وفروعه، ولنذكر على سبيل المثال: جابر بن حيان (المتوفى حوالى عام ٨١٣م) فى الكيمياء، وأبوبكر الرازى (المتوفى عام ٣٢٠هـ/٩٢٥م) فى الطب والكيمياء، ابن سينا (المتوفى عام ٤٢٨هـ/١٠٣٧م) فى الطب "الحسن ابن الهيثم" (المتوفى عام ٤٣٠هـ/١٠٣٩م) فى الطبيعيات "البيرونى" (المتوفى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م) فى الفلك. وغيرهم وغيرهم.

وكان كل واحد من هؤلاء وغيرهم صاحب فضل فى علمه بما قدمه من اكتشافات واضحة ساهمت فى تقدم العلم. فقد كان كتاب «الحاوى» فى الطب للرازى، وكتاب «القانون» فى الطب لابن سينا من أعظم الكتب الطبية التى ظهرت فى تاريخ الطب، وظلا مرجعين أساسيين للطب فى الجامعات الأوروبية حتى القرن الثامن عشر، أما الحسن بن الهيثم فقد وصفه أحد المؤرخين الغربيين وهو «سارتون» بأنه «أكبر عالم طبيعيات مسلم وواحد من أعظم علماء البصريات فى كل العصور». ومثل هذا يقال عن كثير من العلماء العرب المسلمين.

ولاشك أن كل عالم من هؤلاء العلماء كانت له طريقة ومنهج فى البحث، ولابد أن تكون طريقة علمية أو منهجا علميا، ويكفى هنا أن نشير إلى «جابر بن حيان» الذى وصفه مؤرخو العلم بأنه «رجل التجارب العلمية» التى أطلق عليها اسم «التدريبات»، وكان يراها شرطا ضروريا للعلم الحقيقى، ويعلن عن ذلك صراحة فيقول: «فمن كان دربا كان عالما حقا، ومن لم يكن دربا لم يكن عالما»، ويقول مشيرا إلى أهم مراحل المنهج العلمى «قد عملته بيدى وعقلى من قبل، وبحثت عنه حتى صح وامتحنته فما كذب».

(جـ) ويتضح من هذا أن إرجاع الفضل فى وضع الاستقراء إما إلى أرسطو (الأوروبى) أو إلى بيكون (الأوروبى أيضا) أمر ينطوى على بعض التعصب عند الباحثين الغربيين، فهذا المنهج هو فى حقيقة الأمر

٤- الوصول إلى تفسير الظاهرة أو علة الظاهرة - أو صورة الظاهرة - كما كان يسميها بيكون.
وضـرب لنا بيكـون مثالا على ذلك بظاهرة الحرارة، وكيف تتم دراستها وفقا لهذا المنهج وقد وصل فى النهاية إلى تفسيرها بأنها تعود إلى الحركة، فقال بأن الحركة علة الحرارة أو الحركة صورة الحرارة.

٥- تقييم منهج بيكون:

ولاشك فى أن طريقة بيكون تمثل خطوة واسعة فى طريق تقدم العلم إلا أنها لم تكن كاملة، بل انطوت على بعض العيوب.. ولعل من أهم هذه العيوب أن بيكون لم يعط اهتماما بالفرض العلمى كخطوة سابقة على القانون المفسر للظاهرة.
وسنعرف فيما بعد أهمية الفروض العلمية ودورها فى بناء القانون العلمى.

رابعا: خطوات المنهج الاستقرائى التقليدى:

١- الملاحظة:

(أ) الملاحظة العلمية المقصودة:

تقوم الملاحظة على المشاهدة المباشرة أو العيان الحسى المباشر، ويمكن تعريفها بوجه عام بأنها «**توجيه الحواس والذهن نحو ظاهرة معينة بغرض دراستها**». أى أن الملاحظة هنا ملاحظة مقصودة يقوم بها الباحث عن وعى، ويهدف من ورائها إلى الدراسة والبحث.
وهذا ما يفرق بين الملاحظة العلمية والملاحظة العابرة.

(ب) الملاحظة العابرة أو البسيطة:

هى تلك التى تحدث لكل منا فى حياته اليومية دون أن يقصد القيام بها، فسماعى الآن لصوت سيارة تسير فى الشارع، أو رؤيتى لأحد الأطفال يلعب بالكرة فى الطريق، أو مقابلتى لأحد أصدقائى تصادف مروره فى نفس الشارع الذى كنت أسير فيه، كل هذا وأمثاله مما يحدث لنا فى حياتنا العادية هى ملاحظات عابرة، لأن المرء هنا لم يقصد هذه الملاحظات بغرض الدراسة، بل جاءت عفوا دون قصد.
ومع أن هذا النوع من الملاحظات غير علمى، إلا أنه أدى إلى بعض الاكتشافات العلمية المهمة، فيروى لنا تاريخ العلم أن اكتشاف أرشميدس لقانون الطفو بدأ مع ملاحظته العابرة لارتفاع الماء فى الحوض الذى نزل فيه للاستحمام واكتشاف نيوتن لقانون الجاذبية بدأ بملاحظته العابرة بسقوط التفاحة من الشجرة التى كان يجلس تحتها إلى الأرض.. وهكذا. ومع ذلك فلايمكن الركون إلى هذه الملاحظات العابرة فى البحث العلمى.

(جـ) شروط الملاحظة العلمية:

١- ينبغى أن يتوافر للملاحظ أكبر قدر من الأمان
٢- يجب أن يكون الملاحظ مستعدا للملاحظة، مهيئا لها.
٣- يجب أن تكون الظاهرة قابلة للتكرار، فالظاهرة التى تحدث مرة واحدة دون أن تتكرر لايمكن أن

أولا: الجانب السلبى أو الهدمى:

أراد **"بيكون"** فى هذا الجانب أن يزيل بعض الأخطاء التى تؤدى إلى وقوع الإنسان فى الخطأ، وهى تلك الأخطاء التى أطلق عليها اسم الأوهام أو الأوثان، وقد ميز فيها بين أربعة أوهام:

١- أوهام الجنس:

وهى تلك الأخطاء التى يقع فيها الإنسان بحكم طبيعته البشرية الناقصة، وهى نوع من الأخطاء التى يشترك فيها الناس أجمعين لافرق فى ذلك بين فرد وفرد آخر مثل التسرع فى الحكم والتوصل إلى الأحكام العامة دون أساس متين، ويوصى بيكون بضرورة التنبه لهذا النوع من الأخطاء حتى لايقع الإنسان فيها.

٢- أوهام الكهف:

وهى تلك الأخطاء التى يقع فيها المرء بحكم طبيعته، فلئن كان الجنس البشرى يشترك فى طبيعة واحدة تؤدى إلى نوع معين فى الأخطاء فإن لكل فرد كهفا خاصا به يتحدد بميوله الفردية وبيئته الخاصة وعوامل نشأته وتربيته ومهنته، ومن شأن هذا الاختلاف فى جميع تلك العوامل أن يؤدى إلى نوع من الأخطاء يقع فيه كل فرد نتيجة له. ولابد أن نكون على وعى بمثل هذه الأخطاء حتى نستطيع أن نتجنبها.

٣- أوهام السوق:

وهى تلك الأخطاء التى يقع فيها المرء نتيجة للاستخدام الخاطئ للغة أو نتيجة لغموض اللغة والتباسها، حقيقة أن الإنسان هو الذى وضع اللغة، وهو قادر على أن يكيفها كما يشاء. إلا أن بيكون يرى أن الناس يعتقدون أن عقولهم تتحكم فى الألفاظ التى يستخدمونها ناسين أن الألفاظ إلى جانب ذلك تعود فتتحكم بدورها فى عقولهم، وأن ذلك هو نفسه الذى أصاب (الفلسفة) والعلوم بالسفسطة والجمود.

٤- أوهام المسرح:

وهى تلك الأخطاء التى يقع فيها المرء نتيجة لتأثره بمشاهير المفكرين والفلاسفة فيأخذ ما يقولونه دون تفكير وكأن عقله متفرج فى مسرح يشاهد الممثلين دون أن يكون له دور أو هو ينفعل ولايفعل شيئا، والأمثلة على ذلك كثيرة فى تاريخ العلم، فقد رفض علماء القرن السابع عشر تصديق جاليليو على بعض الحقائق لأن أرسطو لم يقل بها، وقد حوكم جاليليو على ذلك، وكاد هذا الأمر أن يودى بحياته.

هذه هى الأخطاء التى ينبهنا بيكون إليها حتى نتجنبها، ولاتؤثر فى بحثنا وفى منهجنا، وهذا ما يشكل الجانب السلبى فى منهجه.

ثانيا: الجانب الإيجابى أو البنائى:

بعد أن يتنبه الباحث إلى الأخطاء التى يمكن أن يقع فيها وذلك بتجنبها يدخل إلى مجال البحث، وهو ما يمثل الجانب الإيجابى أو البنائى عند بيكون.

ويمكن تلخيص هذا الجانب فى الخطوات التالية:

١- يقوم الباحث بجمع كل المعلومات المتعلقة بالظاهرة موضوع الدراسة.

٢- ترتب أو تنظم هذه المعلومات، وذلك بوضعها فى ثلاثة جداول أو قوائم هى:

(أ) قائمة الحضور أو الإثبات: وفيها يضع جميع الشواهد التى تظهر فيها الظاهرة موضوع الدراسة.

(ب) قائمة الغياب أو النفى: وفيها يضع الباحث جميع الشواهد التى تنعدم فيها الظاهرة.

(جـ) قائمة التفاوت فى الدرجة: وفيها يضع الشواهد التى تتفاوت فيها الظاهرة زيادة ونقصا.

٣- تحليل هذه القوائم لمعرفة ما تدل عليه بالنسبة للظاهرة موضوع الدراسة.

(د) وثمة أمر مهم يجب أن يحتاط له الباحث فى تعامله مع الفروض، وهذا الأمر هو أن الباحث لاينبغى عليه التمسك بالفرض، إذا لم يثبت صحته، ولابد للباحث أن يضع نصب عينيه دائما أن الفرض ليس إلا مجرد اقتراح قد يصدق. وقد لايصدق. فيكون لدى العالم استعداد للتخلى عنه أو تعديله إذا اتضح له أن فرضه لايتفق مع الوقائع. وهذا الأمر الذى يبدو بديهيا وهينا ليس هو بهذه الصورة، فالعالم الذى يدافع عن فرض مدة طويلة لأن بعض الوقائع تؤيده، يصبح من الصعب أن يتنازل عنه ببساطة، كما حدث كثيرا فى تاريخ العلم، فيحكى لنا تاريخ العلم أن أحد العلماء كان يدافع عن فرض فى علم الوراثة مدة طويلة، وحينما اكتشف بعض الحقائق التى لاتؤيده حاول التدخل فيها حتى تأتى متفقة مع فرضه الذى يدافع عنه.

٣- التجربة والتحقق من الفروض:

(أ) معنى التجربة:

تعد التجربة الوسيلة الأساسية للتحقق من صحة الفروض التى يقوم الباحث بافتراضها نتيجة لما قام به من ملاحظات. فإذا صح الفرض عن طريق التجربة كان قانونا علميا، وإذا لم يصح أبعدناه من فروضنا التى وضعناها. لذلك كانت التجربة بمثابة القنطرة التى نعبر فوقها من الفرض إلى القانون.

وتوصف التجربة عادة بأنها مجرد ملاحظة مستثارة أو ملاحظة بعد تهيئة ظروف معينة غير متوافرة فى الطبيعة. ذلك لأن الباحث إذا كان فى حال الملاحظة يرقب الظاهرة ويسجل حالتها من غير أن يحدث فيها تغييرا فإنه فى التجربة يرقب الظاهرة التى يدرسها فى ظروف هيأها هو وأعدها بإرادته تحقيقا لأغراض علمية يريدها لتفسير الظاهرة.

ورغم أهمية التجربة فى العلم، إلا أنها لاتكون ميسورة فى بعض العلوم مثل علم الفلك، حيث لايمكن إخضاع الظواهر الفلكية لإرادة الباحث والتحكم فى حدوثها، وهنا يستعاض عن التجربة بالملاحظات الدقيقة التى قد تؤدى ما تؤديه التجربة من أغراض.

(ب) شروط التجربة:

(أ) ينبغى عند تنفيذ التجربة العناية بكل صغيرة وكبيرة تكشف عنها التجربة، ولايكتفى فقط بالنقاط الجوهرية. لأن العناية التى يوجهها الباحث إلى الأمور الصغيرة التى قد تبدو تافهة هى التى أحيانا ماتتكرر نتيجة البحث.

(ب) يجب على القائم بالتجربة أن يتفهم الطرق الفنية التى يستخدمها تفهما صحيحا، وأن يدرك حدودها ولايتعداها، وأن يعرف تماما درجة الدقة التى يمكن التوصل إليها فى كل طريقة من هذه الطرق.

(جـ) يجب على الباحث أن يكون على حذر دائما من نتائج التجربة فلا يرفض الفرض لمجرد أن التجربة لم تستطع اثبات صحته، ولايغيب عنه لحظة أن التجريب – مثله فى ذلك مثل وسائل البحث الأخرى – ليس معصوما من الخطأ. وعدم القدرة على إثبات فرض بالطرق التجريبية ليس دليلا كافيا على خطأ هذا الفرض.

٤- القانون العلمى:

إذا ما تحقق الفرض عن طريق الملاحظات والتجارب فإنه يصبح التفسير النهائى للظاهرة موضوع البحث، ويكون لدينا قانون من قوانين الطبيعة.

فالقانون إذن هو **المرحلة النهائية فى كل بحث علمى، وهو الهدف من كل عمليات البحث وإجراءاته.**

والسؤال الآن: كيف يمكن التحقق من صحة الفرض حتى يصبح قانونا علميا..؟

تكون موضع ملاحظة دقيقة. لأن تكرار وقوع الظاهرة تمكن الباحث من أن يلاحظ كل مرة ما فاته من ملاحظات فى المرات السابقة، فضلا عن أنه يستطيع التحقق من تكرار وقوع الظاهرة، وأن يدقق فى ملاحظاته ويراجعها ويصحح ما يمكن أن يكون قد وقع فيه من خطأ.

٤- يجب ملاحظة الظاهرة من جميع جوانبها، لأن إغفال أى جانب قد يؤدى إلى خطأ فى تفسير الظاهرة، وهذا يعنى بعبارة أخرى أن الباحث لاينبغى عليه أن يترك شيئا يمكن ملاحظته دون أن يكون موضع اهتمامه.

٥- الموضوعية فى الملاحظة: والمقصود بها أن يلاحظ الباحث الظاهرة، كما تحدث فى الواقع، وأن يسجل كل ما يشاهده بأمانة ونزاهة.

٦- استخدام الأجهزة والآلات التى تساعد على دقة الملاحظة يعد شرطا مهما للملاحظة العلمية. فالآلات العلمية توسع مجال الملاحظات الحسية، فتقرب الشىء البعيد الذى يتعذر ملاحظته بالعين المجردة (مثل التليسكوب) وتكبر الشىء الصغير الذى يستحيل رؤيته بالعين العادية (مثل الميكروسكوب) وهكذا. وهذا من شأنه أن يزيد من مجال الملاحظة ودقتها فى وقت واحد، ولكن يجب أيضا أن نكون على حذر عند استخدام الآلات، فقد تكون دقيقة الصنع وتصاب بعطب بسيط لايدركه الباحث، فيؤدى استخدامها إلى ملاحظات مضللة، لذلك يجب التأكد من صلاحية هذه الآلات وسلامتها قبل استخدامها.

٢- الفرض العلمى:

(أ) معنى الفرض العلمى وأهميته:

يمكن تعريف الفرض العلمى بأنه **تفسير مؤقت للظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها**، وهو «تفسير مؤقت» لأنه لم يوضع موضع الاختبار عن طريق الوقائع، وبالتالى لانعرف ما إذا كان صحيحا أو باطلا، فلو ثبت بالتجربة أنه صحيح لأصبح هو التفسير النهائى للظاهرة، أى القانون العلمى.

وهذا يعنى أن الفرض هو الخطوة الأساسية نحو وضع القانون، لأن القانون ما هو إلا فرض أثبتنا بالتجارب صحته، ومن هنا تأتى أهمية الفرض العلمى، والدور المهم الذى يلعبه فى المنهج العلمى.

(ب) شروط الفرض العلمى:

هناك العديد من الشروط التى يجب مراعاتها عند وضع الفرض العلمى أهمها:

(أ) يجب أن يبدأ الفرض من الوقائع الملاحظة، ولايكون مجرد تخيلات لاصلة لها بالوقائع.

(ب) يجب أن يكون الفرض قابلا للتحقق، وإلا كان الفرض بلا قيمة، لأن إمكان التحقق من صحة الفرض سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، هى التى تجعل إما أن يكون الفرض هو التفسير الصحيح، ويصبح هو القانون الذى يحكم الظاهرة، وإما أنه فرض غير صحيح، فنعدل عنه ونفكر فى غيره من الفروض.

(جـ) يجب أن يكون الفرض متسقا مع الحقائق العلمية الأخرى. فإذا جاء الفرض متناقضا مع ما نسلم به من حقائق علمية كان من العبث أن نحاول إثبات صدقه، لأنه منذ البداية كان فرضا مجافيا للحقائق المعروفة.

ويجب أن نلاحظ هنا أن هذا الشرط لايصدق فى جميع الأحوال، ذلك لأن الفرض قد يوضع بهدف إثبات عدم صحة حقيقة من الحقائق التى كنا نسلم بها، ويقدم الفرض هنا كشفا علميا جديدا يساهم فى تقدم العلم وتطوره. والعلم دائما يبحث عن كشف جديد وحقائق جديدة.

٣- الاستقراء والاستنباط الرياضى فى المنهج العلمى المعاصر:

كان المنهج التقليدى استقرائيا بصورة كاملة، ولم يلعب الاستنباط الرياضى أى دور فيه، إلا أن التطور العلمى المعاصر قد أدى بالعلماء إلى إعادة النظر فى المنهج الاستنباطى الرياضى، إذ اتضح أن هذا المنهج الذى نجده فى الرياضيات والمنطق لابد من استخدامه فى العلوم الطبيعية بجانب منهج الاستقراء وكان من نتيجة ذلك أن ظهر المنهج العلمى المعاصر جامعا بين المنهج الاستقرائى والمنهج الاستنباطى.

وهذا فرق ثالث بين المنهج الاستقرائى التقليدى والمنهج العلمى المعاصر: فأولهما كان استقرائيا خالصا، بينما كان ثانيهما يجمع بين الاستقراء والاستنباط.

٤- خطوات المنهج العلمى المعاصر:

لعل أهم ما طرأ على المنهج التقليدى من تغير هو ترتيب الخطوات المنهجية، فإذا كان المنهج التقليدى يبدأ بالملاحظة ثم فرض الفروض، ثم التحقق من صحة الفروض عن طريق التجربة، فإن المنهج العلمى المعاصر لا يبدأ بالملاحظة، بل بالفرض، ثم تأتى الملاحظة والتجربة بعد ذلك فضلا عن أن معنى الفرض ومعنى الملاحظة لم يعد هو نفس المعنى الذى كان فى المنهج التقليدى.

ويمكن أن نوجز الخطوات العامة للمنهج العلمى المعاصر على النحو التالى:

١ ـ الفرض الصورى.

٢ ـ ترتيب النتائج اللازمة عن هذا الفرض باستخدام منهج الاستنباط الرياضى.

٣ ـ التحقق من صحة هذه النتائج عن طريق الملاحظة والتجربة.

٥- الفرق بين خطوات كل من المنهج التقليدى والمنهج العلمى المعاصر:

(أ) إن الملاحظة لم يعد لها فى المنهج المعاصر الأولوية التى كانت لها فى المنهج التقليدى.

(ب) إن الفرض هنا لم يأت مباشرة من الملاحظات كما كان الحال فى المنهج التقليدى. لأن الفرض الصورى يأتى استدلالا من فروض أو قوانين سابقة. فينظر العالم فى تلك القوانين التى تم التوصل إليها، ومنها يصوغ فرضه الصورى الجديد: مثل صياغة تورشيللى لفرض «أن للهواء وزنا ويمارس ضغطا على الأشياء الموجودة فيه». فقد توصل إلى هذا الفرض من القوانين التى تفسر ضغط الماء.

(جـ) إذا كان الفرض فى المنهج التقليدى يتم التحقق منه بطريقة مباشرة عن طريق التجارب، فإن الفرض الصورى لا يمكن التحقق منه بهذه الطريقة المباشرة، وإنما يتم التحقق منه بطريقة غير مباشرة، إذ نقوم باستنباط نتائج محددة تترتب منطقيا ورياضيا عن الفرض، وهذه النتائج هى التى يمكن التحقق منها عن طريق الملاحظة والتجربة، فإن صحت هذه النتائج (وهى مستنبطة من الفرض)، كان هذا دليلا فى صالح الفرض.

وإذا رجعنا إلى تورشيللى وفرض الضغط الجوى لرأينا أنه لكى يتثبت من صحة فرضه استنبط النتائج اللازمة عن هذا الفرض، فلو كان فرضا صحيحا لكان ارتفاع عمود الزئبق فى البارومتر ٧٦سم، وبالفعل (عند مستوى سطح البحر) تم التثبت من ذلك تجريبيا. فكان ذلك دليلا لصالح افتراض الضغط الجوى.

خامساً : الاستقراء والمنهج العلمى المعاصر:

لم يكن المنهج الاستقرائى التقليدى هو الصورة الوحيدة التى تحقق كل متطلبات البحث العلمى. فقد تطورت العلوم الطبيعية فى القرن الأخير تطورا هائلا، وخاصة علم الفيزياء حيث اتضح، نتيجة لهذا التطور، أن المنهج الاستقرائى بصورته التقليدية لايمكنه أن يفى تماما بوظيفة العلوم الحديثة، وأصبح عاجزا عن مسايرة تطوراتها وتحقيق أهدافها. وقد أدى هذا الأمر إلى بروز صورة جديدة للمنهج العلمى، لاشك أنها تختلف اختلافا واضحا عن المنهج الاستقرائى التقليدى سواء فى خطواتها أو طبيعة النتائج التى يصل إليها.

١ـ السببية والقانون العلمى:

كان الاعتقاد السائد عند العلماء حتى القرن الماضى أن القانون العلمى لابد أن يكون قانونا سببيا فكان السؤال الذى يحاول العالم الإجابة عنه هو: «**لماذا تحدث الظاهرة**» وتأتى الإجابة ذكرا للأسباب التى أدت إلى حدوث الظاهرة، ويكون ذلك بمثابة «**تفسير**» للظاهرة موضع البحث.

ولكن حين تقدمت العلوم الطبيعية وخاصة الفيزياء بدأ العلماء المعاصرون ينظرون إلى القانون العلمى على أنه ليس بالضرورة قانونا سببيا يكشف عن الأسباب التى أدت إلى حدوث الظاهرة على هذا النحو أو ذاك لأن هذه الأسباب لايمكن معرفتها على الإطلاق، ولذلك يأتى القانون العلمى إجابة عن السؤال «كيف» **تحدث الظاهرة**.

لذلك هاجم كثير من العلماء المعاصرين مفهوم السببية فى القانون العلمى، وقد أيدت الاكتشافات العلمية هذا الاتجاه فى رفض القول بأن القانون العلمى هو دائما قانون سببى. (فحركة الإلكترون حول نواة الذرة لايمكن معرفة أسبابها، ولايمكن تفسيرها بقوانين الحركة المعروفة فى ميكانيكا نيوتن، وبالتالى لايمكن أن نجد قوانين سببية تفسر لنا هذه الحركات).

لكن يجب أن نتنبه إلى أن العلماء المعاصرين لم ينكروا أن هناك قوانين سببية، بل أنكروا فقط أن تكون «جميع» القوانين قوانين سببية.

وهكذا نصل إلى فرق بين تطبيق المنهج العلمى المعاصر، وهو: **أن القانون العلمى فى المنهج التقليدى قانون سببى**، بينما فى **المنهج العلمى المعاصر قانون وصفى**.

٢- الحتمية والقانون العلمى:

ولما كان المنهج التقليدى يهدف إلى صياغة القوانين السببية، وذلك بربط أسباب الحوادث بمسبباتها فلابد أن يكون القانون هنا ضروريا حتميا، إلا أن هذه النظرة الحتمية إلى العلم قد قوبلت من جانب العلماء المعاصرين بمعارضة شديدة فيرون أن تقدم العلم فى أخريات القرن التاسع عشر قد زعزع من قيمة مبدأ الحتمية، وبمجىء القرن العشرين واكتشاف النظريات الجديدة فى العلم، وخاصة نظرية الكوانتوم ونظرية النسبية وغيرهما، قد أبعد كل قول بالحتمية فى مجال العلوم.

ولقد عكس المنهج العلمى المعاصر هذه الحقيقة الجديدة، فهو لا يهدف إلى صياغة قوانين سببية حتمية، بل أن يصل إلى قوانين وصفية احتمالية، وهذا فرق ثان بين المنهج التقليدى والمنهج المعاصر.

لاتتنافى مع الشروط المنطقية الضرورية لكل بحث علمى، ولا تتنافى - من الناحية المنطقية - مع تطبيق المنهج العلمى القائم على الملاحظة والتجربة. وكل ما هنالك من فرق بين الظاهرة الإنسانية والظاهرة الطبيعية هى فى درجة تعقيد الظاهرة الإنسانية وتشابكها عن الظاهرة الطبيعية.

إلا أن هناك بعض المعوقات التى مازالت تقف فى وجه تقدم العلوم الإنسانية وتطبيق المنهج العلمى فيها تطبيقا دقيقا. وسنذكر فيما يلى أهم هذه الصعوبات والمعوقات.

٢- صعوبات البحث فى العلوم الإنسانية:

أولا: إن الظواهر التى تدرسها العلوم الإنسانية أشد تعقيداً وتشابكا وتركيبا من تلك الظواهر التى تقوم بدراستها العلوم الطبيعية، لهذا كانت دراستها التجريبية وقياسها أصعب بكثير من الظواهر الطبيعية. ففرق كبير أن يدرس العالم أثر الحرارة على تمدد الحديد، وأن يدرس الباحث أثر أصدقاء المدرسة على سلوك الطفل. فالأمر هين فى الحالة الأولى إذ يمكن التحكم فى كل العوامل من ضوء وضغط وحرارة، وغير ذلك لنرى أثر عامل واحد على التمدد، أما فى الحالة الثانية فيصعب أن أعزل عاملا واحدا وهو «دور الأصدقاء» فى المدرسة عند طفل معين حيث أن جميع العوامل التى نشأ بها وأثرت فيه قد تشابكت تشابكا يصعب معه معرفة أثر عامل واحد منفصل عن بقية العوامل.

ثانيا: إن الظواهر الإنسانية أقل تكراراً (إن كانت أصلا تقبل التكرار) من غيرها من العلوم. فلا يمكن للباحث الاجتماعى - مثلا - أن يعيد الظاهرة التى يبحثها متى أراد مثل زميله فى العلوم الطبيعية.

إذ أن الظاهرة الإنسانية فريدة فى نوعها. تجىء كل ظاهرة منها مرة واحدة وتمضى لتصبح حادثة تاريخية لا يتكرر حدوثها، وبالتالى يصعب الوصول إلى أحكام دقيقة بشأنها على عكس ما نصل إليه من أحكام فى العلوم الأخرى.

ثالثا: يصعب إخضاع العلوم الإنسانية للملاحظة الدقيقة. لأن الإنسان كائن حى يحس ويفهم ويفكر - بعكس مادة العلوم الطبيعية الأخرى - لذلك يصعب إخضاعه للملاحظة العلمية لأنه بمجرد أن يشعر بأنه موضع ملاحظة يصبح تصرفه مختلفا عن التصرف العادى الذى يسلكه فى حياته اليومية، وهذا ما يجعل النتائج غير دقيقة. لذلك فإن التجربة بمعناها المعروف أمر متعذر إن لم يكن مستحيلا فى العلوم الإنسانية.

رابعا: يتعذر فى العلوم الإنسانية تحقيق الموضوعية المطلوبة فى البحث العلمى فيصعب أن يتخلى الباحث هنا عن عواطفه وأهوائه الشخصية، وحتى لو استطاع الباحث أن يلتزم بالحياد والموضوعية، فإنه لا يضمن أن يجد الاستجابة الموضوعية من الأفراد والجماعات الذين يجرى عليهم البحث بسبب اتجاهاتهم الفكرية وأغراضهم السياسية والاجتماعية.

فالإنسان مخلوق غرضى يعمل للوصول إلى أهداف معينة، ويملك القدرة على الاختيار، مما يساعده على أن يعدل من سلوكه، ولذلك تتأثر مادة العلوم الإنسانية بإرادة الإنسان وقراراته.

خامسا: مازالت العلوم الإنسانية تستخدم ألفاظا كيفية، وهى تلك الألفاظ التى لاتعبر عن كميات دقيقة يمكن التعبير عنها رياضيا، فمازلنا فى علم النفس نستخدم ألفاظا من قبيل «عاطفة». و«دافع» وكذلك فى علم الاجتماع مازلنا نستخدم ألفاظا من قبيل «أسرة» و«طبقة»، وكذلك «منفعة» فى علم الاقتصاد، وهكذا.

(د) إن التجربة فى المنهج التقليدى كانت تصمم للتأكد من صحة الفرض، بينما أصبحت فى المنهج العلمى المعاصر للتأكد من صحة النتائج اللازمة عن الفرض الصورى.

(هـ) إذا كان الفرض فى المنهج التقليدى يشير إلى كائنات واقعية محسوسة، يمكن ملاحظتها بطريقة أو بأخرى، فإن الفرض الصورى يشير إلى كائنات واقعية، ولكنها لاتخضع للإدراك الحسى. فالضغط الجوى والإلكترونات وغير ذلك أمور غير محسوسة. لهذا لايمكن التحقق منه تجريبيا بطريقة مباشرة، وكل ما نستطيع التحقق منه هو النتائج اللازمة عنه.

ولكن يجب أن نتنبه إلى أن الفروض الصورية حتى ولو لم تكن قائمة على الملاحظة والتجربة بشكل مباشر لأنها آتية من فروض أو قوانين سابقة، فإن هذه القوانين هى التى خضعت فى تحقيقها للملاحظة والتجربة. بحيث يمكن القول بأن أساس الفروض الصورية تجريبى وليس نظريا خالصا.

(و) إذا كان القانون فى المنهج التقليدى يحاول تفسير ظاهرة معينة بمعرفة أسبابها، فإن القانون الصورى يفسر لنا عدداً من القوانين العلمية التى سبق التوصل إليها، إذ قد تكون هذه القوانين مفتقرة إلى تفسير، أو تكون غير مترابطة. فتكون وظيفة الفرض الصورى تفسير تلك القوانين وإيجاد الرابطة التى تربط قانونا بقانون آخر. ومن أمثلة ذلك القوانين المتعلقة بخواص الغازات التى قال بها كلارك ماكسويل، وهى قوانين جاءت نتيجة بحث استقرائى واستدلال دقيق، ولكنها كانت بحاجة إلى تفسير، وقد وجد لها هذا التفسير فى افتراض وجود الذرة.

ونظراً للدور المهم الذى يلعبه **الفرض الصورى** فى هذا المنهج، وبهذه الخصائص التى تميزه، أطلق على هذا المنهج اسم «**المنهج الفرضى**» تمييزاً له عن المنهج الاستقرائى التقليدى.

سادساً : المنهج الاستقرائى والعلوم الإنسانية

١ ـ طبيعة العلوم الإنسانية:

المقصود بالعلوم الإنسانية تلك العلوم التى تجعل اهتمامها منصبا على دراسة «الإنسان» من جوانبه المختلفة: كفرد (علم النفس)، وكعضو فى جماعة (علم الاجتماع)، أو من حيث المبادىء التى يلتزم بها فى تعامله مع الغير (القانون).. وهكذا.. وتسمى أحيانا باسم «العلوم الاجتماعية».

وقد اختلف الباحثون بشأن هذه العلوم ووضعها بين بقية العلوم المعروفة وانقسموا فى ذلك إلى فريقين:

الفريق الأول: يرى أن العلوم الإنسانية فرع من العلوم الطبيعية بالمعنى الواسع لكلمة «طبيعية» فإذا ما كانت كلمة طبيعية تعنى كل ما هو موجود فى الواقع الفعلى، وجدنا أن مادة العلوم الإنسانية هى مايقع فى الوجود الفعلى. ومما يدركه الباحثون بالمشاهدة كإدراكهم عادة لمادة العلوم الطبيعية الأخرى.

الفريق الثانى: يرى أن العلوم الإنسانية نوع من المعارف مختلف عن العلوم الطبيعية، لأن مادة العلوم الإنسانية، وهو الإنسان، ليس كبقية المواد الموجودة فى العالم الفعلى، فالإنسان ظاهرة فريدة بين بقية الظواهر الموجودة وبالتالى لا تكون العلوم الإنسانية جزءا من العلوم الطبيعية.

والواقع أننا لو نظرنا نظرة علمية موضوعية إلى هذه العلوم لوجدنا أن مادتها، وهى الظواهر الإنسانية،

أسئلة

١ ـ ميز بمثال بين المعرفة المباشرة والمعرفة غير المباشرة.

٢ ـ على أى أساس كانت المعرفة العلمية معرفة غير مباشرة؟

٣ ـ العلم منهج فى التفكير أكثر من كونه مجموعة من الحقائق تقال فى موضوع معين. هل توافق ؟ ولماذا ؟

٤ ـ حدد معنى الاستدلال التجريبى (الاستقراء)

٥ ـ ما الفرق بين الاستقراء والاستنباط؟

٦ ـ وضح الصواب أو الخطأ فى كل من العبارات التالية مع التعليل :

(أ) المعرفة العلمية معرفة غير مباشرة.
(ب) القانون العلمى هو الهدف النهائى للعلم.
(جـ) يدرس الاستقراء مادة الواقع الفعلى.

٧ ـ اختر الإجابة الصحيحة مما يلي مع التعليل:

العلم منهج أكثر منه مجموعة من الحقائق تقال فى موضوع معين، ومعنى ذلك أن العالم هو من:

(أ) يبحث دون أن يهدف للوصول إلى أى حقائق.
(ب) يبحث للوصول إلى الحقائق بصرف النظر عن المنهج.
(جـ) يبحث بمنهج معين بهدف الوصول إلى الحقائق.

٨ ـ أرسطو هو واضع أساس الاستقراء هل تؤيد ذلك؟ ولماذا؟

٩ ـ اشرح دور العلماء المسلمين فى وضع المنهج الاستقرائى.

١٠ ـ هل يمكن أن ننسب إلى الحضارات القديمة دوراً فى وضع المنهج الاستقرائى؟ وضح إجابتك بالأمثلة.

١١ ـ اذكر أهم الانتقادات التى وجهت إلى مفهوم الاستقراء عند أرسطو.

١٢ ـ وضح الصواب أو الخطأ فى كل من العبارات التالية مع التعليل :

(أ) أوهام السوق هى أخطاء يقع فيها المرء بحكم استخدامه للغة.
(ب) أوهام الكهف هى أخطاء يقع فيها المرء بحكم طبيعته الإنسانية العامة.

لكن فى العلوم المتقدمة كالفيزياء نجد كل مفاهيمها وألفاظها «كمية» تصاغ بلغة رياضية دقيقة.

هذه بعض المعوقات التى مازالت تقف عقبة فى سبيل تقدم العلوم الإنسانية، ويلاحظ أن بعضها يرجع إلى طبيعة مادة هذه العلوم، ويعود بعضها الآخر إلى المشتغلين بهذه العلوم.

إلا أن هذا كله لايضع هذه العلوم خارج نطاق العلوم الطبيعية، بل كل ماهنالك أنها لاتزال فى مرحلة من التقدم متأخرة عن بقية العلوم الأخرى، والمستقبل كفيل بالتغلب على مثل هذه الصعوبات حتى تسير هذه العلوم فى طريق التقدم لما فيه خير الإنسان والمجتمعات.

(جـ) أوهام المسرح هي أخطاء يقع فيها المرء نتيجة لتأثره بمشاهير المفكرين

١٣ ـ الجانب السلبى من منهج بيكون أكثر أهمية من الجانب الإيجابى. علل.

١٤ ـ تحدث باختصار عن أهم شروط الملاحظة العلمية.

١٥ ـ ماذا يقصد بالفرض العلمى؟ وما الفرق بينه وبين القانون العلمى؟

١٦ ـ اذكر باختصار أهم شروط الفرض العلمى.

١٧ ـ يرفض العلماء المعاصرون القول بأن كل القوانين سببية. اشرح بمثال.

١٨ ـ ما المقصود بالحتمية فى العلم؟

١٩ ـ قارن بين خطوات المنهج الاستقرائى التقليدى وخطوات المنهج العلمى المعاصر.

٢٠ ـ ما المقصود بالعلوم الإنسانية؟ وما هى طبيعتها؟

٢١ ـ هل يمكن تطبيق المنهج العلمى بدقة فى مجال العلوم الإنسانية؟ وضح إجابتك بالأمثلة.

٢٢ ـ علل مايأتى:
(أ) يصعب إخضاع الظاهرة الإنسانية للملاحظة الدقيقة.
(ب) الموضوعية أمر يصعب تحقيقه فى العلوم الإنسانية.
(جـ) استخدام التعبيرات الكمية فى العلوم الإنسانية محدود.

الفصل الثامن

التكامل بين أنواع الاستدلال

١ ـ أنواع الاستدلال وأنواع العلوم :

إن موضوع الاستدلال الذى انصبت عليه دراستنا السابقة فى معظمها هو جوهر المنطق قديمه وحديثه على حد سواء، وقد تناولنا ثلاثة أنواع من الاستدلال هى:

أ ـ الاستدلال المنطقى أو الاستنباط المنطقى، كما جاء فى كتب المنطق التقليدية، وهو هذا النوع من الاستدلال الذى انحدر إلينا من فلاسفة اليونان (وخاصة أرسطو)، ومن تابعهم من المناطقة بعد ذلك. وقد درسنا فيها نوعين : الاستدلال المباشر عن طريق التقابل بين القضايا، والاستدلال غير المباشر أو القياسى، وهذه الأنواع من الاستدلال المنطقى مأخوذة من المنطق التقليدى.

ب ـ الاستدلال الرياضى: وهو المنهج الاستنباطى، كما هو مطبق فى مجال الرياضيات.

جـ ـ الاستدلال الاستقرائى: وهو المنهج الاستقرائى القائم على الملاحظة والتجربة، كما هو مستخدم فى مجال العلوم الطبيعية. وقد رأينا صورة متطورة لهذا النوع، وهو المنهج العلمى المعاصر.

وإذا تأملنا هذه الأنواع الثلاثة من الاستدلال رأينا أن الاستدلال إما أن يكون عقليا ينصب على تصورات ذهنية خالصة ويبدأ من افتراضات، أو مسلمات ويستنبط منها ما يترتب عليها من نتائج، أو استقرائيا يخرج إلى العالم الواقعى ليضعه موضع البحث والدراسة للكشف عن القوانين التى تفسره.

وبذلك تنحصر أنواع الاستدلال والمناهج فى اثنين هما: الاستنباط والاستقراء، يستخدم أولهما فى المنطق والرياضيات، والثانى فى مختلف العلوم الطبيعية، وفى بعض الأحيان يجتمع كل من المنهجين فى منهج واحد كما هو الحال فى المنهج العلمى المعاصر المستخدم فى بعض فروع العلوم الطبيعية.

وعلى أساس ذلك يمكننا أن نميز فى العلوم بين ثلاثة أنواع أيضا (يمكن ردها فى النهاية إلى نوعين)، وهى:

أ ـ مجموعة العلوم الصورية: كالرياضيات والمنطق، وهى تلك العلوم التى نبدأ فيها من مقدمات نسلم بصحتها تسليما لنصل منها إلى نتائج لازمة عن تلك المقدمات. ويتوقف صدق هذه النتائج على صحة استنباطها من المقدمات، وليس على تطابقها مع الواقع الفعلى. لذلك يسمى المنهج المستخدم هنا بالمنهج الاستنباطى.

ب ـ مجموعة علوم الواقع: كالعلوم الطبيعية بوجه عام، وهى تلك العلوم التى تعالج مادة الواقع الفعلى مثل المواد وتركيباتها، والصوت، والضوء، والأجرام السماوية، والنبات، والحيوان.. إلخ لنصل إلى قوانين تفسر لنا هذه الظواهر. ويتم البحث هنا عن طريق المنهج الاستقرائى، أو العلمى بوجه عام.

جـ ـ مجموعة العلوم الإنسانية: مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وهى تلك العلوم التى تجعل الإنسان محور دراستها، وقد رأينا أنها فرع من العلوم الطبيعية بالمعنى الواسع لكلمة «طبيعة» رغم ما بها من صعوبات ومعوقات فى البحث نظرا لصعوبة بحث الظاهرة الإنسانية إذا ما قورنت بالظواهر الطبيعية الأخرى، فضلا عن حداثة هذه العلوم وعدم بلوغها درجة النضج التى وصلت إليها العلوم الأخرى.

أو تعارض حتى تتكامل بهما المعرفة العلمية عند الإنسان.

لذلك عاب العلماء المحدثون وفلاسفة العلم على القدماء، ومنذ أرسطو حتى مطالع العصور الحديثة، تركيزهم على المنهج الاستنباطى وجعله المنهج الوحيد للمعرفة العلمية فكان لابد من وضع المنهج الاستقرائى التجريبى نتيجة لظهور العلم التجريبى، والنجاح الذى حققه.

ولكن لم يكن يعنى ذلك بالطبع أن المنهج الاستنباطى فاسد، ويجب أن يحل مكانه المنهج التجريبى، وكل ما كان يعنيه هو أن الطريقة الاستنباطية وحدها لايمكن أن تقدم لنا التفسير الصحيح للعالم ومشكلاته، بل لابد من أن نستخدم بجانبه المنهج الاستقرائى، هنا يكون المنهج الاستنباطى ممكن الاستخدام.

بل إن المنهج الاستنباطى قد تطور تطورا كبيرا نتيجة لتطور الرياضيات منذ القرن السابع عشر، وكان تطور الرياضيات مرتبطا إلى حد كبير بتطور العلوم الطبيعية لأن القوانين الطبيعية فى حاجة إلى الرياضيات للتعبير عن نفسها تعبيرا دقيقا. واستخدام الملاحظة والتجريب يستلزم تطبيق المناهج الدقيقة للقياس للتوصل إلى القوانين التى تصاغ فى حدود رياضية. وهذا هو السر فى دقة القوانين العلمية، وسر نجاح العلم الطبيعى.

وهكذا يتكامل المنهجان وتتكامل بذلك معرفة الإنسان العلمية.

• • • •

وإذا تأملنا هذا التقسيم الثلاثى للعلوم استطعنا أن نردها إلى **نوعين**:

إما أن تكون **العلوم صورية** تقوم على تصورات ذهنية خالصة (المنطق والرياضيات)، أو أن تكون **علوما تعالج موضوعات العالم الواقعى** (كالعلوم الطبيعية، والإنسانية).

وهكذا ننتهى هنا إلى القول إن الاستدلال نوعان أساسيان يرتبط كل نوع بمجموعة من العلوم: الاستدلال الاستنباطى فى الرياضيات، والمنطق والاستدلال الاستقرائى فى العلوم (الطبيعية والإنسانية).

٢ـ التكامل بين نوعي الاستدلال:

يشير معنى «التكامل» بين نوعى الاستدلال إلى إمكان التعاون بينهما فلا يكون كل منهما مستقلا تماماً عن الآخر، بحيث يستحيل الجمع بينهما، بل يمكن عن طريق الربط بينهما الوصول إلى صورة للمنهج العلمى يجمع بين الاستدلال الاستنباطى والاستدلال الاستقرائى. وقد رأينا مثالا لهذا التعاون والربط فى المنهج العلمى المعاصر. وسنقدم هنا صورتين من صور التكامل بين هذين النوعين من الاستدلال أو المناهج.

أ ـ إمكان الجمع بين النوعين فى منهج واحد:

لاشك أن الاستنباط والاستقراء منهجان متمايزان أحدهما عن الآخر سواء فى بنائه أو طبيعة الموضوعات التى يعالجها والنتائج التى يتوصل إليها. ولكن ليس معنى هذا أن بينهما تعارضا، بحيث يستحيل الجمع بينهما، بل إن التطورات العلمية المعاصرة قد أدت إلى ضرورة جمعهما معاً فى منهج واحد لتحقيق بعض الأغراض العلمية التى ما كان يمكن تحقيقها عن طريق أى منهما منفرداً. وقد رأينا أن المنهج العلمى المعاصر منهج يجمع بين الاستنباط أو الاستدلال الرياضى، وبين الاستقراء أو الاستدلال الاستقرائى.

واجتماع المنهجين معا فى المنهج العلمى المعاصر يعنى أن الاستنباط يشكل جزءا من هذا المنهج الذى يتم استخدامه فى بعض أجزاء العلوم الطبيعية.

وهناك أيضا ما يسمى فى الرياضيات باسم «الاستقراء الرياضى». وهو نوع من الاستدلال يقوم على مبدأ الاستقراء الذى يقوم على الانتقال من الحكم على ما هو خاص إلى حكم عام. ومن أمثلته (الانتقال من الحكم على بعض الأعداد الأولية بأنها لا تقبل القسمة إلا على نفسها، وعلى الواحد، إلى حكم عام يقرر أن جميع الأعداد الأولية لا تقبل القسمة إلا على نفسها) وهذا يعنى مرة أخرى أن من الممكن الاستعانة بصورة من صور الاستقراء فى الرياضيات بجانب المنهج الاستنباطى، وتكون هذه الصورة مكملة للمنهج الاستنباطى.

ب ـ التكامل بين الاستنباط والاستقراء وتكامل المعرفة العلمية:

لايقف التكامل بين الاستنباط والاستقراء عند جمعهما معاً فى منهج واحد، بل أيضاً يؤدى هذا التكامل إلى تكامل آخر فى المعرفة العلمية. فالعلوم التى يتعامل معها الإنسان ليست هى فقط مجموعة العلوم الصورية (الرياضيات والمنطق)، ولا هى فقط مجموعة علوم الواقع (العلوم الطبيعية، والإنسانية) لأن الإنسان إنما يتعامل مع هذه العلوم جميعاً، ولا يمكن الاكتفاء فى ثقافته العلمية بأى مجموعة منهما.

فهاتان المجموعتان من العلوم تشكلان أساس المعرفة العلمية عند الإنسان، ومعنى هذا أن المنهج الاستنباطى والاستقرائى لابد من أن ينظر إليهما على أنهما يقفان جنبا إلى جنب فى تعاون تام دون ما تنافر

قائمة بأهم المراجع العربية والأجنبية المترجمة

١ـ ابن سينا : الإشارات والتنبيهات، القسم الأول، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية دون تاريخ طبع.

٢ـ ابن سينا : الشفاء جزء المنطق : القياس، تحقيق سعيد زايد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة. ١٩٦٤م.

٣ـ ابن سينا : النجاة مطبعة السعادة، القاهرة، ١٢٣١هـ

٤ـ برنادر، كلود، مدخل إلى دراسة الطب التجريبى، ترجمة يوسف مراد، حمدالله سلطان، القاهرة، ١٩٤٤م.

٥ـ بيفردج، وأوب: فن البحث العلمى، ترجمة زكريا مهنى، المجلس الأعلى للعلوم، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٣م.

٦ـ ريشنباخ، هانز: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكتاب العربى، القاهرة ١٩٦٨م.

٧ـ زكى نجيب محمود: المنطق الوضعى، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦١م.

٨ـ زكى نجيب محمود: المنطق الوضعى، الجزء الثانى، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٢م.

٩ـ الساوى (ابن سهلان)، البصائر النصيرية، تحقيق الشيخ الإمام محمد عبده، المطبعة الأميرية ـ بولاق، القاهرة ١٣١٦هـ ، ١٨٩٨م.

١٠ـ عبدالرحمن بدوى: المنطق الصورى والرياضى،مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٢م.

١١ـ عبدالرحمن بدوى: مناهج البحث العلمى ـ وكالة المطبوعات ـ الكويت ١٩٧٧م.

١٢ـ الغزالى، أبوحامد: معيار العلم، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة ١٣٢٩هـ.

١٣ـ محمد فتحى الشنيطى: أسس المنطق والمنهج العلمى،دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٠م.

١٤ـ محمد مهران: مدخل إلى المنطق الصورى، دار الثقافة للتوزيع والنشر القاهرة ١٩٨٢م.

١٥ـ محمود فهمى زيدان:الاستقراء والمنهج العلمى، مكتبة الجامعة العربية، بيروت ١٩٦٦م.

١٦ـ التهانوى: كشاف اصطلاحات الفنون.

١٧– مواهب السيد جبر: فعالية إستراتيجية سقراط وأوزويل فى تنمية التحصيل والتفكير الناقد فى المنطق لدى طلاب المرحلة الثانوية.رسالة دكتوراه «غير منشورة» كلية التربية جامعة طنطا ١٩٩٦م .

أسئلة

١ ـ أذكر أهم أنواع العلوم. ثم وضح منهج كل منها.

٢ ـ ما أهم صور التكامل بين الاستنباط والاستقراء؟

٣ ـ وضح الصواب أو الخطأ فى كل من العبارتين الآتيتين مع التعليل:

(أ) يمكن الجمع بين الاستقراء والاستنباط فى منهج واحد.

(ب) تطور الرياضيات فى العصر الحديث ساعد فى تطوير المنهج الاستنباطى.

٤ ـ وضح الفرق بين العلوم الصورية وعلوم الواقع. ثم بين موقع العلوم الإنسانية بين المجموعتين السابقتين.

طريقة الجمع بين الاتفاق والاختلاف	Joint method of agreement and difference
طريقة التغير النسبى	Method of Conconmitant variation
(ع)	
عرض أو عرض عام	Accident
علم عقلى أو مجرد	Abstract Science
علم نظرى	Theoretical Science
علة	Cause
علية	Causality
(غ)	
غلط منطقى	Fallacy
(ف)	
فرض	Hypothesis
فصل	Difference, or Differential
فكر	Thought
(ق)	
قانون الذاتية	Law of identiy
مقدمة صغرى	Minor Premise
مقدمة كبرى	Major Premise

ملاحظة	Observation
منطق	Logic
منهج	Method
منهج علمى	Scientific Method
ماصدق	Denotation or Extension
مانع (فى التعريف)	Exclusive
ماهية	Essence
المنهج العلمى المعاصر	Contemporary ScientificMethod
موضوع	Subject
نتيجة	Conclusion
نسق	System
نسق البديهات	Axiomaricsystem
نفى	Negation
نوع	Species
(هـ)	
هوية	Identity
(ى)	
يقين	Certainty

أهم المصطلحات المنطقية ومرادفاتها فى الإنجليزية

	(أ)
استدلال	Deduction
استدلال مباشر	Immediate inference
استغراق	Distriburtion
استقراء	Induction
استقراء تام	Perfect induction
استقراء ناقص	Imperfect induction
استقراء رياضى	Mathematical induction
استقراء علمى	Seientific induction
اسم ذات	Concrete term
اسم علم	Proper term
اسم معنى	Abstract term
اسم مطلق	Absolute term
اسم نسبى	Relative term
اسم جمع	Collective term
إيجاب	Affirmation
	(ب)
بديهية	Axiom
	(ت)
تجربة	Experiment
تجريد	Abstraction
تحليل	Analysis
تداخل (فى التقابل بين القضايا)	Subimplication
تركيب	Synthesis
تضاد	Contrariety
تصنيف	Classification
تعريف	Definition
تعريف بالحد	Analytic definition
تعريف بالرسم	Descriptive defintion
تعريف شرطى	Conditional definition
تعريف لفظى	verbal definition
تعريف بالمرادف (تعريف قاموسى)	Biverbal definition
تعميم	Generalisation
تقابل القضايا	Opposition of propositions

تناقض	Contradiction
	(ج)
جامع (فى التعريف)	Inclusive
جزئى	particular
جنس	Genus
جنس قريب	Proximate genus
جنس عال	Summum genus
	(ح)
حد منطقى	Logical term
حد أصغر	Minor term
حد أكبر	Major term
حد أوسط	Middle term
	(خ)
خاصة	Property
خطأ منطقى	Invalidity
	(د)
دخول تحت التضاد	Sub Contrariety
	(ر)
رابطة	Copula
	(س)
سلب	Negation
سور (للقضية)	Quantifier
	(ش)
شكل (فى القياس)	Figure
	(ص)
صادقة	True
صحة	Validity Valid
صحيح	Truth
صدق صورة	Form
صورى	Formal
	(ض)
ضرب (فى أشكال القياس)	Mood
	(ط)
طريقة	Method
طريقة الانفاق	Method of agrement
طريقة الاختلاف	Method of difference